

مجلة ثقافية شهرية - العدد ٣١٤ - شعبان ١٤٢٣ هـ - أكتوبر / نوفمبر ٢٠٠٢م
ALFAISAL MAGAZINE - No. 314 - OCT. / NOV. 2002

عالأصلِ دوّر...



جميع احتياجاتك من قطع الغيار الأصلية لسيارتك وبأفضل الأسعار فقط من أوتو ستار .. الشركة الرائدة والكبرى في بيع قطع الغيار الأصلية بما يشمل القطع الكهربائية والميكانيكية ولوازم الهياكل لسيارات البنزين والديزل من مختلف الماركات والمواصفات العالمية.









سيارات مستعملة مضمونة .. صيانة .. قطع غيار



مجموعة عبداللطيف العيسى

المنطقة الوسطى

الصناعية (فرع ١) ٤٤٨٩٩٤٩ (٠١)
(فرع ٢) ٤٤٨٣٣٨٩ / ٤٤٨١٥٢١ (٠١)
العروبة ٤٨٢٥٠٠١ (٠١)
فرع لوكاس ٤٩٥١٢٢٠ (٠١)
بريدة (فرع ١) ٣٨١٩٤٩٤ (٠٦)
(فرع ٢) ٣٢٥٠٤٦٦ (٠٦)

المنطقة الشرقية

الخبر (الرئيسي) ٨٦٤١٥٠٧/٨٦٤١٥١٠ (٠٣)
الراكة ٨٥٨٧٩١٩ (٠٣)
الدمام (فرع ١) ٨٥٦١٥٩٢ (٠٣)
(فرع ٢) ٨١٧٥٨٦١/٨١٧٥٨١٥ (٠٣)
رأس تنورة ٦٦٨١٤٠٩ (٠٣)
الجبيل ٣٦٢٤١٢٨ (٠٣)
الخفجي ٧٦٧٠٠٣٤ (٠٣)
الإحساء ٥٨٦٤٥٦٤ (٠٣)
حفر الباطن ٧٢١٤٤٥٣ (٠٣)
عرعر ٦٦١٠٨٤٠ (٠٤)
سكاكا ٦٢٤٨٨٤٨ (٠٤)

المنطقة الغربية

جدة (الرئيسي) ٦٧٦٠٦٧٦ (٠٢)
كيلو ٢ ٦٣١٧٢٠٤ (٠٢)
كيلو ٥ ٦٨٠٧٢٦٠/٦٨٠٠٢٧٦ (٠٢)
كيلو ٧ ٦٨٨٦٤٣٩ (٠٢)
كيلو ٨ ٦٢١٢٣٥٨/٦٢٠١٩٠٤ (٠٢)
النزهة ٦٥٥٤٥١٥/٦٥٤٧٧٩٧ (٠٢)
مكة ٥٣٧٤١٢٨ (٠٢)
المدينة ٨٣٨٧٧٠٠ (٠٤)
خميس مشيط ٢٣٣٠٠٣١ (٠٧)
نجران ٥٤٤١٠٧٣ (٠٧)



المحتويات

ضوابط النشر

- يفضل طباعة المادة المرسلة على الحاسب الآلي، وإرسال نسخة على قرص مرن إن أمكن، أو كتابتها بخط مقروء على ورق A4 جيد، مع إرفاق سيرة ذاتية، وصورة ملونة حديثة.
- لا تفضل المجلة نشر المقالات الانطباعية التي تخلو من المعلومات.
- يرجى إرفاق صور أصلية ملونة جيدة مع الاستطلاعات والموضوعات الملونة، ولا تقبل الصور المأخوذة من الصحف والمجلات.
- في حال إرسال قصة مترجمة، يرجى إرفاق الأصل المترجم.
- لا تنشر المجلة الموضوعات المترجمة مباشرة من مجلات أجنبية، إلا إذا كان هناك إذن مسبق منها، وإن كان لا مانع من اتخاذها مصدراً من مصادر الموضوع، مع توضيح مواضع الاقتباسات بشكل علمي.
- المواد التي يعتذر من عدم نشرها لا تعني بالضرورة ضعف مستواها، ولكن قد تكون هناك مواد كثيرة في الموضوع نفسه سبق نشرها، أو تنتظر النشر. ولا ترد المقالات إلى أصحابها بأي حال من الأحوال.
- يرجى إرفاق صورة غلاف الكتاب الذي يتم عرضه في باب «قراءات» مع بيانات وافية عن الكتاب المعروض يشمل: عنوانه واسم مؤلفه ودار النشر ومقرها، وسنة النشر، وعدد الصفحات.
- تأمل من الإخوة الكتاب الذين يراسلون المجلة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني.
- الموضوعات التي مضى عليها وقت طويل ولم تنشر في المجلة سيتم الرد على الكتّاب بعد إعادة تقويمها بغض النظر عن أنها قد أجيزت من قبل للنشر.
- لا تمنح مكافآت على ما ينشر في بابي «رسائلكم» و«ردود وتعقيبات».
- يرجى الاهتمام بالتوثيق، ومن أهم ما ينبغي مراعاته:
  - يفضل تخريج الآيات القرآنية من القرآن الكريم مع تشكيلها، وذلك بذكر اسم السورة ووضع نقطتين بعدها ورقم الآية.
  - يفضل تخريج الأحاديث الشريفة من كتب الحديث مع ذكر طبعة الكتاب.
  - التثبت من النقول التي تنقل من الكتب، ولاسيما المصادر والمراجع التراثية القديمة مع ذكر طبعة الكتاب.
  - تشكيل الشعر ما أمكن، وخصوصاً القديم منه.
  - ضبط أسماء الأعلام والشعراء والأماكن والأشياء غير المعروفة والكلمات غير المألوفة بالشكل الصحيح، والتأكد من أن أسماء الأعلام الأجانب مطابقة لما هو متداول في لغاتهم إن أمكن.

الموضوعات التي تنشر في المجلة تعبر عن آراء كتّابها، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

السعر الإفرادي

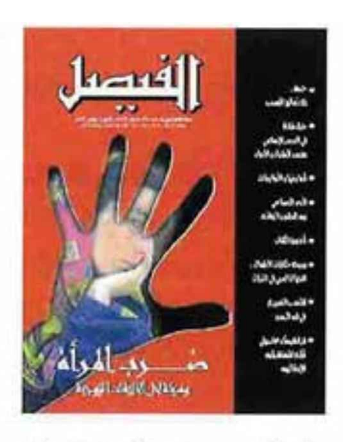
السعودية ٨ ريالات - الكويت ٦٥٠ فلس - الإمارات ٧ دراهم - قطر ٧ ريالات - البحرين ٧٥٠ فلس - عُمان ٧٥٠ بيسة - الأردن ٥٠٠ فلس - اليمن ٦٠ ريالاً - مصر جنيهان - السودان ٧٠ ديناراً - المغرب ٨ دراهم - تونس دينار واحد - الجزائر ٨٠ ديناراً - العراق ٤٠٠ فلس - سورية ٣٠ ليرة - ليبيا ٨٠٠ درهم - موريتانيا ١٠٠ أوقية - الصومال ٢٠٠٠ شلن - جيبوتي ١٥٠ فرنك - لبنان ما يعادل ٤ ريالات سعودية - الباكستان ٢٠ روبية - المملكة المتحدة جنيه إسترليني واحد.

الموزعون

السعودية - الشركة السعودية للتوزيع - هاتف ٦٥٣٠٩٠٩(٠٢)، فاكس ٦٥٣٣١٩١(٠٢)، مصر - مؤسسة توزيع الأهرام - شارع الجلاء هاتف: ٣٣٩١٠٩٥ - فاكس ٣٣٩١٠٩٦ - ٠٠٢٠٢، سورية - المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات ص.ب ١٢٠٣٥ هاتف ٢١٢٨٢٤٨، فاكس ٢١٢٢٥٣٢ - ١١ - ٠٠٩٦٣، تونس - الشركة التونسية للصحافة - ٣ نهج المغرب - ص.ب ٧١٩، فاكس ٧١٣٢٣٠٠٤ / هاتف ٣٢٢٤٩٩ - ٧١ - ٠٠٢١٦، قطر - دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع - ص.ب ٣٤٨٨ هاتف ٤٦٦١٢٨٢ - فاكس ٤٦٦١٨٦٥ - ٠٠٩٧٤، الأردن - شركة وكالة التوزيع الأردنية - ص.ب ٣٧٥ هاتف ٤٦٣٠١٩١ - فاكس ٤٦٣٥١٥٢ - ٦ - ٠٠٩٦٢، البحرين - مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ص.ب ٢٢٤ هاتف ٢٩٤٠٠٠ - فاكس ٥٣١٢٨١ - ٠٠٩٧٣، الإمارات العربية المتحدة - مكتبة دار الحكمة ص.ب ٢٠٠٧ هاتف ٢٦٦٥٣٩٤ - فاكس ٢٦٦٩٨٢٧ - ٤ - ٠٠٩٧١، الكويت - شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع ص.ب ٢٩١٢٦ ت ٢٤١٧٨١٠/١١/١٢ - فاكس ٢٤١٧٨٠٩ - ٠٠٩٦٥، المغرب - الشركة الشريفية لتوزيع الصحف فاكس: ٢٢٤٠٤٠٣١/٣٢ - ٠٠٢١٢ ت: ٢٢٤٠٠٢٢٣، الجمهورية اليمنية - القائد للنشر والتوزيع ت: ٢٠١٩٠١/٢ - ٣ - ٠٠٩٦٧ فاكس: ٢٠١٩٠٩/٧







ضرب المرأة وسيلة لحل الخلافات الزوجية

**يقصد الإسلام إلى بناء الأسرة على المودة والرحمة والعفة والأمن، فهل يمكن أن يكون المقصود بضرب الزوجة الإيلام والمهانة ؟
وإذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم لجأ، حين أصرت زوجاته على عصيانه، إلى مفارقة منازلهن، واعتزالهن مدة شهر ليدركن النتائج المترتبة على العصيان والتمرد دون أن يلجأ إلى شيء من اللطم أو الإهانة.. فما المقصود بضرب المرأة وسيلة لحل الخلافات الزوجية؟**

إدارة التحرير:

رئيس التحرير: يحيى محمود بن جنيد
مدير التحرير: عبدالله يوسف الكويليت

المراسلات للتحرير والإدارة:
ص.ب (٣) الرياض ١١٤١١ -
المملكة العربية السعودية
هاتف: ٤٦٥٣٠٢٧ - ٤٦٥٢٢٥٥
ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

الاشتراك السنوي:
١٥٠ ريال سعودي للأفراد، ٢٥٠ ريال سعودي للمؤسسات،
أو ما يعادلهما بالدولار الأمريكي خارج المملكة العربية السعودية.

الإعلانات:
هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ - ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

رقم الإيداع في مكتبة الملك فهد الوطنية ١٤/٠٥٤٢
ردمد ١١٤٠-٠٢٥٨

«الفيصل» وعصر العولمة

أشكر لكم شكرًا جزيلاً جهودكم الجبارة التي تبذلونها في الإسهام في تثقيف الشاب العربي المسلم الذي يعيش مرحلة من الحيرة والتخبط يبحث فيها عن وسائل الرقي والتقدم بعيدًا عن القيم الإسلامية، ومتناسيًا الحضارة العربية وقيمها ومبادئها، وأشيد بذلك الصرح العظيم، مجلة الفيصل الغراء التي تحمل إلينا بين طياتها مع كل هلال كنوزًا من الحضارة العربية والإسلامية وموضوعات بناءة وآدابًا جميلة تجعل الفرد، العربي المسلم على علم ودراية بحضارته العربية ليفتخر بها، ويحافظ عليها، بل يحاول أن يرقى بها إلى الأحسن خصوصا ونحن نعيش عصر العولمة، ومسابقة الزمن، وصراع الحضارات.

أرجو أن تقبلوني أخًا لكم وصديقًا لمجلتكم الغراء، ولكم مني خالص الشكر والتقدير.

خالد بن مشكل بن عبدالله آل سيلان

صعدة - اليمن

التحرير:

نشكر لك كلماتك الجميلة في حق «الفيصل» ونأمل أن تكون عند حسن ظن القراء، ولاشك أن ماتقوم به المجلة هو جهد المقل، فهناك جهود كثيرة من مؤسسات ثقافية متعددة في عالمنا العربي والإسلامي تعمل على إبراز الوجه الحضاري الحقيقي للعرب والمسلمين.

دعوة

في بداية رسالتي أود أن أتقدم بشكري العميق لكل العاملين بهذه المجلة القيمة على المجهودات الجبارة المبذولة من أجل استمرار التواصل بين أبناء هذه الأمة العربية والإسلامية، وتعزيز أواصر الصداقة بينهم. فبواسطة هذه المجلة تلتقي مختلف الآراء والافكار العربية، كما سعدت كثيراً بالأعداد التي وصلتني من مجلة الفيصل الغرّاء.

تحية حب وتقدير أخطها إلى كل من يساهم في تحرير هذه المجلة الغراء راجيًا من الله أن تعلو هامتها شامخة معززة مكرمة بين سائر المجلات العربية، وتحقق إنجازات أخرى بإذنه تعالى . سدد الله خطاكم.

وأتمنى من مجلتنا الكريمة القيام بزيارة إلى مناطق الجنوب الجزائري خاصة منطقة آلف لأنه يوجد فيها مايميزها من باقي المناطق الجزائرية، فتمتاز المنطقة بعادات وتقاليد متميزة وآثار ومعالم تاريخية، وهي ذات طابع عمراني قديم.

خالد الراجع

سيدي عثمان - الجزائر

التحرير:

نشكر لك آراءك، ودعوتك الكريمة، وسنعمل على تنفيذ اقتراحك، وليتك تستطيع أن تعد استطلاعًا مصورًا يشتمل على معلومات عن هذه المنطقة، تبرز عاداتها وتقاليدها وتراثها العمراني والحضاري، ونمط الحياة فيها في وقتنا الحالي.

جوائز المسابقة

فقد أرسلت عدة رسائل من قبل ولم يصلني أي رد، والمهم كان لي رجاء وهو أن تزداد فترة استقبال الإجابة عن المسابقة من ٤٥ إلى ٦٠ يومًا، وذلك لأنه في بعض الشهور، وفي بعض المناطق في مصر تصل المجلة إليها بعد مرور نحو ٤٠ يومًا على صدورها، وبذلك تصبح فترة الـ ٤٥ يومًا غير كافية.

ولدي اقتراحات بالنسبة إلى توزيع المبالغ المالية للمسابقة، ربما يكون فيه خير أكثر لجمهور القراء، إن شاء الله. أقترح أن توزع المبالغ المالية للجوائز التي تقدر بثلاثة آلاف ريال على ١٠ من الفائزين، ويكون نصيب كل فائز مبلغ ٣٠٠ ريال، وبذا يزيد عدد الفائزين من ٦ إلى عشرة؛ وتكون هناك مساواة بين جميع الفائزين.

وبالنسبة إلى المتسابقين المواظبين شهريًا على المشاركة في المسابقة، ولم

تسعدهم القرعة (الحظ) في الفوز بأي جائزة على الرغم من صحة إجاباتهم، وعلى مدى عدة سنين اشتركوا فيها، أقترح أن تفكروا في طريقة يحصل بها هؤلاء على بعض الجوائز، بأن تجمع الإجابات الصحيحة، ويُعرف أسماء أصحابها، ويأخذ المكثرون من إرسال الإجابات الصحيحة بعض الجوائز عن طريق قرعة أخرى أيضاً، أو غير ذلك من الحلول الممكنة، وشكراً جزيلاً.

عبدالعزيز محمد السيد عمر سماحه

ميت عاصم - المعهد الابتدائي الأزهري - الدقهلية - مصر

التحرير:

نحن حريصون على الرد على أي رسالة تصل إلينا من القراء الأعزاء، وهذه هي الرسالة الوحيدة التي وصلت إلينا منكم.

بخصوص الاقتراح الخاص بتمديد استقبال الإجابات عن أسئلة المسابقة، فإننا نعتقد أن هذه المدة كافية، ولكن علينا أن نبحث عن أسباب تأخير وصول العدد إلى القراء لنعمل على حل أي مشكلة في هذا الجانب، أما اقتراحاتك الأخرى، فسننظر فيها بما يحقق المصلحة والفائدة لأكبر عدد من القراء.

مطالب

أشكر لكم ما تبذلونه من جهد لإخراج هذه المجلة التي تتوجه إلى كل عربي.

ولي ثلاثة طلبات آمل العمل على تلبيتها، فأولاً: أطالبكم بإعادة الباب المفيد «دائرة المعارف» الذي يهم كل القراء، وثانياً: آمل الإسراع في إصدار «الفيصل الصغير» كما وعدتم من قبل، وثالثاً: آمل إعادة افتتاحية المجلة «إطلالة»

وفقكم الله إلى مافيه الخير والسداد.

فتحي يوسف محمد

الكرنك القديمة - الحساسنة - الأقصر - مصر

التحرير:

نشكر لك هذا الإطراء، ونعتذر في الوقت الحالي عن إعادة البابين اللذين طالبت بهما، وقد نتمكن مستقبلاً من إعادتهما بصورة جديدة تنال رضا القراء.

أما مجلة «الفيصل الصغير»، ففكرة جيدة، وأمل نسعى إلى تحقيقه، ولكنها تحتاج إلى وقت لتكون واقعاً.

ردود سريعة

الأخ مهدي محمد أحمد سلام، والأخت فوزية محمود الجهيني - القليوبية - مصر:

نشكر للأخ مهدي إطراءه، وموضوع نفاد المجلة من الأسواق مما لا يتيح لك ولغيرك الحصول عليها، سوف يتم النظر فيه مع المسؤولين عن التوزيع، واقتراحك بخصوص أن يكون كوبون المسابقة خالياً من الكتابة في الظهر يستحق الأخذ به وسوف نعمل على تحقيق ذلك قريباً.

ونرحب بالأخت فوزية صديقة جديدة للمجلة ، ونأمل أن تحظى أعداد المجلة دوماً برضاها ورضا القراء الأعزاء.

الأخ علي أحمد حميح - الدار البيضاء - شمسان - اليمن:

اقتراحك بإصدار مجلة للأطفال باسم «الفيصل الصغير» يعد فكرة من الأفكار التي تعمل دار الفيصل على تنزيلها إلى أرض الواقع، ولكن ذلك يتطلب إعداداً جديداً، وجهداً فكرياً ودعماً مالياً، ويبدو أن القراء متحمسون لهذه الفكرة، إذ تأتينا رسائل كثيرة يطالب أصحابها بإصدار «الفيصل الصغير» في أقرب وقت.

الأخ عدنان كنجو - جامعة حلب - سورية:

نرحب بعودتك مجدداً إلى قراءة المجلة واهتمامنا بالموضوعات العلمية كبير جداً، نأمل أن تجد فيها المفيد النافع، ورفع البائعين لسعر المجلة عما هو محدد فيها سوف نعمد على بحثه مع الجهات المختصة.

ونبشرك بأن النية تتجه إلى إصدار مجلة علمية متخصصة باسم «الفيصل العلمية»، ونأمل أن نستطيع سد الفراغ الكبير الموجود في الإصدارات العربية العلمية المتخصصة.



عبد الرحمن مراد
حجة . اليمن

«حجة» بفتح الحاء المهملة والأصل ضمها مع تشديد الجيم المعجمة، مدينة في الشمال الغربي من العاصمة اليمنية «صنعاء» على بعد ١٢٧ كم، تمد ذراعيها على قمة جبل يبلغ ارتفاعه ١٩٠٠م عن مستوى سطح البحر، وهي سلسلة جبلية أعلاها جبال الشراقي الملاصقة لمسور من الجهة الشمالية حيث يصل ارتفاعها إلى ٢٥٠٠م عن مستوى سطح البحر وتمتد بمحاذاة الظفير ومبين، وتطل من جبال خولان على بني قيس، وتتاخم جبال وضرة والشغادرة ونجرة. ومن جبال «حجة» يسيل شلال «عين علي» ووادي عيان، وهي غنية بالآثار وبها مركز محافظة «حجة».

وتنسب «حجة» إلى (حجة بن أسلم بن عليان بن زيد بن جشم بن حاشد). وحجة هذا أخو حجور الذي تنسب إليه بلاد حجور التي تتكون من قضاء وشحة والشرفين وغيرها من البلاد المتاخمة للمخلاف السليماني جنوب المملكة العربية السعودية من البلاد الواقعة شرق البحر الأحمر من جهة ميدي اليمنية وجيزان السعودية.


مدخل قلعة القاهرة

لمحة تاريخية

لحجة موقع جغرافي متميز، ومساحة واسعة ممتدة من أعالي الجبال ومنحدرة في اتجاه الأودية، والمنخفضات السهلية والساحلية، حتى مياه البحر، يضاف إلى ذلك التنوع في طبيعة التضاريس وخصوبة التربة، ووفرة المياه والمناخ الملائم، كل تلك العوامل ساعدت على استقرار الإنسان في هذه المحافظة منذ وقت مبكر، حيث مارس نشاطه تاركًا بصماته معبرة عن واقع هذا النشاط وهويته ، عبر مراحل التطور الحضاري.



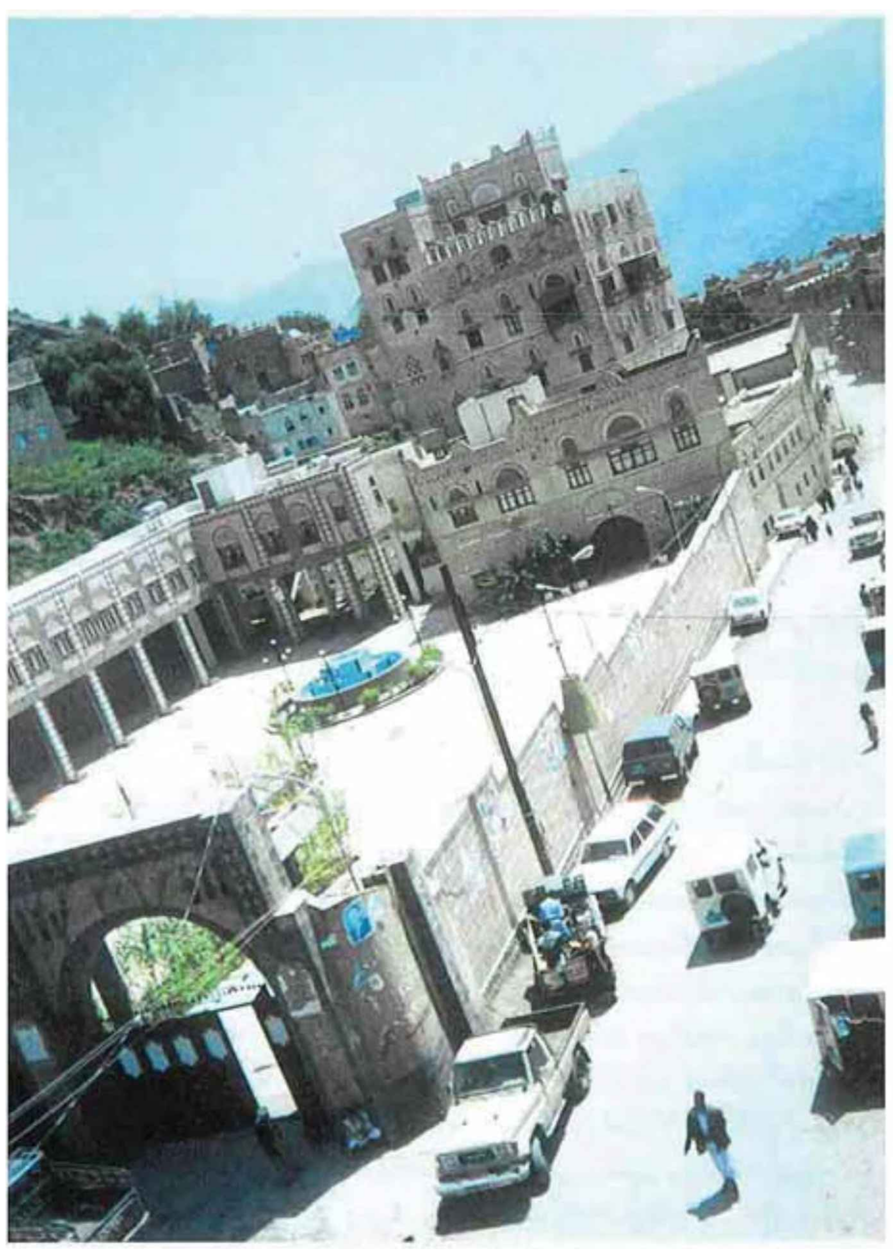
جانب من المدينة القديمة، وفي أعلى القمة قلعة «قاهرة حجة» التاريخية

وقد دلت مجموعة «اللقى» والأدوات الحجرية التي استخدمها الإنسان اليمني القديم في حياته ومعيشته في أثناء تلك الحقب التاريخية بالإضافة إلى التلول الأثرية التي كشفت عنها المسوحات الميدانية والدراسات الأثرية في كل من منطقة المنقم والروبوعي والرغد وغيرها من المواقع المنتشرة بجوار وادي مور الشهير بمديرية الطور على ما تحتويه من بقايا أساسات لمبانٍ دائرية الشكل كانت في الأصل - كما يقول الباحثون - مستوطنات بشرية من العصر الحجري، وهي تحكي بوضوح قصة الإنسان في مرحلتي الصيد وجمع الثمار، وكذا بداية الاستيطان، وممارسة الإنسان لمهنة الزراعة، والاعتماد عليها في طعامه، وكذا الاستقرار الذي ظهر أكثر وضوحاً في «جرف البهائمي» الواقع في مديرية المفتاح من أرض الشرفين، والذي استوطنه الإنسان قديماً وترك بصماته في سقفه على هيئة خطوط ودوائر وأشكال ورسومات بدائية لحيوانات مختلفة في لوحة تعبيرية لها دلالات رمزية تتعلق بحياة الإنسان ومعتقداته.

وفي مرحلة متأخرة ظهر الإنسان بوادي اللصبة الكائن اليوم في «جبل جبر الأسفل» بمديرية المفتاح، حيث ترك بصماته على سقف جرف الجريوني وجرف جبل الذخر على شكل لوحات تعبيرية تضمنت رسومات بدائية وكتابات أولية منضدة على الصخر باللون الأحمر القاني، وتشير في مجملها إلى طبيعة الحياة وقسوتها والصراع القائم بين الإنسان وما يحيط به من الوحوش والحيوانات المفترسة، والطرائق والأساليب المبتكرة للتكيف مع الطبيعة، والتغلب عليها من قبل الإنسان الذي استوطن هذه المحافظة «حجة» في عصور ما قبل التاريخ حيث مارس نشاطه، وترك آثاره، وبصماته على جدران الكهوف والمواقع التي عاش بها.

وقد ذكرت المصادر التاريخية سوق قطابة، الواقع حالياً في مديرية كحلان عفار، ضمن الأسواق المشهورة التي اعتاد العرب ارتيادها من كل حدب وصوب للتجارة وغيرها، ولم يكن هذا السوق أقل شأناً عن الأسواق الأخرى، وأيضاً سوق الجريب في بلاد حجور حالياً (مدينة تابعة لمديرية الشاهل) والذي استمر نشاطه حتى القرن السابع الهجري. وأشارت المصادر التاريخية إلى حصن عفار على أنه من المعالم الحضارية في اليمن ومعاقلها المنيفة، إذ لا تزال آثاره قائمة، تؤكد أهميته من الناحية الوظيفية والمعمارية إلى جانب الدور الحربي الذي ظل يقوم به حتى وقت قريب.

وتشير النقوش والكتابات الحميرية التي ورد ذكرها في عدد من المصادر التاريخية في أماكن سنفرقة من وادي «حرض» إلى أهمية «حجة» ودورها البارز في صنع الحضارة اليمنية العريقة.



قصر سعدان كان مقر حكومة الإمام، وأصبح الآن مقراً للحكومة، ويسمى القصر الجمهوري

وقد شمل هذه المحافظة حكم الدولة الإسلامية الكبرى القائمة في المدينة ودمشق وبغداد، كما شمل غيرها من مخاليف اليمن، والذي ظل حتى القرن الثالث الهجري عند بداية ظهور الدويلات اليمنية المستقلة، إذ زاد اهتمام تلك الدويلات بهذه المحافظة، وتنافست في الاستيلاء عليها، والسيطرة على معاقلها وحصونها، وتكررت تلك الأحداث، وشهدت تطورات مهمة، وظل الأمر كذلك حتى نهاية القرن التاسع الهجري إثر سقوط آخر الدويلات المستقلة «بنو طاهر».

ومع دخول المماليك وتلاهم العثمانيون إلى اليمن احتلت حجة مواقع متقدمة في المقاومة ضد الاحتلال، وإليها لجأ كثير من زعماء المقاومة، وتحصنوا في معاقلها، ومنها قادوا معاركهم ضد العثمانيين الذين وجدوا مقاومة عنيفة، وتكبدوا



جانب من مدينة حجة

خسائر فادحة في غزواتهم المتكررة في كل من حجة والظفير وكحلان والشاهل والمحابشة وميدي وتهامة.

وكانت حجة موطن عدد من حكومات الأئمة السابقين، ومستند بعض الحركات المذهبية المناهضة للحكم المركزي في بغداد والقاهرة الفاطمية، كما كانت ملاذا آمنًا لأحفاد دولة الإمام القاسم، وخط دفاعهم الأخير في وجه العواصف السياسية والثورات الوطنية، ويمكن أن نوجز بعض تلك الأحداث على النحو الآتي: منها ما حدث في سنة ٣٠٣هـ في عهد الإمام الناصر أحمد بن الهادي يحيى (٣٠٠ - ٣٢٥هـ) إذ تذكر كتب التاريخ أنه بعث رسالة إلى أهالي حجة فقاموا بتمزيقها أمام الرسول متحدين كل ما يمكن أن يسفر عن ذلك الفعل، وتقول كتب التاريخ إنه أحجم عن مواجهة المدينة تاركاً ذلك للزمن.

وفي سنة ٥٩٤هـ شن الإمام عبد الله بن حمزة (٥٨٣ - ٦١٤هـ) حملة عسكرية متذرعا بالانتقام لقبيلة بني بطين من قبيلة بني سام، والكل من أبناء المحافظة، وباءت تلك الحملة بالإخفاق، وقد كانت حرباً ضروساً كما تقول بعض المصادر.

وفي سنة ٥٩٥هـ انهزم الإمام إسماعيل بن حمزة عند حصنها المنيع، ورجع يلعق أوحال الهزيمة، وفي القرن الرابع عشر الهجري ضرب أبناء المحافظة أروع مثل للبطولة والصمود بتصديهم للجيش التركي بدءاً من حرب العصابات إلى حرب عصابات منظمة نازلت الجيش التركي بقيادة الإمام الهادي الحسيني، وبعد موت الهادي استمرت الحرب بين اليمن والترك بقيادة السيد محمد بن يحيى حميد الدين القاسمي ومن بعده ابنه الإمام يحيى وتبلغ قمة ضراوتها وتضحياتها في عهد الإمام يحيى وعنده ينتهي الصراع اليمني التركي الذي امتد من سنة (١٢٨٩إلى ١٣٢٩هـ) وعقد معاهدة (١٣٢٩هـ) التي خولت الإمام يحيى الحكم والسلطة. وتضرب حجة خلال تلك الفترة أروع الأمثلة في البطولة والتضحية والاستبسال. وفي سنة ١٣٣٧هـ أعلن محسن شيبان

الحرب على الإمام يحيى حميد الدين، وتذكر المصادر التاريخية أن الأمير يحيى بن ناصر شيبان، وهو من نسل المطهر بن شرف الدين قد اتفق مع الشيخ ناصر بن مبخوت الأحمر على إشعال ثورة من حجة تمتد فتغطي الشمال الغربي ثم تطبق على صنعاء فتجبر الإمام يحيى على الاعتزال، وتقول المصادر: إنه لنجاح العملية قرر شيبان والأحمر الاتصال بمن يثقون بهم كأبي منصر بـ: (ثلا) والسيد عبد الوهاب الحوري من مشايخ مسور حجة ومجموعة من مشايخ وأعيان حاشد كالشيخ محمد القديمي، واكتشف الإمام يحيى المخطط فقبض على الأمير يحيى شيبان واعتقله بسجن غمدان، فتولى المهمة أخوه محسن، وقد أرسل الشيخ ناصر الأحمر قوة بقيادة ابنه الشيخ حسين الأحمر، وكان مركز قيادة الثورة «قاهرة حجة»، وقد سيطروا على قرية صعصعة من أجل تأمين المدينة من ناحية (الأمان) التي كانت تحت سيطرة الأدارسة، وتدور رحى الحرب بين الطرفين، وفي غفلة المصالحة التي كان يقودها سيف الإسلام محمد بن المحسن والشيخ حزام الصعر يطلع من شمال حجة سيف الإسلام أحمد بن الإمام يحيى في عسكر جرار معظمه من الأهنوم والعصيمات، وقد تم له السيطرة على المواقع المهمة المحيطة بحجة من ضمنها حصن كوكبان حجة المطل على حجة، ويقول المؤرخون إن الحرب كانت عوانًا بين الطرفين وقد ثبت فيها محسن شيبان وحسين الأحمر على الرغم من قلتهم، وسيطرة الإمام على المواقع المهمة في حجة، حتى إنه لم يبق بأيديهم سوى قلعة القاهرة، فتم التصالح على خروج محسن شيبان وحسين الأحمر بكل ما في القاهرة من أموال وسلاح ما عدا المدافع إلى حاشد.

وبعد أن هدأت الأمور وساد الأمن ظل سيف الإسلام أحمد بن الإمام يحيى أميرًا على حجة واتخذ مدينة حجة



زراعة البن وبيعه من أهم الأنشطة على الرغم من زحف زراعة القات


الفواكه المحلية تحتل مكانًا بارزًا في سوق حجة

مركزًا لإمارته. يقول «الشماحي» وكانت تتحكم في لواء حجة طائفتان: المشايخ المحليون ومشايخ حاشد وبكيل، كآل الأحمر، وآل جزيلان، وآل هراش، وآل المعمري، وآل الرميني، والزرقة، وأبو رأس، وشمسان، وآل الشايف، وغيرهم، وقد آلى سيف الإسلام أحمد على نفسه التغلب عليهم فتم له ذلك وساء هذا التصرف الشيخ ناصر بن ناصر الأحمر فزحف بجيش عن طريق حبور حتى وصل حصن «نيسا» وتعرض له هناك القاضي حمود حميد، وسرعان ما قتل القاضي حمود حميد، واحتل

سيف الإسلام أحمد بإثارة القبائل بالرسائل وإرسال القواد والرعاة لمهاجمة صنعاء واتصل من فوره بالشخصيات القوية التي يعرف طموحها ومنافستها لعبد الله الوزير، الإمام الجديد في صنعاء بعد مقتل والده يحيى حميد الدين، وتكون حجة في هذه الفترة مركزاً قيادياً للإمام الناصر أحمد يحيى حميد الدين لاستعادة حكم أبيه، ويتم له ذلك ليلة السبت ٣ جمادى الأولى ١٣٦٧هـ باستسلام الإمام عبد الله الوزير.

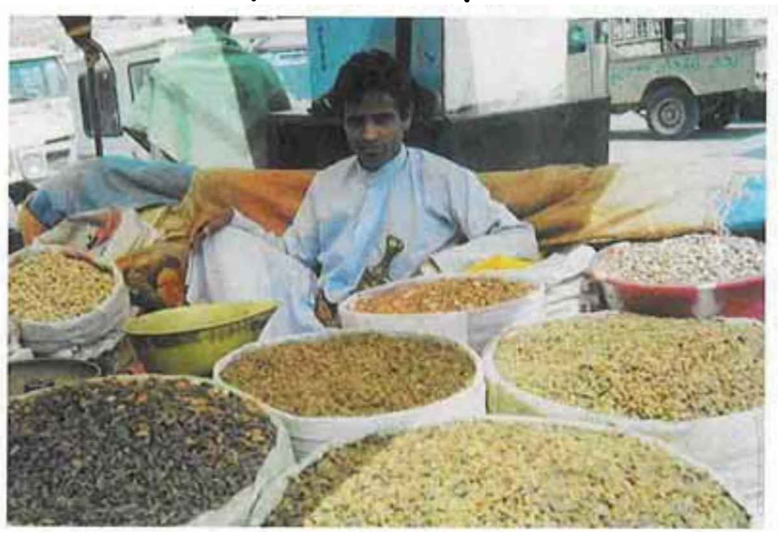
ومن حجة يصدر أوامره إلى جميع أنحاء اليمن بجمع كل رجال الثورة وكل مفكر ومتحرر والاحتفاظ بهم، وسوق الصفوة منهم مقيدين في الأغلال إلى حجة وهناك يستقبلهم سجن نافع وسجن المنصورة وسجن القاهرة.

وكانت أول دفعة تصل إلى حجة على إثر معركة (شبام) تضم: السيد محمد بن محمد الوزير، والشيخ عبد الله أبو لحوم، ثم الأمير عبد الله بن أحمد الوزير، ثم الرئيس جمال جميل وهو أحد الطيارين العراقيين في سلاح الجو اليمني، والأمير علي بن عبدالله الوزير، والأستاذ النعمان ورفاقه، والشماحي وأحمد الشامي وحسين الكبسي.

وبعد انتقال الإمام أحمد إلى تعز بدأت أنهار الدماء تنساب على وهاد حجة وسهولها، إذ بدأت أول مجزرة بإعدام زيد الموشكي والإمام عبد الله الوزير بقاهرة حجة ضرباً بالسيف، ثم تتابع الإعدام بحورة حجة وبصنعاء جماعات جماعات، وكان يوم الجمعة هو الموعد الرسمي لإقامة مثل هذه المجازر، ووصل عدد من تم إعدامهم من حجة عشرين هم: عبد الله الوزير، وعلي الوزير، ومحمد ابن محمد الوزير، وعبد الله محمد الوزير، وعبد الله بن حسن أبو راس، ومحمد بن حسن أبو راس، وحسن بن صالح الشايف، ومحسن هارون، وعزيز يعني، والخادم غالب



الأواني الفخارية صناعة رائجة في حجة



الزبيب المحلي له ذيوعه وحضوره

الشيخ ناصر الأحمر حصن نيسا، وبعد مقتل القاضي حمود انشق جيش الأحمر وإذا شطر هذا الجيش يعود أدراجه واضطر الشيخ ناصر إلى التوقف بحصن نيسا قرابة عام ثم عاد إلى بلاده، ثم عين سيف الإسلام أميراً في تعز وعين في حجة بدلاً عنه عبد الملك المتوكل. وتتوالى الأحداث وإذا ثورة ١٥مارس ٤٨م تودي بحياة الإمام يحيى حميد الدين، فيترك سيف الإسلام أحمد تعز ويتجه صوب تهامة ومنها ينطلق إلى حجة التي وصلها نهار يوم الجمعة ١٠ ربيع الآخر ١٣٦٧هـ، ومن حجة بدأ

الوجيه، وزيد الموشكي، ومحمد المسمري وأحمد المطاع، وحسين الكبسي، ومحيي الدين العنسي، وأحمد الحورش، وأحمد البراق، وعبد الوهاب نعمان، وأحمد ناصر القردعي. على فترات تاريخية متفاوتة تقارب العامين.

وبعد قيام ثورة السادس والعشرين من سبتمبر عام ١٩٦٢م شهدت المدينة صراعات دامية مدة سبعة أعوام (مدة الصراع بين الجمهوريين والملكيين) إلى أن استقر الأمر وتجذرت الثورة في بداية السبعينيات، حينها بدأت المشروعات التنموية تنهال على المحافظة بدءاً من مشروع الماء والكهرباء الذي تم افتتاحه في ٩ سبتمبر ١٩٧٤م وكان فاتحة خير في انتشار بقية المشروعات في ظل هيئة التعاون الأهلية التي تم تأسيسها في المحافظة في شهر أبريل ١٩٧٤م؛ وبدأت هذه المحافظة تشهد توسعاً ملحوظاً في مجال التعليم من ٩٠٠ طالب وطالبة في عام ١٩٧١م إلى ٣٠٠ ألف طالب وطالبة في عام ٢٠٠١م، وقد لبست المحافظة خلال عقدين ونيف من الزمن ثوباً قشيباً أهلها أن تواكب تطورات العصر التقنية والمعرفية.



النارجيلة وصنعها في المحافظة

وقد تعاقب على هذه المدينة أربعة عشر محافظاً، أولهم محمد عبد الله الكحلاني، وأبرزهم مجاهد أبو شوارب وآخرهم العميد محمد عبد الله الحرازي.

وقد شهدت في عهد الأخير محمد عبد الله الحرازي حركة ثقافية غير عادية بفضل دعمه وتبنيه للطليعة المثقفة إيماناً منه بدور هذه المحافظة الريادي، ولغياب هذا الدور في السنين الماضية (في عهد سابقيه) وهي الآن تحاول أن تنفض غبار السنين وتستعيد ذاكرتها الثقافية والعلمية.

قلعة القاهرة

تقع قلعة القاهرة على ربوة مرتفعة مطلة على المدينة وبمحاذاة حصن نعمان، وتشكل مع مجموعة الحصون الأخرى حزاماً أمنياً يطوق المدينة التي تربض عند أقدامها في هدوء وسكينة ، وتشعر وأنت ترسل بصرك بجمال الطبيعة وسحرها، وفي استطاعتك أن تشاهد كل شيء، وتستعيد كل شيء، لقد اكتسب هذا المكان شهرة واسعة لارتباطه



فل ونباتات عطرية


صناعة الجنابي والأحزمة من أشهر الصناعات اليمنية

بقادة الحركة الوطنية الذين كتبوا وهم ينزلونه شعراً جميلاً، وملاحم تجسد بطولاتهم وتفانيهم في حب وطنهم «اليمن».

غالبية قادة الحركة الوطنية التحررية كانوا هنا «في القاهرة» ومن هنا انطلقوا، وبعضهم من هنا بدأ كتابة القصيدة، المكان الذي احتضن المشير السلال أول رئيس لليمن بعد قيام الثورة ما زال قائماً ويسمى باسمه، ثمة صهاريج ومدافن للحب مازالت قائمة.

النفق الذي كان يستخدمه الإمام أحمد يحيى حميد الدين للوصول إلى وسط القلعة، مازال شاهداً على سني الرعب والمعاناة، التي خيمت على وجدان الأحرار، وهو نفق يمتد من وسط القلعة إلى خارج أسوارها من الجهة الشمالية، تفصله عن قصر «سعدان» مقر إقامة الإمام وحكمه عشرات الأمتار.

وصف القلعة وتاريخها

قلعة القاهرة بحجة حصن منيع يمتاز بقدرته الدفاعية ومنعته على المناوئين، وتشكل هذه القلعة بالإضافة إلى حصن نعمان، وحصن الجاهلي، وحصن الظفير، حزاماً أمنياً محكماً ويعود تاريخ بنائها إلى القرن الحادي عشر الميلادي، في أثناء فترة حكم الدولة الصليحية، وتم تجديد البناء في القرن السادس عشر الميلادي خلال الحكم الأول للدولة العثمانية لليمن، وتم تجديد البناء والإضافة إليه سنة ١٣٤١هـ.

وتتكون القلعة من سور ضخم دائري الشكل يأخذ بعض الاستطالة من بعض جوانبه وتبلغ مساحته ٧٠٠ م تقريباً تسنده بعض الأبراج الدفاعية الدائرية الشكل بارزة إلى الخارج، وتتخلل جدار السور والأبراج فتحات صغيرة للمراقبة والرماية والبوابة الرئيسة للقلعة تقع في الجهة الغربية يتم إغلاقها بواسطة باب خشبي سميك شديد الصلابة، ومنه يتم الصعود بواسطة سلالم حجرية مرصوفة بعناية، وعلى جانبيه حجرات السجن المظلمة وفي أعلاه صهاريج المياه ويتكون المبنى الرئيس من ثلاثة



سوق حجة القديم مازال يؤدي دوره في حياة الناس

طوابق، ويشكل القسم الداخلي للقلعة، كل طابق مكون من غرفتين وحمام وصالة. ويتم الوصول إلى سطح القلعة بواسطة درج «مصعد»، إذ تقع تحصينات الدفاعات الخارجية المطلة على واجهة المدينة وأجزائها الشرقية والغربية شبه المخفية.

هيكلية المبنى متأثرة بشكل أو بآخر بأسلوب هندسة العمارة التركية مع وجود بعض اللمسات الفنية لطابع العمارة اليمنية، وفي النصف الأول من القرن العشرين في أثناء حكم أسرة بيت حميد الدين لليمن احتضنت قلعة القاهرة بحجة أبناء مشايخ اليمن «كرهائن» لضمان

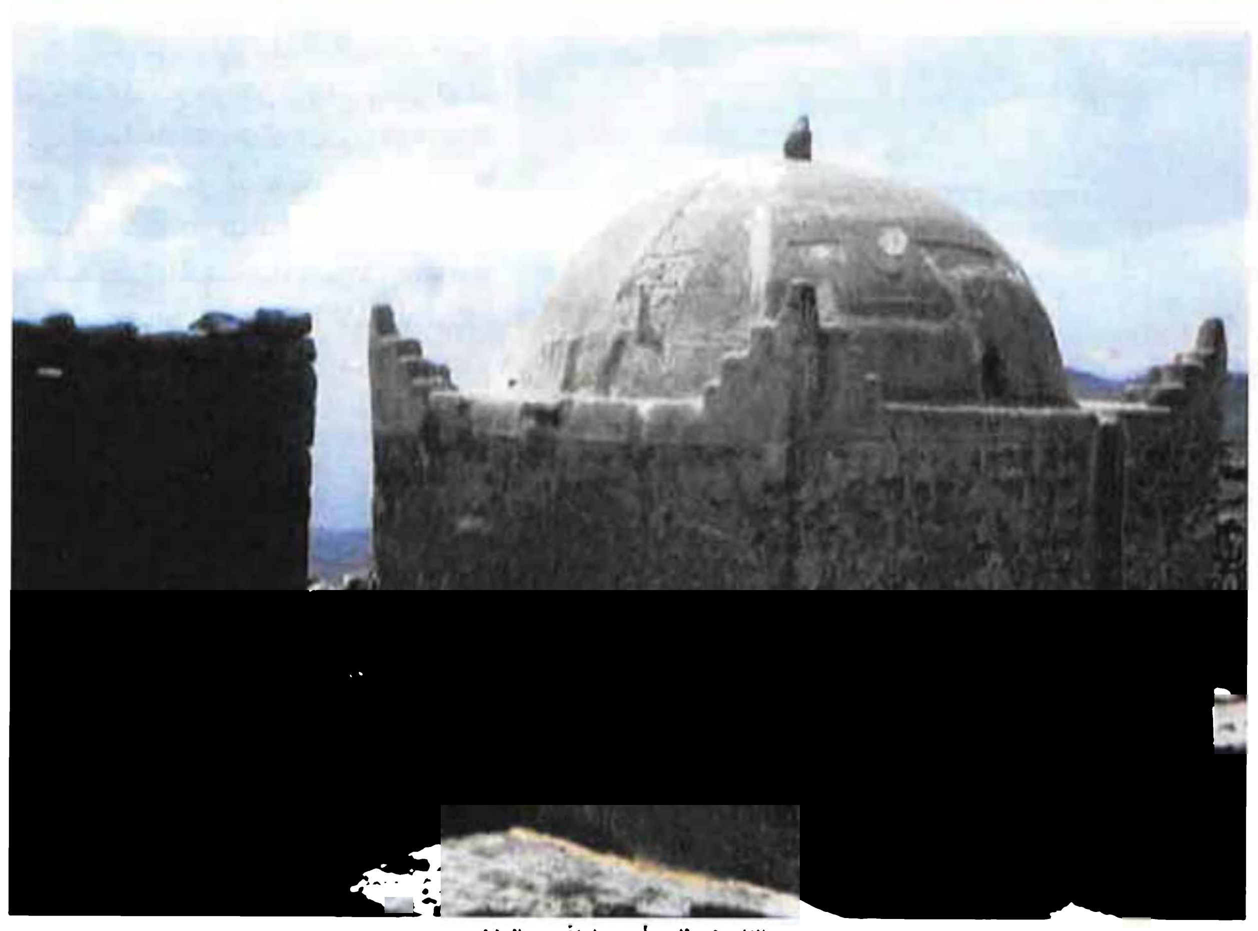


لمسات إبداعية

الولاء من قبل مشايخ القبائل، ومنذ بداية عقد الخمسينيات احتضنت قلعة القاهرة قادة المعارضة للحكم الإمامي باليمن الذين نزلوها سجناء سياسيين واكتسبت بوجودهم فيها شهرة واسعة، وشكلت معلماً تاريخياً اقترن بحركة التمرد والتحرر الثوري في اليمن.

سجن قلعة القاهرة .. ومدرسة حجة الشعرية

مع وجود الطليعة المثقفة داخل جدران سجن القلعة «قلعة القاهرة» بعد نكسة ١٩٤٨م اليمنية تفجرت الكوامن الشعرية عند معظم الأسماء الشعرية المعروفة حالياً، وكان هناك حركة ثقافية



التاريخ يطل برأسه حاملاً عبق الماضي

كان من نتاجه بروز أسماء شعرية جديدة لم يكن لها صلة بالشعر قبل ذلك، مع إطلاق صحيفة «سلوى» الحائطية التي كان لها دور في المسيرة الأدبية والجدلية، يقول عبدالله البردوني: «فقد تحول سجن حجة إلى مدرسة شعر، تبارت فيها القرائح والنزاعات الأدبية حتى أدت إلى اختلاف الرأي في السياسة وذهاب المودة أحياناً، مع أن - اختلاف الرأي لا يذهب للود قضية - إلا أن هذا الاختلاف والتكاره لم يمنعا من الاستمرار في الشعر كل على طريقته»، ومهما اختلف مؤرخو الأدب حول مصطلح التسمية حول هذا التصنيف مع الأستاذ البردوني إلا أن الأمر يظل يحمل تلك الخصوصية المرجعية والمكانية، وتظل تلك الأسماء التي تم تصنيفها في إطار مدرسة حجة، ذات منحى خاص في تاريخ الحركة الأدبية اليمنية. وقد ضمت هذه المدرسة حسب تصنيف البردوني: إبراهيم الحضراني، وأحمد عبد الرحمن المعلمي، وأحمد محمد الشامي، وأحمد حسين المروني، ومحمد صالح المسمري، ويمكن عدّ القاضي عبد الرحمن الإرياني ، الرئيس الثاني للجمهورية من ضمن تلك المدرسة، لكونه تعامل مع القصيدة في ذلك المكان «قاهرة حجة» وكتب ملحمته المسماة «ملحمة سجون حجة» بالإضافة إلى تحقيقه ديوان محمد عبد الله شرف الدين الموسوم «مبيتات وموشحات».

على أن المكان الذي ألهم الوافدين إليه، ظل عاجزاً عن إلهام قاطنيه، إذ لم يبرز تحت رابعة النهار أي اسم شعري يترجم خصوصية ذلك المكان، وقد لا نستطيع الجزم بذلك بشكل مطلق إلا أننا نستطيع القول إن هناك أسماء شعرية كتبت شيئاً يستحق الذكر غير أن الثقافات المتعادية التي أفرزتها حركات التململ الثوري قد وارت كثيراً من ذلك

الإرث الثقافي، بدليل ثراء الذاكرة الشعبية بمرويات تتربع على فنن الإبداع، وعلى الرغم من ذلك فما زالت تلك الذاكرة يعلوها التراب، ولم تجد حتى الآن أيادي أمينة قادرة على أن تجلوها وتعيد لها صفاءها وجمالها لكون التاريخ أصبح ملكاً للأجيال المتعاقبة، وليس من حق أحد مصادرته، والأدب هو الوجه الآخر إن لم يكن هو التاريخ الفعلي والحقيقي لأي مجتمع أو تجمع إنساني لكونه - أي الأدب - نتاج نشاط نفسي وذهني ونتاج معاناة بإمكانها تصوير الحالة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية تصويراً يأخذ جزيئات الحياة في الحسبان، وهي جزيئات يغفل عنها التاريخ ويتحاشى ذكرها وقد تكون في أحيان كثيرة ذات أهمية بالغة في تفسير كل الظواهر الاجتماعية والسياسية في معانيهما الشاملة.



تاريخ حجة الثقافي

انتشرت في حجة هجر العلم ومعاقله، وأمها الطلاب من كل حدب وصوب، وشكلت مدينة «شهارة» التابعة لحجة منارة ساطعة تخرج فيها معظم قادة الفكر الزيدي



بعض المشغولات اليدوية في المحافظة

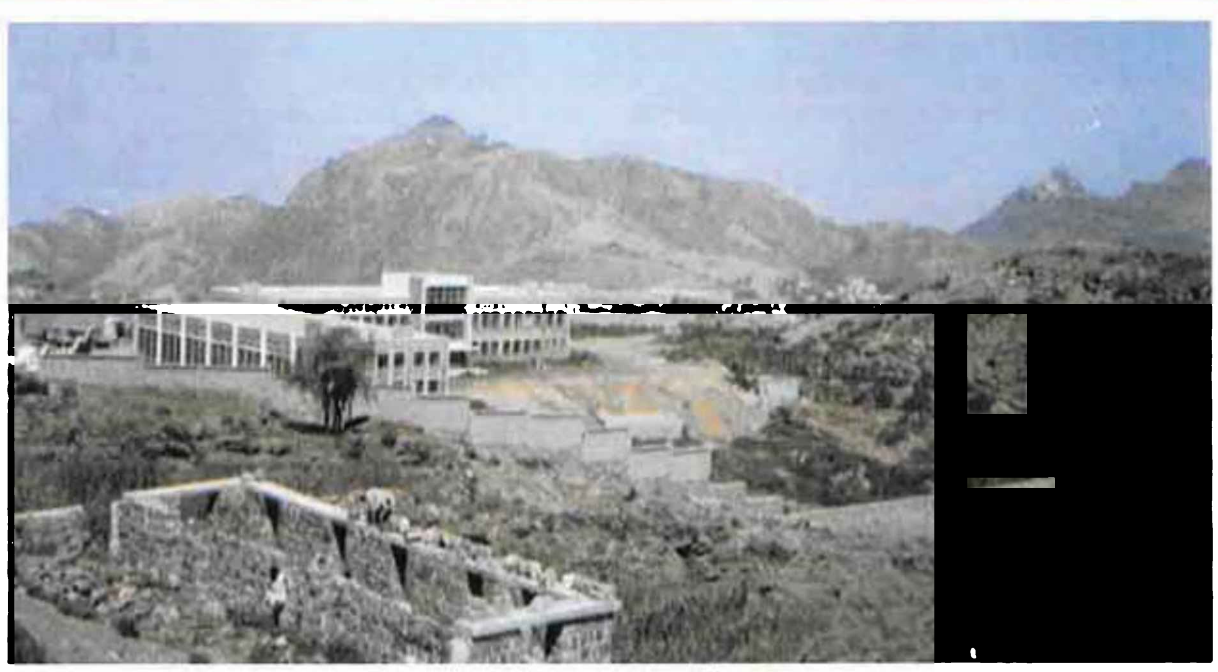
بالإضافة إلى «الظفير» التي أخذها الإمام العالم المفكر أحمد بن يحيى المرتضى مقراً له، وأصبحت منارة علمية وفكرية بالغة الأهمية، وعندما وقعت الجفوة بين الإمام يحيى حميد الدين وبعض الشخصيات الدينية في عصره، هاجر إليها، أي بلدة «الظفير»، العالم عبد الوهاب بن محمد بن المجاهد الشماحي في سنة ١٣٣١هـ ونشطت



منظر عام



قلعة قاهرة حجة



مبان حديثة تتوسط المباني القديمة في حجة

على يديه، وأمها الطلاب من كل حدب وصوب، وأثار ذلك ضغينة سيف الإسلام أحمد يحيى حميد الدين أمير حجة، فتوقفت عن أداء رسالتها سنة ١٣٤٠هـ بناء على أمر من قبل الأمير وتحولت تلك الهجرة إلى مدينة حجة.

ومن أشهر الأعلام الفكرية:

- **الإمام المهدي أحمد بن يحيى بن المرتضى:** ولد يوم الاثنين ٧ رجب سنة ٧٧٥هـ، قرأ في علوم عصره وبرع فيها وفاق أقرانه، له عدة مصنفات منها:

- نكث الفرائد في معرفة الملك الواحد.
- القلائد وشرحها.
- الملل وشرحها.
- رياضة الأفهام في لطيف الكلام.
- كتاب الفصول في معاني جوهرة الأصول.
- معيار العقول.
- الكافية في شرح الكافية.
- كتاب الأزهار وشرحه، الغيث المدرار في أربعة مجلدات وغيرها. بايعه الناس إماماً في شهر شوال سنة ٧٩٣هـ بمدينة صنعاء بمسجد جمال الدين، ثم سجن بقصر صنعاء من سنة ٧٩٤هـ إلى ٨٠١ هـ، وفي السجن صنف كتاب الأزهار، المرجع الفقهي للمذهب الزيدي (في اليمن) ثم رحل إلى ظفير حجة، واستقر به المقام هناك إلى أن توفاه الله في شهر ذي القعدة سنة ٨٤٠هـ وقبره



أحد الميادين

بظفير حجة مشهور ومزور.

- الإمام المطهر بن يحيي بن المرتضى بن القاسم بن المطهر بن علي بن الناصر بن الهادي: كان إماماً جامعاً للشروط، ولم تزل الحرب بينه وبين المظفر غير مرة وفي جهات شتى ويسمى «بالمظلل بالغمامة» يقال إنه تصادم مع المؤيد بن المظفر (بتنعم) من جبال اللوز والمؤيد يومئذ متولي صنعاء، من جهة أبيه المظفر، فلما كان المؤيد قريب الهجوم على المطهر أرسل الله سحاباً

أحد المباني التعليمية الحديثة وتظهر قاهرة حجة

كثيفاً التصق بالأرض وأخفي المطهر عنه فرحل هو ومن معه ونجوا من شرهم، ولذلك سمي المظلل بالغمامة.

توفي الإمام المطهر في سنه ٦٩٧هـ وقبره بدوران حجة «حالياً قدم حجة» وقبره بها مشهور.

- العالم الفضل بن أبي السعد العصيفري :

(ت ٦٠٠هـ) مؤلف كتاب الفائض في علم الفرائض.

- العالم عبد الله بن محمد القاسم النجري:

(ت ٨٧٧هـ) صاحب كتاب شرح الأزهار .

- العالم أحمد بن محمد بن صلاح الشرفي:

(ت ١٠٥٥هـ) مؤلف كتاب عدة الأكياس في شرح الأساس.

- العالم لطف بن محمد الغياث الظفيري:

(ت ١٠٣٥هـ) مؤلف كتاب «المناهل الصافية».

- العالم الحسين بن ناصر بن عبد الحفيظ المهلا:

(ت ١١١١هـ) مؤلف كتاب «الفرائد العسجدية».

وغيرهم من العلماء الأعلام الذين أسهموا بقسط وافر من النتاج الفكري والثقافي والمعرفي وأثروا المكتبة العربية بثروة ضخمة من التراث الفكري العربي الإسلامي، وتركوا نفائس المخطوطات المكتوبة على الجلد والورق والقماش، وتضم معظمها خزائن المكتبات العامة والخاصة وبيوت العلماء في جميع أرجاء المحافظة، وتعد تلك المكتبات كنوزاً عظيمة للباحثين والدارسين في مختلف التخصصات.

وفي النصف الأول من القرن العشرين تحولت حجة إلى مدرسة علمية فكرية وأدبية ذائعة الصيت أحدثت جدلاً أدبياً وفكرياً وكانت منطلقاً لعملية التحرر.

سوق حجة القديم

في حجة سوق قديم مازال يؤدي دوره في حياة الناس وبالأسلوب البدائي نفسه الذي كان في سالف عهده. شوارع السوق ضيقة ومرصوفة بالحجر «البلق» ومعظم حوانيت السوق، لا تتجاوز ٢×٣ أمتار مربعة، تطور جانب منه، وأصبح سوقاً للذهب، والملابس، وجانب آخر مازال بالطريقة التقليدية نفسها، ثمة حداد، يقوم بإصلاح الأدوات الزراعية التقليدية التي يطلبها مزارعو المدرجات الزراعية الجبلية، أما الأكلات الشعبية فما زالت تراوح مكانها في ذلك السوق ولن تبرحه، لأنها ارتبطت مكانياً به، ويصبح ذلك المكان من دونها فاقداً أحد مقوماته التي اعتادها الناس فيه، بائعو البن لا يروق لهم مكان آخر

سواه، تشعر وأنت تتجول في أزقة ذلك المكان بالأصالة وبعبق الماضي الذي ينبعث من بين جوانبه حتى الناس الذين يرتادونه مازالوا يتميزون بملابسهم التقليدية.

الصناعات اليدوية

تتميز محافظة حجة بعدة صناعات يدوية لا يكاد يعرف غيرها بها، منها صناعة كوافي الخيزران «طاقيات»، وهي صناعة تقليدية تميزت بها المحافظة وتبلغ قيمة الواحدة منها (ثلاثين ألف ريال) وتصنع من لحا شجرة تسمى «الخيزران» بطريقة فنية غاية في الدقة والروعة، وتشتهر منطقة «أسلم» بهذه الصناعة، بالإضافة إلى صناعة «الظلل» وهي قطعة دائرية الشكل تقي حاملها حر الشمس ، وتستخدم في الريف «ريف حجة» للزينة، تستخدمها النساء في أثناء الذهاب إلى المناسبات العامة، وتكون موضع التفاخر بينهن، وهي أحد «اللوازم » في الأعراس في الريف، أي أن العريس ملزم بشرائها وإهدائها إلى عروسه، وتصنع من سعف النخيل، يضاف إلى ذلك صناعة الفخار وهي صناعة متجذرة ومازالت مستخدمة في المدينة والريف على حد سواء، ولا تخلو المائدة من وجود الأواني الفخارية، و«السلتة» وهي أكلة يمنية شهيرة - لا يحلو لآكلها أكلها إلا في آنية من الفخار وإلا تصبح بلا طعم.. وهناك كثير من الصناعات الأخرى بعضها انقرض بفعل التقدم التكنولوجي والتقني وبعضها الآخر في طريقه إلى الانقراض.

العادات والتقاليد

تميزت المحافظة بنظام اجتماعي تقليدي، وكان للثقافة المتوارثة أثرها الواضح في حياة الناس إذ إن الانغلاق الذي فرضته الأنظمة المتعاقبة قبل قيام الثورة وعدم قدرة أبناء المحافظة على الاستقرار نتيجة الصراعات التي فرضتها الظروف السياسية التاريخية، كل ذلك - ومع غيره من الأبعاد الأخرى السياسية والاجتماعية والفكرية - شكل نظامًا اجتماعيًا يتسم بنوع من الترابط والتمايز، وأوجد أعرافًا كان لها الدور الأكبر في تكوين نظام عرفي مازال يفرض نفسه على واقع الناس الحياتي، ويصل به الحد إلى التعامل مع السلطة في حل نزاعاته وخصوماته.

إذ إن سلطة العرف القبلي أكثر من سلطة القانون الذي يفرضه نظام دولة المؤسسات المدنية في اليمن، فمازال «الهجر»* (وهو من العادات القبلية) أكثر العادات شيوعًا في حل النزاعات والخصومات بين القبائل أو بين أفراد المجتمع، ومن عاداتهم الحسنة أن يقوم أفراد المجتمع بمساعدة من أراد الزواج بمبلغ من المال يسمى في المدينة «الرفد» وفي الريف «المجابرة» وهي أسماء متأدبة تنأى بنفسها عن مواقع الانتقاص التي يرفضها المجتمع القبلي.

ومن عاداتهم مساعدة أي فرد يقوم ببناء منزل، وأكثر حضورهم يكون يوم يقوم الباني بسقف منزله الجديد.



جمال المعمار يتبدى في بيوت حجة



أهل حجة يبدعون في الصناعات اليدوية

مشروعات إنمائية

أصبحت حجة الآن مدينة عصرية بكل المقاييس، فقد توافرت فيها كل المشروعات الإنمائية والخدمية وتوافرت فيها كل وسائل الاتصال والتواصل مع الآخر، بعد أن حرمت من كل ذلك إبان العهد الإمامي، وقد دأبت حكومة الثورة على إحداث تغيير جذري في المحافظة، مما جعلها قادرة على اللحاق بالزمن خلال فترة قياسية لا تزيد على عقدين ونيف، وقد كان لدول الجوار أياد حسنة يذكرها أبناء المحافظة بكل الحب والعرفان بدءاً من مدرسة هارون الرشيد التي قامت ببنائها دولة الكويت في عقد السبعينيات وانتهاءً بالمستشفى السعودي بحجة الذي أهدته حكومة المملكةالعربية السعودية لأبناء المحافظة، والذي افتتح في أول يناير/ كانون الثاني ١٩٩٧م يقدم الخدمة الصحية المتكاملة للمواطن اليمني، وقد كرمت محافظة حجة ممثلة بمحافظ المحافظة العميد محمد عبدالله الحرازي، المدير الفني للمستشفى الدكتور منصور الزهراني، وقدم له درع المحافظة تقديراً وعرفاناً للدور الذي يقوم به المستشفى في تقديم الخدمة الصحية للمواطن. وقد بلغت الحالات التي قام المستشفى بعلاجها حتى شهر أغسطس/ آب ٢٠٠١م (موعد التكريم) مليوناً ومئة ألف مريض. تجدر الإشارة إلى أن المستشفى تديره أياد سعودية ويقدم خدماته الصحية مجاناً. وأبناء المحافظة يكنون لجارتهم السعودية كل الحب والاعتزاز ويعترفون لها بأياديها البيضاء والنبيلة.

وأخيراً:

تظل حجة تلك المدينة الساحرة، وذلك العرس الجميل الذي تشع قناديل أفراحه من على تلك القمم الشامخة في ربوع اليمن، معتزة بتاريخها، فاتحة ذراعيها لاحتضان المستقبل الواعد بالخير والعطاء.

الهوامش والمراجع

* الهجر: رأس غنم أو بقر يذبح عند الآخر في مشهد من الناس، كسباً لرضاه واعترافاً له وانتهاءً لموضوع الخصومة.

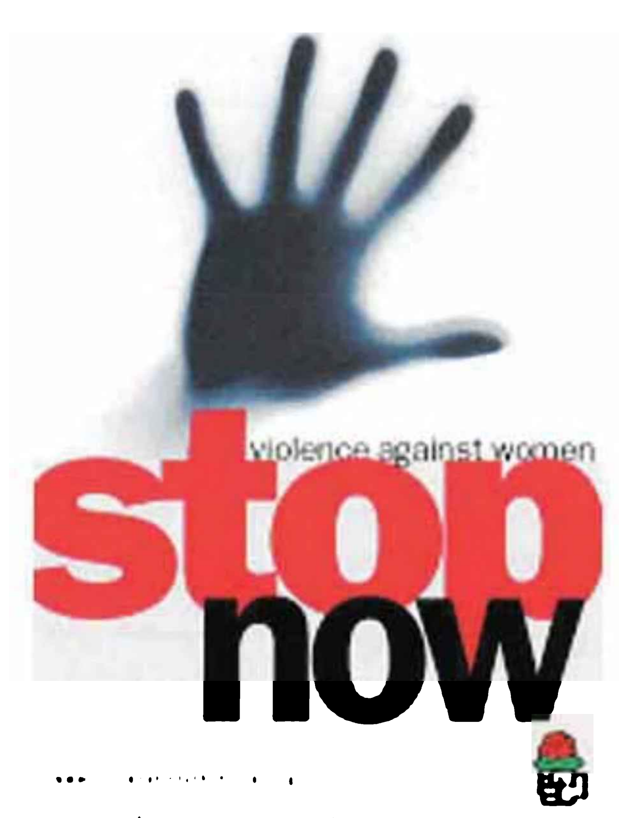
١. محمد عبده عثمان، دراسات وبحوث أثرية «مخطوط».
٢. عبدالله عبدالوهاب الشماحي «اليمن الإنسان والحضارة».
٣. علي حمود عفيف «منجزات على جبال حجة».
٤. عبدالله البردوني «رحلة في الشعر اليمني قديمه وحديثه».
٥. محمد الشعيبي «المعالم التاريخية في اليمن».
٦. عبدالله النور «اليمن سياسياً وإدارياً».

ضرب المرأة وسيلة لحل الخلافات الزوجية

عبدالحميد أحمد أبو سليمان
أغادير - المغرب

كنت أرى في ظروف الأمة والعالم من حولها، والهجمة الثقافية والحضارية الضارية عليها، مع تردي أحوال الأمة وحقوق الإنسان فيها معنى ما يواجهه المنافحون عن الإسلام وحقوق الإنسان في الإسلام من حيرة بشأن قضية ضرب المرأة كحق للزوج ووسيلة من وسائل وضع حد لحالة الخلاف بين الزوجين ونشوز المرأة واستعصائها ونفورها من زوجها، كما كنت أدرك في عالم اليوم أساليب تلك الحيرة ودواعيها.

وعلى الرغم من أنني جوبهت بعدد من الشبهات عن الإسلام حين كنت على مقاعد الدراسة، وفي مرحلة الدراسات العليا في البلاد الغربية بشكل خاص، وفي أثناء العمل الإسلامي الشبابي من خلال أنشطة «اتحاد الطلبة المسلمين في الولايات المتحدة الأمريكية وكندا»، و«الندوة العالمية للشباب الإسلامي»، وعملي رئيساً للمعهد العالمي للفكر الإسلامي ورئيساً لمؤسسة تنمية النشء بالولايات المتحدة الأمريكية فإنني كنت دائماً، ولأسباب فكرية منهجية، أجد الحل المقنع والفهم المرضي لأي شبهة من تلك الشبهات، وذلك أنني أصلاً تيقنت بدءاً صدق الرسالة المحمدية عن الله الخالق وذلك منذ نعومة أظافري حين كنت على مقاعد المدرسة الثانوية، وبروية وفكر يستندان إلى أسس عقلية منهجية مبدئية، وبذلك لم يعد لدي «مشكلة شك»، مما يعني أن الفكر في الموضوع يتميز بالوضوح والقدرة على الصبر والمثابرة في البحث لما قد يواجه من مشكلات تحتاج إلى بحث ونظر وحل، أي إنه لا يوجد شك، ولكن قد توجد «إشكالات»، وفرق بين الشك والإشكال، فالشك عائق ومثبّط، أما الإشكال فمحفز ومنشّط وداعٍ إلى الفكر والعمل والبحث والتنقيب والاجتهاد، وقد كتبت في تفصيل ذلك لمن شاء الرجوع إليه في مجلة «التجديد»(١)، ولذلك كنت - وما أزال - كلما أثيرت أمامي شبهة عن الإسلام كنت أرى فيها إشكالاً لا شكاً فأنصرف إلى التأمل والبحث معتمداً منهج المعرفة الإسلامية في الشمول المنهجي بين تكامل آيات الوحي وآيات الكون ومبادئ العقل، فمن دون معرفة حال



تتزايد حركات المعارضة للعنف الموجه إلى المرأة

موضوع الإشكال وما ينطوي عليه من سنن وحال لا يمكن فهم دلالات الوحي وهدايته، فأتوجه أولاً إلى موضوع الخلاف، وأتبين طبيعته الموضوعية، وما يتعلق به من السنن والطبائع التي أودعها الله فيه، وما تحيط به من الظروف الزمانية والمكانية، وذلك حتى يمكنني فهم دلالة آيات الوحي ومقاصده بشأن موضوع الخلاف أو الشبهة، ولم يخب ظني في ذلك قط لأنتهي إلى فهم مُرضٍ مُقنع لا يتنكر لأي مبدأ من مبادئ الشريعة وقيم الأخلاق والكرامة الإنسانية(٢).

ولذلك لم يكن من الصعب عليَّ أن ألحظ تطلع المنافحين عن حقوق الإنسان في الإسلام إلى حل وفهم يرفعان الجور والعسف عن المرأة، ويردّان شبهة إمكان ظلمها والتنكيل بها باسم الإسلام، خصوصاً مع ما تعانيه المرأة لموضعها المتدني في كثير من ثقافات بلاد العالم، ولضعفها النسبي أمام الرجل جسدياً، ولارتباط الطفل وحاجاته المادية والعاطفية المباشرة بها، ومع ما تعانيه المجتمعات الإسلامية بشكل عام من فقر وجهل وتخلف تنال آثارها المرأة أكثر من سواها، مع تدن لممارسات حقوق الإنسان بسبب تفشي الاستبداد والمظالم الاجتماعية التي تمسّ الجميع وتهدد حقوقهم وكرامتهم.

ولانشغالي بمسؤوليات أخرى لم أتمكن من الانصراف إلى كل ما يمر أمامي من الإشكالات ومنها إشكالية ضرب المرأة، لذلك لم أتوفر على النظر في هذا الإشكال وحقيقة موقف الإسلام منه في قرية العالم الإسلامي والعالم الإنساني الذي نعيشه اليوم، بسبب ما كنت أواجهه من تلك المسؤوليات والمشاغل.

وأخيراً، وقد عدت إلى العمل الفكري، وانصرف همي من جديد إلى الناحية الفكرية في أسس تخلف الأمة والأسباب الكامنة خلفها، وفي أسباب عجز مشروعها الحضاري حتى اليوم عن أن يحقق أهدافه السامية التي يسعى جاهداً إلى تحقيقها على الرغم من المحاولات الكثيرة المتتالية، ولأكثر من ألف سنة، وذلك منذ أن أطلق الإمام أبو حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ/١١١١م) صيحته في: «إحياء علوم الدين»، لذلك انصرفت إلى الطفولة في الفكر الإسلامي ومشروعه الحضاري بوصفها البعد الغائب في هذا المشروع، ومنطلق التغيير لإعادة صياغة الشخصية الإسلامية معرفياً ووجدانياً لتصبح الأمة في مستوى التحديات التي تواجهها.

وجهاً لوجه مع قضية الغرب

وقد قادني البحث والنظر والتفكير في أمر «الطفولة» إلى البحث والنظر في أمر «الأسرة» بصفتها المحضن الأساسي لتكوين شخصية الطفل وسيناء هذا العصر، التي يتم من خلالها إعادة هذه الصياغة، اعتماداً على الدافع الفطري لدى الوالدين اللذين لا يلحظان إلا مصلحة الطفل حسب رؤيتهما وقناعتهما، ولأننا لا يمكننا اليوم إيجاد محضن مادي مستقل منعزل، يمارس فيه الإصلاحيون مهمة إعادة التربية وتنشئة جيل يتمتع بالصفات اللازمة لمواجهة التحديات القائمة كما فعل سيدنا موسى عليه السلام مع بني إسرائيل،

الذين استُعبدوا في مصر، فأخذهم إلى سيناء يجوبون بواديها أربعين عاماً لينشأ جيل من المؤمنين الأحرار الشجعان القادرين على إتقان الأداء وبناء الأمة بدلاً من جيل العبيد الجبناء العاجزين، *قال الذين يظنون أنهم ملاقو الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين، ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربّنا أفرغ علينا صبراً وثبّت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين. فهزموهم بإذن الله وقتل داوود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلّمه ممّا يشاء ولولا دفعُ الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرضُ ولكنّ الله ذو فضل على العالمين*. البقرة: ٢٤٩ ـ ٢٥١.

وفي النظر في دور الأسرة التربوي لابد أن يقودنا البحث والنظر في بناء الأسرة إلى البحث والنظر في علاقاتها وجميع الأبعاد المؤثرة في دورها التربوي للطفل والجيل الناشئ، ومكوناتهما المعرفية والروحية، والنفسية والوجدانية.

وهنا وجدت نفسي وجهاً لوجه مع قضية «الضرب» في علاقات الحياة الزوجية، وعلاقة الأبوة والأمومة، وعلاقة الرجل والمرأة، وعلاقة الإنسان بالإنسان، والبالغ بالبالغ.

وكمنطلق منهجي في النظر والبحث كان عليّ أن ألتزم شمولية البحث بالنظر في مختلف جوانبه وعلاقاته وصورته الكبرى، كما كان عليّ أن ألتزم الانضباط المنهجي فلا أسمح للجزء أن يطغى على الكل، ولا على ملابسة أو حادثة أن تلغي مبدأ أو مقصداً عاماً، والعمل على وضع الأمور موضعها الصحيح، كما كان عليّ أيضاً أن أتوخى التكامل المعرفي بمنهج عقلي سليم بين آيات الوحي وآيات الكون وتكامل هداية الوحي مع الطبائع ومع الوقائع في الزمان والمكان.

ولذلك كان لزاماً عليّ أن أنطلق إلى البحث إسلامياً من منطلق كرامة الإنسان واستخلافه ومسؤوليته وحقه في تقرير مصيره، وأي ترتيب للعلاقات الإنسانية لا ينسجم في الزمان والمكان مع هذه المبادئ والمنطلقات الإسلامية فهو لا يمثل روح الإسلام ولا غاياته ولا مقاصده، ويجب تدقيق النظر لمعرفة موضع الخلل في هذه الترتيبات التي تنافي أو تقتات حقوق الإنسان ومسؤولياته الأساسية في امتحان الحياة وابتلائها.

كذلك فإن منطلق البحث في ترتيبات العلاقات الأسرية الإسلامية لابد أن يحكمه مفهوم «المودة والرحمة»، وأي ترتيبات تمس هذا المفهوم وهذا الأساس في بناء «العلاقة الأسرية» يجب تدقيق النظر فيها لمعرفة وجه الخلل أيضاً.

ومن الناحية المنهجية العامة فإننا نعلم أن الرسالة الاجتماعية جاءت هدياً وتوجيهاً لما فيه مصلحة الإنسان في كل زمان ومكان، ولذلك فإن عناصر الزمان والمكان لابد أن تؤثر في تفاصيل الترتيبات الزمانية والمكانية في التطبيقات لتحقيق المصالح التي تتوخاها الرسالة والنظر إلى الترتيبات الزمانية والمكانية، خاصة في السنة النبوية وفي التراث الشرعي فيما قصد به توجيه المجتمع في زمان ومكان بعينهما، في ظل ظروفه وإمكاناته وعاداته وتقاليده، من دون فهم لهذه الظروف ودلالات الترتيبات المعينة يكون نظراً خاطئاً إذا ظننا أنه بني على تجريد وإطلاق، أو أن نمد تطبيقات تلك الأزمنة بمحاكاة وتقليد خاطئين إلى ظروف زمانية ومكانية مغايرة لتلك الأزمنة وظروفها.

> لجأ رسول الله صلى الله عليه وسلم، حين أصرت زوجاته على عصيانه، إلى مفارقة منازلهن، واعتزالهن مدة شهر ليدركن النتائج المترتبة على العصيان والتمرد دون أن يلجأ إلى أي شيء من اللطم أو الإهانة

استجابة لظروف الزمان والمكان

ومما يعين فهمنا لهذه المبادئ المنهجية أننا نجد في تدرج الوحي من ناحية، وفي تنوع الخطاب النبوي في الزمان والمكان بحسب حال المخاطبين زماناً ومكاناً من ناحية أخرى، وفي اختلاف الأحكام والفتاوى وتعدد المذاهب بين أصحاب العلم والفتوى، استجابة لظروف الزمان والمكان دليلاً واضحاً على مراعاة المنهج الإسلامي لهذه الأبعاد التشريعية الاجتماعية. ومن تلك

الحالات التي تتعلق بما نحن بصدده اختلاف مذاهب علماء السلف وفتاواهم وأحكامهم في شؤون الأسرة، بسبب اختلاف الظروف والإمكانات والتقاليد في الزمان الواحد، كاختلاف المذهب المالكي في المدينة المنورة والجزيرة العربية - التي تشتد فيها الحساسيات القبلية والاعتداد بالأحساب والأنساب - عن المذهب الحنفي في العراق، مهد الحضارات الغابرة من بابل حتى فارس، والتي تركت آثارها الحضرية في مفهومات العلاقات الاجتماعية وتنمية القدرات الفردية، لتنعكس هذه الفروقات والتقاليد الزمانية والمكانية على مفهوم المذهبين في شروط عقود النكاح في أمر الولاية والكفاءة. بل إن آثار الزمان والمكان على الأحكام والفتاوى لم تقف عند حدود المذاهب بل عكست ذاتها على المذهب الواحد بين بلد وآخر على ما هو معروف عن مذهب الإمام محمد بن إدريس الشافعي (ت ٢٠٤هـ) في العراق وفي مصر.

بل إن بعض آيات القرآن الكريم نفسه يتأثر فهمها وإدراك معانيها بتغير الزمان والمكان وتوسع معارف الإنسان، فيهتدي الإنسان إلى معانٍ جديد لم يكن له أن يعلمها أو تخطر له على بال قبل ذلك الأوان وحصول تلك المعارف، مما يؤيد قدسية الكتاب الكريم ليحتوي هديه الزمان والمكان(٣). *سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد*. **فصلت**: ٥٣.

ومن ذلك ما كُشف، وما يزال يُكشف، عنه العلم من إعجاز القرآن ودقة تعبيراته وخفايا هذه التعبيرات لتؤدي مهمتها في الهداية، دون أن تجانف حقائق الخلق والسنن التي تتكشف بتوسع مدارك الإنسان وتغير الزمان والمكان، كقضية تكوير الليل والنهار ودحي الأرض وما يستتبع ذلك من حقيقة كروية الأرض، شأنها شأن بقية النجوم والكواكب وسواه لمن يحب تتبع قضايا إعجاز القرآن وتأويله على مر العصور، ليتسع أداؤه وهديه لتوسع مدارك الإنسان، وليلبي حاجة الإنسان في كل زمان ومكان.

ولذلك فإن من الخطأ عند النظر في أمر تشريعات



الأذى والخوف والإرهاب تورث السلبية والكره

الأسرة وترتيباتها أو سواها من أمور التشريع، أن نقتصر على التفسيرات والترتيبات التاريخية، لنستفتيها دون أن نلقي بالاً أو اهتماماً لما طرأ من التغيرات الزمانية والمكانية المهمة التي تنعكس آثارها على الإمكانات والمفهومات والأدوار في الحياة والمجتمع، وهذا لا يعني إهمال النظر في التراث وما سبق في تاريخ الاجتماع الإسلامي، من تشريعات وترتيبات وتطبيقات، ولكن المقصود هنا هو النظر في كل ذلك وفهمه جيداً في سياقه الزماني والمكاني لإدراك معاني تلك التجربة التاريخية، ولأخذ العظة والعبرة منها، والعمل من جديد على تحقيق الأهداف والغايات ذاتها التي يقصد إليها هدي الوحي والرسالة.

وعلينا ونحن ننظر علميًا في واقعنا وظروفنا الزمانية والمكانية، وما طرأ علي أحوال الأمة من تغيرات، وما توافر لها من إمكانات، أن نتحلى بالنظرة العلمية الناقدة في أحوال الأمة وما تردّت فيه وانتهت إليه، والذي أخمد فيها مكامن الطاقة وقدرة المبادرة وروح العزة والكرامة، وأسلمها للاستبداد والعسف والعجز والفقر والجهل والتخلف.

وإذا كنا بصدد النظر في موضوع «الضرب» وما يستتبعه من مشاعر المهانة والأذى البدني، فإننا بادئ ذي بدء نعلم، كقاعدة أساسية نفسية عامة، أن الأذى والخوف والإرهاب النفسي تورث السلبية والكره والانصراف، وأن الحب والتكريم والثقة تولد الإيجابية والإقبال والبذل. كما أننا نعلم أيضًا أن الأمة قد عانت وما تزال تعاني ممارسات العسف والإذلال وثقافة الوصاية والاستبداد، ففي كثير من مجتمعاتنا لا يقتصر العسف والتسلط والاستبداد على زبانية السادة والحكام، بل إن ذلك ليس إلا جزءًا من ثقافة الأمة العامة، نراه بين «المعلم» و«صبي المعلم» و«المدرس» و«التلميذ» و«الكبير» و«الصغير» و«الرئيس» و «المرؤوس» و«الرجل» و«المرأة» لتشمل في مجملها ودلالاتها الاجتماعية «القوي» و«الضعيف»، كل قوي وضعيف في المجتمع، وذلك على عكس مفهومات الإسلام في «الإخاء» والتضامن «كالبنيان يشد بعضه بعضًا»، و«كالجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر البدن بالسهر والحمى». لأن «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يحقره ولا يخذله، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام ماله ودمه وعرضه». «ومن لا يرحم الناس لا يرحمه الله». «وإنما يرحم الله من عباده الرحماء». وكيف كان على من ضرب «عبده». أو من ضرب «أمته» أن يعتق من ضرب . و«ليس المؤمن بالطعّان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء». «وأكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا وخياركم خياركم لنسائهم». وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم غاضبًا يخاطب من ضرب زوجته «يظل أحدكم يضرب امرأته ضرب العبد ثم يظل يعانقها ولا يستحيي». ولقد طاف بآل محمد نساء كثيرون يشتكون أزواجهن ليس أولئك بخياركم. وكان خلق «القدوة» عليه أفضل الصلاة والسلام اليسر والرفق والرحمة. «وما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده امرأة قط ولا خادمًا ولا ضرب شيئًا إلا أن يجاهد في سبيل الله».

مفهوم الضرب

بهذه المفهومات العامة ننظر إلى موضوع «الضرب» وموضعه من العلاقات الأسرية في «الزوجية» و«الأبوة» حتى نرى ما المفهوم الصحيح لهذا «الضرب»، وما الترتيبات الأسرية الإسلامية الصحيحة التي يقوم عليها بناء الأسرة الإسلامية بشكل عام، وفي هذا العصر بوجه خاص، والتي تحقق علاقات «المودة والرحمة» لكي تصبح الأسرة قوية متماسكة، ولتكون المحضن الروحي والنفسي والوجداني الأمن للطفل المسلم لينشأ قويًا أمينًا قادرًا على الأداء المتميز ومواجهة تحديات العصر.

> المعنى المقصود من «الضرب» لا يمكن أن يكون الإيلام والمهانة، وأن الأولى هو المعنى الأعم الذي انتظم عامة معاني كلمة «الضرب» في السياق القرآني وهو البعد والترك والمفارقة

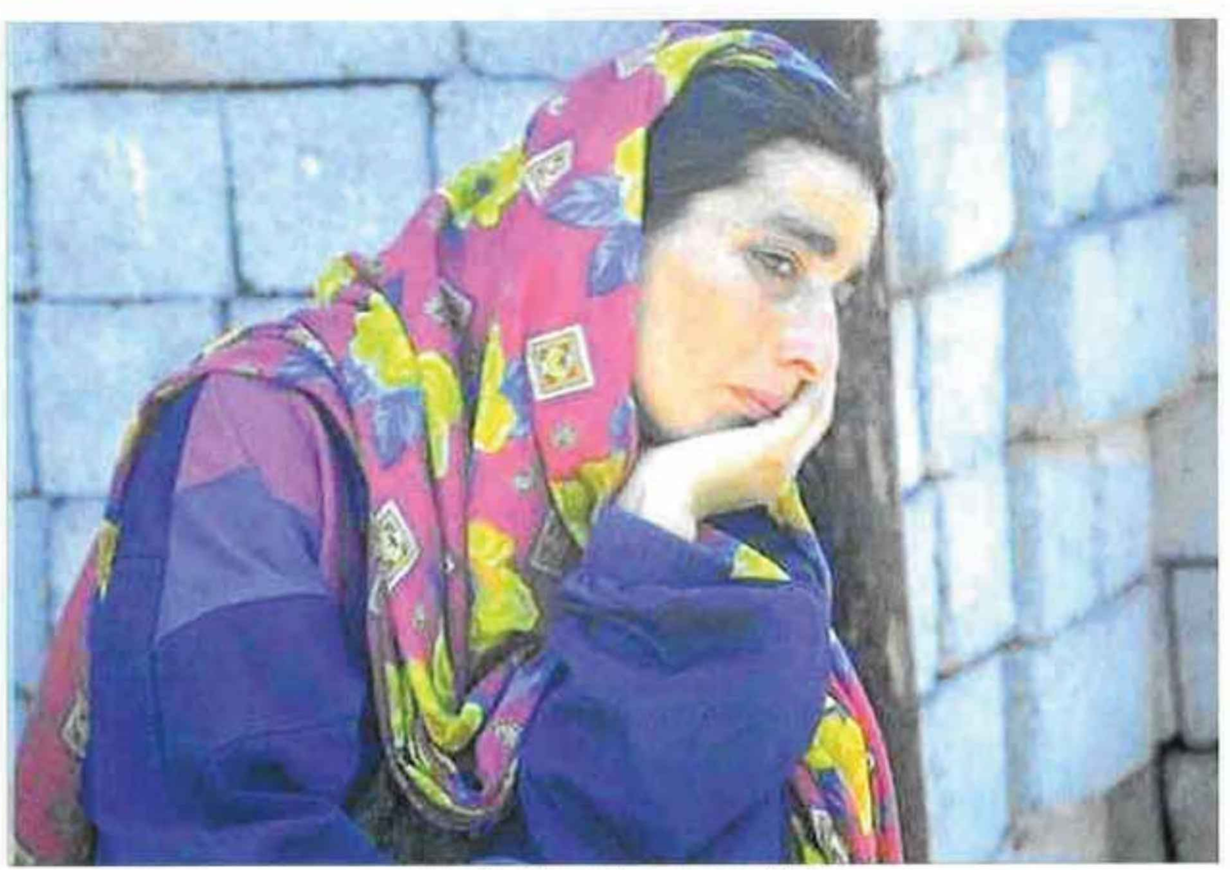
وتثور قضية «الضرب» في ترتيبات العلاقة الأسرية والإنسانية بشكل حاد، وتأخذ موقعًا خاصًا، فقد وردت الإشارة إليها في نص قرآني، ولأن تأويلاتها التاريخية والتراثية انصرفت وانصرفت أفهام الناس وممارساتهم فيها إلى معاني اللطم والصفع والصفق والجلد وما شابهه، وما يستتبع ذلك من مشاعر الألم والمهانة، بغض النظر عن قدر المهانة ومدى هذا الألم أو الأذى البدني، الذي قد تراوح الفتاوى فيه بين الضرب «بالسواك» وما شابهه، «كفرشاة الأسنان»، و«قلم الرصاص»، وذلك فيما روي عن عطاء عن ابن عباس


المرأة: حنان وعطف حتى في أحلك الظروف

رضي الله عنه حين سأله عن معنى «الضرب غير المبرح»، فيكون «الضرب» هنا أقرب إلى التأنيب والتعبير عن عدم الرضا والغضب بين الأزواج، أكثر منه تعبيراً عن معاني المهانة والأذى، وفي الجانب الآخر نجد بعض الفتاوى ما يقول بالضرب بحد أقصى بما دون الأربعين، «ولا قصاص بين الرجل وامرأته» إلا في الجرح والقتل(٤).

والنص القرآني الذي يتعرض لموضوع «الضرب» هو الآية الرابعة والثلاثون من سورة النساء في قول الله سبحانه وتعالى: *الرجالُ قوّامون على النساء بما فضّل اللهُ بعضَهم على بعضٍ وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحاتُ قانتاتٌ حافظاتٌ للغيب بما حفظَ اللهُ واللاتي تخافُون نشوزَهنَّ فعظوهنَّ واهجروهنَّ في المضاجعِ واضربُوهن، فإن أطعنكُم فلا تبغوا عليهنَّ سبيلا إن الله كان عليّا كبيراً، وإن خفتُم شقاقَ بينهما فابعثوا حكماً من أهلِه وحكماً من أهلِها إن يُريدا إصلاحاً يوفّق الله بينهُما إن الله كان عليماً خبيراً.* النساء ٣٤ ـ ٣٥.

ولفهم هذه الآية لابد لنا من وضعها في إطارها العام من نظام الأسرة حتى يمكننا حسن فهم دلالتها بما يوفق الله إليه في إطار مقاصد الدين والشريعة، فالله سبحانه وتعالى يقول أيضاً في كتابه العزيز: *يا أيُها الناسُ اتّقُوا ربَّكُمُ الذي خلقكم من نفسٍ واحدةٍ وخلقَ منها زوجَها وبثّ منهما رجالاً كثيراً ونساءً، واتّقوا اللهَ الذي تساءلُون به والأرحامَ إنّ الله كان عليكم رقيباً.* النساء: ١. *ومن آياته أن خلقَ لكم من أنفسكُمْ أزواجاً لتسكُنُوا إليها وجعلَ بينكم مودةً ورحمةً إنّ في ذلك لآياتٍ لقومٍ يتفكّرون.* الروم: ٢١. *وإذا طلّقتُمُ النساءَ فبلغنَ أجلَهنّ فأمسكوهُنّ بمعروفٍ أو سرّحوهنّ بمعروفٍ ولا تُمسكُوهنّ ضراراً لتعتدُوا ومن يفعلْ ذلك فقد ظلمَ نفسَه ولا تتّخذوا آياتِ اللهِ هُزواً واذكروا نعمةَ الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتابِ والحكمةِ يعظُكم*


العلاقة بين الرجل والمرأة تحكمها ثقافة الأمة العامة

به واتقوا الله واعلموا أنّ الله بكل شيء عليم. البقرة: ٢٣١. يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتُم المؤمنات ثم طلّقتُموهُن من قبل أن تمسُّوهُنّ فما لكم عليهنّ من عدّة تعتدّونها فمتّعوهنّ وسرّحوهنّ سراحًا جميلاً. الأحزاب: ٤٩. الطلاقُ مرّتان فإمساكٌ بمعروف أو تسريحٌ بإحسان ولا يحلُّ لكم أن تأخُذوا مما آتيتُموهنّ شيئًا إلا أن يخافا ألاّ يُقيما حدود الله، فإن خفتم ألا يُقيما حدود الله فلا جُناح عليهما فيما افتدت به تلك حدود الله فلا تعتدُوها ومن يتعدَّ حدود الله فأولئك هم الظّالمون. البقرة: ٢٢٩.

فإذا نظرنا إلى مجمل هذه الآيات وفي ضوء مجمل الشريعة، وفي ضوء القدوة النبوية، نجد أن جوهر العلاقة الزوجية هو مشاعر «المودة» ورفق «الرحمة» وواجب «الرعاية»، ويظل حاكم العلاقة الزوجية دائمًا هو «المودة والرحمة والإحسان».

لذلك يصبح من المفهوم لدينا لماذا يثور التساؤل عن معنى «الضرب» بمعنى الإيلام والمهانة، وعن موقع ذلك من مفهوم العلاقة الإسلامية الزوجية في ترتيبات تمكين الألفة والمحبة بين الأزواج وحل خلافاتهم، خاصة حين يؤخذ في الحسبان واقع العلاقات الاجتماعية في المجتمع المسلم المعاصر، وما يتعرض له بعض النساء من ممارسات التسلط والقسوة المادية والمعنوية، وبسبب بعض ما يردّد اعتسافًا من منطوق الفتاوى التراثية التي تبالغ في إطلاق سلطة الرجل في إدارة شؤون أسرته، بصفته رأس الأسرة، متجاهلين أن مؤسسة الأسرة يجب أن تقوم على التواد والتكامل والتعاون والتكافل، ولا يصح أن يساء فهم دلالات النصوص وأن تستغل لكي تصبح المرأة والأسرة أشبه بالقطيع المملوك.

وإذا كانت آفاق العصور السالفة وإمكاناتها قد حدت

من إمكانات المرأة ومن دورها فيما وراء محيط الأسرة، وألقت على عاتق الرجل كثيراً من المسؤوليات وأوكلت إليه، خاصة في الحضر، قدراً كبيراً من السلطات في إدارة شؤون الأسرة لأن الطاقة العضلية كانت العامل الأهم في توفير سبل الرزق وتوفير الأمن والحماية لأفراد الأسرة، ولأن حاجات المنزل والأسرة كانت تستغرق جل طاقة المرأة في خدمة دارها وزوجها وأبنائها، فتضعف حيلتها، وتحدّ من إدراكها، وتقعد بها عما وراء عالم أسرتها، فلم يستوحش المجتمع كثيراً سلطوية الرجل في علاقات الأسرة، إلا أنّ الأمر في عالم اليوم يختلف وذلك بما توافر من الوسائل والقدرات واتساع آفاق المعارف مما أفسح للمرأة مجالاً إنتاجيا واسعا، وإمكانات اقتصادية استقلالية، وقدرة معرفية وتقنية كبيرة فيما وراء عالم أسرتها الصغيرة، مما لم تعد معه الصور التاريخية قادرة على احتواء أفراد الأسرة والتعبير عن واقعهم وإمكاناتهم، ولذلك لابد من إعادة النظر في فهم واقع العلاقات الأسرية في ظروف العصر حتى لا يستمر التوتر والتدهور، وحتى تتمكن في نفوس أعضاء الأسرة المفهومات التي تعين كل عضو من أعضاء الأسرة على أداء دوره المتكامل مع بقية أعضاء الأسرة.

ومن الإشكالات التي برزت أمامي في هذا البحث حين أصرف معنى كلمة: «الضرب» في السياق القرآني إلى معنى الإيلام والأذى الجسماني والمهانة النفسية، بغض النظر عن مدى هذا الأذى والإيلام، وذلك كوسيلة من وسائل التعامل بين البالغين، وكوسيلة من وسائل إخضاع المرأة لرغبات زوجها، وحملها على طاعته ومعاشرته، أجد أن ذلك أمر لا يكون ممكنا إلا إذا كانت المرأة المسلمة، كما كان في بعض الديانات والثقافات، لا مخرج لها من العلاقة الزوجية، ولا سبيل لها إلى الفكاك والطلاق على غير رغبة زوجها، ولذلك يمكن قهرها وإخضاعها لرغبات زوجها وعشرته على غير رضاها ورغبتها، وفي هذه الحالة فقط يمكن أن يكون «الضرب» والألم والأذى الجسدي أو المعنوي وسيلة من الوسائل الممكن اللجوء إليها لتحقيق تلك الغاية.

عضوية اختيارية

ولكننا نعلم علم اليقين أن هذا ليس هو الحال في الشريعة الإسلامية التي بنت الأسرة على «المودة» و«الرحمة»، وحرصت على توفير كلّ الأسباب المؤدية إلى تماسك الأسرة وتضامنها وحفظ هويتها وهوية أفرادها وأنسابها وانتسابهم وانتمائهم، ولذلك كانت عضوية مؤسسة الأسرة في الإسلام عضوية اختيارية، لا مجال فيها للقهر والتسلط والعسف، وكان فيها لكل من الزوجين حق مغادرة الأسرة وإنهاء العلاقة الزوجية إذا لم يعد أي واحد منهما يرغب في البقاء فيها، ولا يحتمل أعباءها، لأن ذلك ولا شك أولى لأفراد الأسرة كافة من علاقة تقوم على البغض والكراهية والشقاق، فالزوج إذا كره العشرة، له حق «الطلاق» في الإسلام، والمرأة إذا كرهت العشرة، لها حق «الخلع» في الإسلام، وذلك برد ما أخذت من المهر أو دونه بالتراضي بين الزوجين، وذلك حتى لا يكون المال من قبل المرأة أو قرابتها والطمع فيه سبباً في تفكك الأسرة(٥).

> لا يمكن أن يكون القهر و«الضرب» وسيلة مقصودة لإرغام المرأة على غير إرادتها ورغبتها على المعاشرة، كما أن «الضرب» على أي حال من الأحوال ليس وسيلة مناسبة لإشاعة روح المودة بين الزوجين

وهكذا فلا يمكن أن يكون القهر و«الضرب» وسيلة مقصودة لإرغام المرأة على غير إرادتها ورغبتها على المعاشرة، كما أن «الضرب» على أي حال من الأحوال ليس وسيلة مناسبة لإشاعة روح المودة بين الزوجين، وليس وسيلة مناسبة لكسب ولاء أطراف العلاقات الحميمة وثقتها.

وإذا نظرنا إلى الترتيبات التي وردت في الآية الكريمة من سورة النساء السابق ذكرها، والتي رمت إلى إصلاح ذات البين بين الزوجين حين تُطلُّ من

الزوجة روح النشوز والتمرد والعصيان، ورفض العشرة الزوجية، نجد هذه الترتيبات على شقين:

الشق الأول: يتعلق بحل إشكال النشوز والخلاف بين الزوجين، ودون تدخل من طرف ثالث ويتم ذلك على ثلاث خطوات هي: عظوهن، اهجروهن، اضربوهن.

والشق الثاني: حين يخفق الزوج داخل نطاق الأسرة ودون تدخل طرف أجنبي في حل الخلاف واستعادة روح الوئام وعودة الزوجة إلى كنف زوجها وطاعته فيما هو من خاصة علاقاتهما الزوجية، فإنّ على الزوجين أن يلجأا إلى خاصة أهلهما للنظر فيما بينهما من شقاق، وأسباب ذلك الشقاق ودواعيه، للحكم في الأمر ونصحهما وإرشادهما وعونهما على لم شملهما، وإصلاح ذات بينهما. *وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكمًا من أهله وحكمًا من أهلها إن يريدا إصلاحًا يوفق الله بينهما إن الله كان عليمًا خبيرًا*. النساء:٣٥.

أسس نفسية وخطوات إيجابية

وهكذا فإنّ من الواضح أن الترتيبات القرآنية دعت في كل الأحوال إلى إصلاح ذات البين بين الزوجين وإعانتهما على الإصلاح على أسس نفسية، وبخطوات وغايات إيجابية، ولذلك أمر القرآن الزوج، حين تبدي الزوجة النفور والعصيان، أن يجلس إليها ويوضح لها ويعظها ويعاتبها، وفي ذلك إقبالٌ من الزوج وحرصٌ منه على العلاقة وإصلاح ذات البين، وتوضيحٌ للأمر وما يجده في نفسه وما هو من شأن اختلاف طبعه عن طبعها، وما يترتب على ذلك من حقوق له عليها مما قد لا تكون المرأة على علم به، ولا تدرك أبعاده.

وهكذا يكون الحديث والحوار والتذكير الخطوة الأولى في حل ما قد يثور من خلاف بين الأزواج قد تسيء المرأة فيه استعمال سلاحها الأنثوي ضد الرجل وضعفه الجنسي تجاهها. فإذا لم تصغ الزوجة إلى حديث زوجها وتبصيره ووعظه جهالةً أو دلالاً، فيصبح من الضروري أن يلجأ الزوج إلى مرحلة أبعد وأن ينتقل إلى الفعل بعد النصح والقول، وذلك «بالهجر في المضجع» ذلك أن المرأة تعلم ضعف الرجل في حاجته إليها وقلة صبره على إعراضها، فإذا رأت منه عزوفًا عن فراشها، وهجرًا لمضجعه، أدركت بغريزتها خطورة الأمر وجديته، وكثيرًا ما تعود المرأة عن لعبة «الإعراض» و «المغايظة» وتدرك أن علاقتهما في خطر حقيقي قد تحطمها «المغايظة» و«العناد» فترجع وتؤوب إلى رشدها، وتعود بين الزوجين روابط المودة والتراحم، أما إذا بقيت الزوجة على حالها من الإعراض والنفور، فإنّ الأمر ولاشك قد أصبح في مرحلة حرجة، ينذر بالخطر الذي قد يدمر الحياة الزوجية ويقضي عليها بقصد أو من دون قصد، ولا يمكن أن تستمر الحياة الزوجية على تلك الحال، وعلى كلا الطرفين أن يدركا عواقب الحال التي بلغتها حياتهما الأسرية وما ستنتهي إليه من الانهيار.

إن من الخطأ عند النظر في أمر تشريعات الأسرة وترتيباتها أو سواها من أمور التشريع، أن نقتصر على التفسيرات والترتيبات التاريخية، لنستفتيها دون أن نلقي بالاً أو اهتماماً لما طرأ من التغيرات الزمانية والمكانية

ويأتي السؤال هنا ما الذي يمكن فعله ليؤدي بالزوجين إلى إدراك خطورة الأمر وتدبُّر العواقب قبل أن يخرج النزاع بين الزوجين عن نطاق الزوجية وخصوصية علاقتها، ليطرح النزاع والشقاق أمام طرف ثالث: «حكم من أهله وحكم من أهلها» لكي ينظر طرف الأهل الثالث فيما شجر من الأمر بين الزوجين، وينصح لهما بما يصلح الحال إن شاء الله، أو يكون بينهما فراق بالمعروف والإحسان.

ما معنى الضرب؟

وهكذا فإن الخطوة التالية في خطوات حل النزاع والشقاق بين الزوجين داخل نطاق الأسرة هو «الضرب»: *واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا*. النساء:٣٤. وهو ما يعنينا هنا فهمه ودلالاته ضمن إطار إصلاح ذات البين بين الزوجين حين يدب

النزاع والشقاق بينهما، وتعصي وترفض الزوجة عشرة زوجها على الرغم من «الوعظ» وإبداء الغضب من قبل الزوج «بهجر المضجع».

والسؤال ما معنى «الضرب» هنا؟! هل هو اللطم أو الصفع أو الجلد أو سوى ذلك من ألوان الضرب المؤدي إلى الألم والأذى الجسدي والمهانة النفسية، والذي يرمي إلى قهر المرأة، وإخضاعها للمعاشرة كرهاً منها، وعلى غير رغبتها؟! وإذا كان الأمر كذلك فما الغاية من ذلك الإخضاع؟! وهل مثل هذا القهر والإخضاع بوسائل الألم والمهانة يعين نفسياً على توليد مشاعر المحبة والرحمة بين الأزواج، وبحكم صلات الولاء والانتماء بينهما، ويقوي دوافع العفة وحفظ الغيب، ويحمي كيان الأسرة من الانهيار والتفكك؟!

هل «الضرب» بمعنى اللطم والألم والأذى الجسدي والنفسي من الوسائل التي تقوي عوامل رغبة المرأة في البقاء في الأسرة والحفاظ عليها؟! وهل يمكن لهذا «الضرب» أن يقهر المرأة المسلمة المدركة لحقوقها وكرامتها الإنسانية كما تشيعها ثقافة العصر، أو أن يرغمها ذلك على البقاء في أسر الزوج وعسفه وكريه عشرته، وهو لا يتورع أن ينالها بالضرب والمهانة، أم أن لها في الإسلام مُخرجاً ميسراً من هذا الأسر، بالخلع والمفارقة.

فإذا لم يكن «الضرب» بمعنى الأذى والإيلام الجسدي والمعنوي - والذي يتخذ بعض الرجال الإشارة اللفظية القرآنية إليه مسوغاً وتعلّة للجوء إليه في قسوة ضد المرأة استغلالاً للظروف التي قد تجبر بعض النساء على الصبر بسبب الحاجة المادية أو الخوف على الأبناء - مما يعدّ وسيلة إيجابية تتسق والدوافع القرآنية في بناء الأسرة وعلاقاتها الصحيحة، وتؤدي إلى كسب ولاء المرأة ومحبتها وحرصها على البقاء ضمن كيان الأسرة والعلاقة الأسرية، فهل المعنى المقصود في القرآن الكريم فعلاً بكلمة «الضرب» هو الإيلام والأذى الجسدي والإهانة لكي تخضع المرأة للرجل، وتنقاد على كره منها لرغباته؟!

إذا كان للمرأة حق «الخلع» فلا شك أن «الضرب» والإيلام والمهانة لا مجال له في العلاقة الزوجية وقهر المعاشرة، بل إنه يضعف الروابط الأسرية ويدفعها ويسرع بها إلى التفكك والانهيار، ولذلك فإنه من الضروري النظر في الأمر بعمق وإدراك دلالاته وأبعاده الحقيقية قبل القول: إن ذلك هو المقصود منه على أي صورة من الصور.

فإذا نظرنا إلى طبيعة الترتيبات القرآنية حين تحدثت عن «الضرب» فإننا نجدها تسعى إلى أن تدفع بجهود الصلح والتقارب بين الزوجين خطوة أخرى لإزالة الشقاق بأفضل السبل التي تعيد أواصر المحبة والود والتواصل الحميم بين الزوجين، قبل أن يضطرا إلى



الأسرة المحضن الأساسي لتشكيل شخصية الطفل

عرض نزاعهما على طرف أجنبي عن العلاقة الزوجية من الأهل طلباً لإصلاح ذات البين وحل النزاع بالحسنى، إما بالوفاق وإما بالفراق.

فإذا كان لا يبدو أن للعنف والأذى والقهر مجالاً في العلاقة الزوجية وحل إشكالاتها فما القصد إذاً من تعبير «الضرب» في السياق القرآني بصدد إزالة أسباب الشقاق الزوجي وحل خلافاته؟! هل هو معنى حقيقي مباشر بمعنى الإيلام أو هو معنى مجازي آخر كما هو شأن القرآن في مواقع كثيرة استخدم فيها لفظ «الضرب» متعدياً وغير متعد، أي إنه استخدم بشكل حقيقي مباشر في مثل قوله تعالى: *ضرب الله مثلا*. **النحل: ٧٦**، أو أضيف إليه حرف من حروف التعدية في مثل قوله تعالى: *وإذا ضربتم في الأرض*. **النساء: ١٠١**.

إذا أخذنا بتأويل ابن عباس رضي الله عنه أن القصد بالضرب هنا هو المس بـ «السواك» فهذا في الحقيقة ليس من باب «الضرب» بمعنى العقاب والأذى أو الإيلام البدني والنفسي، ولكنه يأتي بمعنى التعبير المادي بالحركة والمس بالسواك أو ما شابهه تعبيراً عن الجدية وعدم الرضاء، وعن الغضب والإعراض عن الزوجة وإبعادها عن نفس الزوج الهاجر في الفراش، وهو عكس المس باليد الذي يعني عادة التعبير عن المحبة والتدليل، وهذا الفهم وهذا التأويل الجميل لا بأس به، ولا هدم فيه لعلاقات الكرامة والاحترام الواجب بين الزوجين اللذين تربطهما روابط الألفة والعشرة، كما أنّ هذا الفهم ليس فيه موضع «للضرب» بمعنى الأذى والألم والإهانة والقهر على عكس ما قال به بعض الفقهاء من الضرب «بما دون العشرين (ضربة) أو بما دون الأربعين» من الضربات، بغض النظر عن التفاصيل، تفرقت في أجزاء الجسم أو لم تتفرق وجرحت جسماً أو لم تجرح، وكسرت عظماً أو لم تكسر، ونجت المرأة من الضرب بحياتها أو لم تنج!!(٦).



الأطفال جزء مهم في العلاقة بين الرجل والمرأة

وعلى الرغم من تلطف هذا التأويل إلا أنه يظل يترك ظلالاً وإشارات وتعلات وثغرات سمحت في الماضي - ولن يتورع كثير من الناس مستقبلاً كما في الماضي - من استغلالها وإساءة فهمها واتخاذها ذريعة إلى الأذى والضرر واللجوء باسم الدين وفتاوى بعض المفتين إلى «الضرب» واللطم والصفع والجلد وما شابه ذلك من وسائل الأذى البالغ والإهانة، ولهذا يجب أن يكون الفهم والحل مما لا يترك مجالاً يساعد على إساءة استعمال الحق، ولا يترك الباب موازياً لسوء التصرف وسوء التقدير، فإنّ ذلك أولى وأجدر بمقاصد الشريعة في بناء الأسرة على قواعد المودة والرحمة والكرامة.

ولذلك أخذت من جانبي أدقق النظر في الأمر في إطاره المنهجي الذي سبق أن عرضته في صدر هذا البحث من أزلية الرسالة والشريعة، ووجوب فهم السنن الإلهية المتعلقة بها، ومراعاة خصوصيات الزمان والمكان، وضرورة شمولية النظرة والتحليل وانضباطهما، ولذلك رأيت أن أنظر في معاني كلمة «الضرب» ومشتقاتها في القرآن الكريم، فالأولى أن يُفسَّر القرآن بالقرآن، وخير تفسير للقرآن ما كان تفسيره بالقرآن، وضبطته مقاصد الشريعة ومبادئها العامة.

وقد أحصيت وجوه المعاني التي جاء فيها لفظ «الضرب» ومشتقاته في القرآن الكريم فوجدتها على ستة عشر وجهاً كما يأتي:

«*وضرب الله مثلاً*. **النحل:**٧٦. (وقد تعدد هذا التعبير في أماكن كثيرة في القرآن الكريم).

وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جُناحٌ أن تقصروا من الصلاة. **النساء:**١٠١.

فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عدداً. **الكهف:**١١.

أفنضربُ عنكم الذكر صفحاً أن كنتم قوماً مسرفين. **الزخرف:**٥.

وكذلك يضربُ اللهُ الحقَّ والباطل. **الرعد:**١٧.

وليضربن بخُمُرهنّ على جُيُوبهنّ. **النور:**٣١.

أن أسر بعبادي فاضرب لهم طريقاً في البحر. **طه:**٧٧.

وضُربت عليهم الذلّة والمسكنةُ وباؤوا بغضب من الله. **البقرة:**٦١.

فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان. **الأنفال:**١٢.

وخذ بيدك ضغثًا فاضرب به ولا تحنث. ص:٤٤(٧).

فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب. محمد:٤.

فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب. الحديد:١٣.

ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن. النور:٣١.

إنّ منطلق البحث في ترتيبات العلاقات الأسرية الإسلامية لابد أن يحكمه مفهوم «المودة والرحمة»، وأي ترتيبات تمس هذا المفهوم وهذا الأساس في بناء «العلاقة الأسرية» يجب تدقيق النظر فيها لمعرفة وجه الخلل أيضًا

عزل وإبعاد

وهكذا فإن عامة معاني كلمة «الضرب» في السياق القرآني هي بمعنى العزل والمفارقة والإبعاد والدفع(٨) فما هو المعنى المناسب لكلمة «الضرب» في سياق فض النزاع بين الزوجين واستعادة روح المودة والتواصل بينهما

فكيف إذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم. محمد:٢٧.

فقلنا اضرب بعصاك الحجر. البقرة:٦٠.

«*فراغ عليهم ضربًا باليمين*. الصافات:٩٣.

فإذا أمعنا النظر في الآيات السابقة كافة، نجد جملة معاني فعل ضرب بصيغته المتعدية المباشرة وغير المتعدية هي استخدامات مجازية فيها معنى العزل والمفارقة والإبعاد والترك،، فالشيء يضرب مثلاً أي يستخلص ويميز حتى يصبح جليًا واضحًا، والضرب في الأرض هو السفر والمفارقة. والضرب على الأذن هو منعها عن السماع، وضرب الصفح عن الذكر هو الإبعاد والإهمال والترك، وضرب الحق والباطل تمييزهما وتجليتهما مثلا، وضرب الخمر على الجيوب هو ستر الصدر ومنعه عن الرؤية، وضرب الطريق في البحر شقه ودفع الماء جانبًا، والضرب بالسور بينهم عزلهم ومنعهم بعضهم عن بعض، وضرب الذل والمسكنة عليهم نزولها بهم وتخييمها عليهم وصبغهم وتمييزهم بين الناس بها، وضرب الأعناق والبنان بتره وفصله وإبعاده عن الجسد، أما باقي ما ورد من كلمة «الضرب» ومشتقاتها فيما سبق من ضرب الأرجل وضرب الوجوه وضرب الحجر وضرب الضغث وضرب الأصنام باليمين، فهي بمعنى الدفع بقوة والخبط واللطم ضد جسد الشيء أرضًا أو وجهًا أو حجرًا أو إنسانًا أو صنمًا لإحداث الأثر بإحداث الصوت أو الإيلام والمهانة أو تفجير الحجر (لإخراج الماء) أو تحطيم (الأصنام).

في قول الله تعالى: *واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا إن الله كان عليًا كبيرًا. وإنْ خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكمًا من أهله وحكمًا من أهلها إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما إن الله كان عليمًا خبيرًا*. **النساء:٣٤ ـ ٣٥.**

إذا أخذنا في الحسبان طبيعة السياق وطبيعة الحال والغاية من الترتيبات في الإصلاح والتوفيق، وإذا أخذنا في الحسبان قيم الإسلام في تكريم الإنسان وحفظ كرامته وحقه في تقرير مصيره، وإذا أخذنا في الحسبان طبيعة العلاقة الزوجية الاختيارية، وإمكان طرفي العلاقة الزوجية في إنهائها إذا لم يقتنعا بها، ولم يرع أحد منهما حقوق الآخر فيها، وأنه لا مجال لإرغام أي طرف منهما أو قهره عليها، أدركنا أن المعنى المقصود من «الضرب» لا يمكن أن يكون الإيلام والمهانة، وأن الأولى هو المعنى الأعم الذي انتظم عامة معاني كلمة «الضرب» في السياق القرآني هو البعد والترك والمفارقة، وذلك أن بعد الزوج عن الزوجة وهجرها، وهجر دارها كلية من طبيعة الترتيبات المطلوبة لترشيد العلاقة الزوجية، ولأن ذلك هو خطوة أبعد من مجرد الهجر في المضجع؛ لأن مفارقة الزوج وترك منزل الزوجية، والبعد الكامل عنها وعن دارها، يضع المرأة وبشكل مجسد محسوس أمام آثار التمرد والعصيان والصراع مع الزوج وهو الفراق و«الطلاق»، وهذه الخطوة المحسوسة الملموسة تعطي المرأة الفرصة الكاملة أن ترى وتحس وتتمعن في آثار نشوزها ونتائج

سلوكها وعصيانها وهو الفراق و«الطلاق»، وهل ذلك ما تقصده بالفعل من سلوكها؟ وهل حسبت كامل آثاره ونتائجه أم إنها نزوة جهالة رعناء عليها أن تعود عنها إلى رشدها وتعيد زوجها إلى دارها قبل فوات الأوان.

فـ «ضرب» المرأة في بيتها معناه الأولى والأجدر في سياق ترشيد العلاقة الزوجية ووضع أطرافها أمام مسؤولياتهم، والعودة عن الشقاق والنزاع غير المقصود - هو «الترك والمفارقة والاعتزال»، أي ترك منزل الزوجية ومفارقة دار المرأة واعتزالها، وذلك كخطوة أبعد، ودرس للمرأة أعمق وأبلغ، كآخر خطوة ممكنة في أي جهد ذاتي يبذل بين الأزواج، لرأب الصدع، ولم الشمل، تتبين فيه أطراف العلاقة، الآثار الخطيرة، المترتبة على العصيان والتمرد والشقاق، في انفراط عقد الأسرة وانهيارها، ولا يكون بعد خطوة ترك منزل الزوجية، إن بقي للود موضع، إلا التحكيم ومساعدة طرف ثالث من أهل الزوجة والزوج، على إدارة الحوار وامتحان أسباب النفرة والنزاع، واقتراح الحلول وترشيد الأطراف، لوضع حد لتلك النفرة، فلا يتطور الأمر إلى صراع وشقاق وتظالم، ولينهي الشقاق بين الزوجين، إما بالإصلاح وإما بالفراق والطلاق. *فإمساك بمعروف أو تسريحٌ بإحسان*. **البقرة: ٢٢٩**.

وهذا الفهم لمعنى «الضرب» بمعنى المفارقة والترك والاعتزال تؤكده السنة النبوية الفعلية حين فارق رسول الله صلى الله عليه وسلم بيوت زوجاته حين نشب بينه وبينهن الخلاف ولم يتعظن وأصررن على عصيانهن وتمردهن رغبة في شيء من رغد العيش. فلجأ رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى «المشربة» شهرًا كاملاً تاركًا ومفارقًا لزوجاته ومنازلهن، مخيّرًا إياهن بعدها بين طاعته والرضا بالعيش معه على ما يرتضيه من العيش وإلا انصرف عنهن وطلقهن في إحسان. *عسى ربُّه إن طلّقكنَّ أن يبدله أزواجًا خيرًا منكن*. **التحريم: ٥**.

وهو عليه أفضل الصلاة والسلام لم يتعرض لأي واحدة منهن خلال ذلك بأي لون من ألوان الأذى الجسدي أو اللطم أو المهانة بأي صورة من الصور، ولو كان الضرب بمعنى الأذى الجسدي والنفسي أمرًا إلهيًا، ودواء ناجعًا لكان عليه السلام أول من يبادر إليه ويفعل ويطيع. ولكنه عليه الصلاة والسلام لم يضرب ولم يأمر بالضرب، ولم يأذن ولم يسمح بالضرب، وقد أراد أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ضرب ابنتيهما اللتين أغضبتا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونازعتاه. ونحن نعلم أن سلوك رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته الفعلية هما الفهم والبيان الأولى في فهم القرآن الكريم، وقد أثمر السلوك النبوي أثره فعلاً في توضيح الآثار المترتبة على استمرار النزاع ووضع حد له، وهكذا حين رأت الزوجات جد الأمر وغضب أهليهن وقد افتقدن العشرة النبوية الرضية، كان ذلك كافيًا ليعدن إلى صوابهن ويرجعن عن نشوزهن، ويدخلن في طاعته والقناعة بالعيش إلى جانبه على ما يحب ويرضى(٩).

نموذج عملي

وهكذا لجأ رسول الله صلى الله عليه وسلم، حين أصرت زوجاته على عصيانه، إلى مفارقة منازلهن، واعتزالهن مدة شهر ليدركن النتائج المترتبة على العصيان والتمرد دون أن يلجأ إلى أي شيء من اللطم أو الإهانة، فهجر منازل زوجاته واعتزالهن مدة شهر قبل أن يعلم أهلهن بالأمر، وأن يُخيَّرن في الأمر بين الطاعة وبين الفراق، فأدركن جد الأمر، وخبرن آثار الفراق، فعدن إلى صوابهن، فيكون معنى «الضرب» في السنة الفعلية للرسول صلى الله عليه وسلم هو المفارقة والترك والاعتزال، وهو ما يتسق وطبيعة الأمر النفسية من ناحية، ومع الروح العامة لاستعمال اللفظ «ضرب» ومشتقاته مجازًا في القرآن الكريم، ولا يتعارض مع تأويل ابن عباس رضي الله عنه في نصح الزوج ألا يتعدى تعبيره عن عدم الرضا والغضب على أي حال من الأحوال أكثر من اللمس بالسواك وما شابهه لما قد يكون فيه من معنى الغضب، ولكن ليس من الواضح كيف يكون مثل هذا اللمس في هذه المرحلة المتقدمة من النزاع كافيًا لإظهار مزيد من جدية الموقف وآثاره الوخيمة، ونقله إلى مرحلة أبعد وأكثر فعالية مما

سبق من خطوة «هجر المضجع» باتجاه الحل والوفاق أو الفراق.

ولذلك فإنني أرى أن المعنى المقصود بـ «الضرب» في السياق القرآني بشأن ترتيبات إصلاح العلاقة الزوجية إذا أصابها عطب ونفرة وعصيان هو مفارقة الزوج زوجته وترك دار الزوجية، والبعد الكامل عن الدار كوسيلة أخيرة لتمكين الزوجة من إدراك مآل سلوك النفرة والنشوز والتقصير في حقوق الزوجية ليوضح لها أن ذلك لا بد أن ينتهي إلى الفراق و«الطلاق» وكل ما يترتب عليه من آثار خطيرة خاصة لو كان هناك بينهما أطفال. إن معنى الترك والمفارقة أولى هنا من معنى الضرب بمعنى الإيلام والأذى الجسدي والقهر والإذلال النفسي؛ لأن ذلك ليس من طبيعة العلاقة الزوجية الكريمة ولا من طبيعة علاقة الكرامة الإنسانية، وليس سبيلاً مفهوماً إلى تحقيق المودة والرحمة والولاء بين الأزواج، خصوصاً في هذا العصر وثقافته ومداركه وإمكاناته ومداخل نفوس شبابه، ولأن هذا المعنى كما رأينا تؤيده السنة النبوية الفعلية كوسيلة نفسية فعالة لتحقيق أهداف الإسلام ومقاصده في بناء الأسرة على المودة والرحمة والعفة والأمن، ومحضن أمين على تربية النشء روحياً ونفسياً ووجدانياً ومعرفياً على أفضل الوجوه، لتحقيق السعادة وحمل الرسالة.

وإذا خالفت الأفهام اللاحقة في بعض الأمور، في ضوء ظروفها، الفهم النبوي والسنة الفعلية، ومنها هذا الأمر، فإن هذا الأمر لن يكون الأمر الوحيد الذي يكون قد خالف فيه كثير من الأفهام وجوه الصواب وذلك بسبب ما أصاب أمة الإسلام وأفهامها من أحداث جسام، منها ما علق بفكر الأمة من آثار تراث الحضارات الغابرة لشعوب الأمة والتي يصعب معها ألا تترك شيئاً، بوعي أو بغير وعي، من آثارها على فكر رجال الأمة وأفهامها بسبب تلك الظروف، مما انتهى بالأمة إلى ما هي فيه اليوم من ضعف وعجز وتمزق وتخلف، وكل هذا يوجب علينا النظر الناقد في كل أحوالنا وأفهامنا بما يحقق مقاصد الشريعة في واقع أحوالنا ويعود بالأمة وطاقاتها إلى قبس من روح الرسالة ومقاصدها السامية، وريادتها القادرة الهادية بإذن الله.

المراجع والهوامش

١. رئيس الجهاز العالمي للفكر الإسلامي ورئيس مؤسسة تنمية الناشئة / الولايات المتحدة الأمريكية.

٢. عبدالحميد أبو سليمان «ظاهرية ابن حزم وإعجاز الرسالة المحمدية» مجلة «التجديد» تصدر عن الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا. السنة الثانية. العدد الثالث. فبراير ١٩٩٨م.

٣. انظر كتاب «النظرية الإسلامية للعلاقات الدولية: اتجاهات جديدة للفكر والمنهجية الإسلامية». المعهد العالمي للفكر الإسلامي. الولايات المتحدة الأمريكية. وترجمه إلى العربية الأستاذ الدكتور ناصر البريك. الرياض. المملكة العربية السعودية، ١٩٩٣م.

٣. انظر للمؤلف كتاب «النظرية الإسلامية للعلاقات الدولية: اتجاهات جديدة للفكر والمنهجية الإسلامية» مرجع سابق في تفسير قوله تعالى: «يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون». ص١٦١ ـ ١٦٩ أو الأصل باللغة الإنجليزية ص ٦٩ ـ ٧٥.

٤. انظر: «جامع البيان في تفسير القرآن» لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) وهامشه «تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان» لنظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري في تفسير قوله تعالى: «واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً» طبعة دار لبنان. بيروت. المجلد الرابع. الجزء الخامس. الصفحة ٤٠ ـ ٤٤.

٥. من المهم ملاحظة أنه وإن لم تتعرض آية الخلع «فلا جناح عليهما فيما افتدت به» لمقدار الفدية. إلا أن الحكم النبوي قد قرر حدها الأعلى لحكمة بالغة بمقدار المهر الذي قدمه الزوج أو ما يكافئه «أتردين عليه حديقته» لا زيادة. لأن السماح بالزيادة قد يؤدي هو أيضاً أن يكون المال دافع تفكك الأسرة بأن يعمل الزوج على مضايقة زوجته وأذاها ليبتزها ويدفعها إلى طلب الخلع طمعاً لما عندها لتفتدي نفسها. ولذلك كانت حكمة الفدية في حدود المهر حتى لا يكون المال سبباً لدى الزوجة أو الزوج لتفكك الأسرة سواء بسواء وأي حكم بأي تعويض مالي للزوج أكثر مما دفعه مهراً يجب أن يكون له أسبابه المحددة المسوغة غير عدم رغبة الزوجة في عشرة الزوج مما يحق للزوج التعويض عنه: يستوي في ذلك الزوج والزوجة في كل الأحوال.

٦. أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: جامع البيان في تفسير القرآن وهامشه تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان لنظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، مجلد ٤، جزء ٥، ص ٤٠ ـ ٤٤.

٧. «الضغث» هو «الحزمة» ويذكر المفسرون أن المقصود به هو شمروخ النخل وما به من الأغصان الرهيفة الكثيرة: أي إن الله الذي كرم بني ادم وجه نبيه أيوب الذي غضب من زوجته وهو يعاني صابراً من المرض أن يبر قسمه في ضرب زوجته مئة ضربة بأن «يهشها بأغصان الشمروخ» المئة كناية عن «الضرب». فأبر قسم نبيه أيوب دون أن يرتكب أيوب خطأ جرماً بأن يضرب زوجته على ما صدر عنها من تصرف خاطئ دون أن ينال الزوجة بالأذى والمهانة. كما نجا المؤمن المسلم إسماعيل ابن المؤمن المسلم إبراهيم من الذبح فصدق رؤية إبراهيم دون أن يذبح ابنه بأن فداه بذبح عظيم. الصافات: ١٠٧.

٨. يلاحظ أن القرآن الكريم لم يعبر بلفظ «الضرب» ولكن بلفظ «الجلد» (بفتح الجيم) حين قصد إلى «الضرب» بمعنى الأذى الجسدي بقصد العقاب والتأديب وذلك في قوله تعالى: الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مئة جلدة. النور:٢.، وذلك من الجلد (بكسر الجيم) لأنه هو موضع الإحساس بالأذى والألم وهو المقصود «بالضرب».

٩. انظر صحيح البخاري الحديث ٥٣٩٥، وصحيح مسلم الحديث رقم ٢٧٠٤ وسنن الترمذي الحديث ٣٢٤٠، ومسند أحمد الحديث رقم ٢١٥٨٨.

جبل طارق في العصر الإسلامي

مقصد العلماء والأدباء

رشيد العفاقي
طنجة - المغرب

يقع جبل طارق Gibraltar على مضيق بحري يُنسب إليه: مضيق جبل طارق Estrecho de Gibraltar، وكان يسمى قديمًا: بحر الزُّقاق(١)، وقد ورد بهذا الاسم في المصادر المسيحية القديمة: Azucaque(٢).

كان لهذا المضيق البحري دور متميِّز في تاريخ المغرب والأندلس(٣)، إذ بفضل موقعه الجغرافي الإستراتيجي كان يسمح بالسيطرة على الملاحة البحرية بالغرب الإسلامي، ومراقبة حركة التجارة البحرية، كما كان درعًا واقيًا ضد هجمات الأعداء الطارئة.

لذا عملت كل الممالك والدول، قديماً وحديثاً، على امتلاك موطئ قدم على هذا المضيق، بدافع المصالح التجارية والسياسية والعسكرية. ولا يزال الصراع لامتلاك الثغور التي تقع على هذا المضيق قائماً إلى أيامنا هذه، فإسبانيا لاتزال تحتل مدينة سبْتة المغربية، وإنجلترا تحتل جبل طارق منذ زمن طويل، وكانت مدينة طنجة إلى حدود عام ١٩٥٦م مستعمرة دولية تلتقي فيها مصالح الكثير من الدول الاستعمارية.

وقد احتدم الصِّراع طوال العصور الوسطى على امتلاك الثغور التي تقع على هذا المضيق البحري، وهي من جانب برِّ المغرب: طنجة، وقصر المجاز، وسبتة. ومن جانب برِّ الأندلس: جبل طارق، والجزيرة الخضراء Algeciras، وطريف Tarifa.

وحين احتلت هذه الثغور في القرن ٩هـ/١٥م من طرف القشتاليين والبرتغاليين خرجت السيطرة على الزُّقاق (مضيق جبل طارق) من أيدي المغاربة والأندلسيين، وكان هذا بمنزلة كتْم أنفاس للمغرب والأندلس وقطع أوصالهما.

والملاحظ أنه ابتداءً من وقعة العقاب Las Navas de Tolosa في سنة ٦٠٩هـ قامت قشتالة Castilla بتهديد الثغور الأندلسية بشكل مستمر في محاولة لاحتلالها، وقد ساعدت الهزائم التي منيت بها الجيوش العربية بالأندلس على تحقيق أحلام قشتالة، إذ ما لبث أن انهزم المسلمون هزيمة قاسية بمياه مضيق جبل طارق سنة ٧٤١هـ بمعركة تعرف في المصادر العربية بـ: وقعة طريف، وفي المصادر المسيحية بـ: Batalla Del Rio Salado.

وعلى إثر هذه الهزائم استطاعت قشتالة أن تحتل جبل طارق والجزيرة الخضراء فترة من الفترات، إذ كان المغاربة والأندلسيون ينجحون أحيانًا في تحرير أحد هذه الثغور، لكن أمام قوة الأسطول الحربي القشتالي وحليفته أراغون Aragon

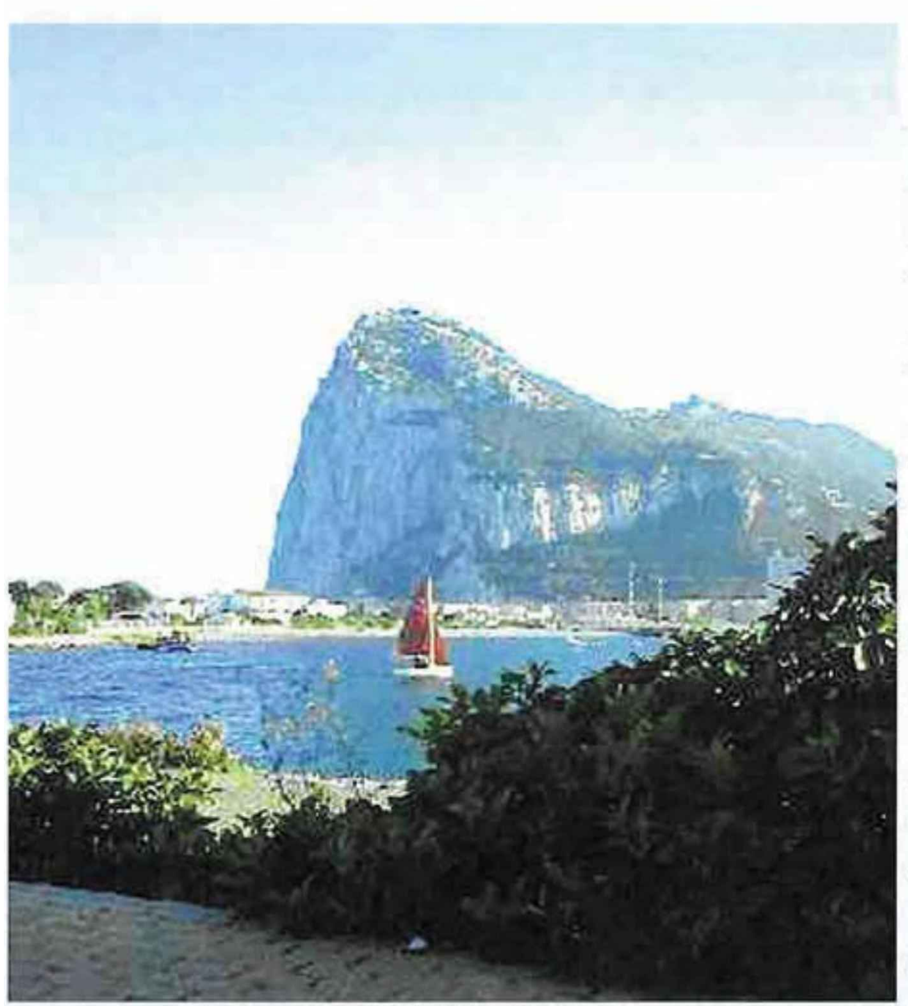
انتهى الأمر باحتلال الثغور الأندلسية نهائيًا.

منزل الجيوش المغربية

أما البرتغاليون فقد نجحوا بشكل كبير في احتلال الثغور المغربية، فسقطت بأيديهم سبتة سنة ٨١٨هـ/١٤١٥م، وقصر المجاز سنة ٨٦٣هـ/ ١٤٥٨م، وطنجة سنة ٨٧٦هـ/ ١٤٧١م.

وجبل طارق يُنسب إلى طارق بن زياد حاكم مدينة طنجة الذي جاز بجيوشه إلى الأندلس وافتتحها في شعبان من سنة ٩٢هـ(٤)، ويسمى أيضًا بجبل الفتح نسبة إلى فتح الأندلس، إذ كان أول موضع نزل به الفاتحون العرب.

ولما نزل طارق بالجبل تحصن به، وقام في أصحابه خطيبًا، وحثهم على الجهاد ورغبهم فيه، ثم ألقى خطبته المشهورة، التي أوّلها: «أيها الناس أين المفر؟ البحرُ من ورائكم والعدو أمامكم، وليس لكم والله إلا الصدق والصبر، واعلموا أنكم في هذه الجزيرة أضيع من الأيتام في مأدبة اللئام»(٥).



منظر حديث لجبل طارق

هذه كانت بدايات جبل طارق تحت الحكم العربي، ويبدو أن طارق بن زياد أقام به بعض الوقت، وبنى به حصنًا بقيت أسواره معروفة إلى عصر ابن جُزَيّ الغرناطي (ت:٧٥٧هـ)، وكانت تسمى في وقته بسور العرب(٦).

وظل جبل طارق منزلاً للجيوش المغربية الواردة على الأندلس للجهاد، وكان الشاعر ابن زيدون يرى أن جبل طارق هو أفضل موضع تنزله العساكر المرابطة بقيادة يوسف بن تاشفين سنة ٤٧٩هـ(٧).

وجبل طارق لا يبعد كثيرًا عن مدينة الجزيرة الخضراء، فقد وصفه الحميري بقوله: «جبل طارق، فيه خرج طارق بن زياد ومنه افتتح الأندلس وهو عند الجزيرة الخضراء، وبجبل طارق مرسى يكنّ من كل ريح...، وبين الجبل والجزيرة، أميال، وهو جبل منقطع مستدير في أسفله كهوف فيها ماء(٨).

أما ابن صاحب الصلاة (ت: ٥٩٤هـ/١١٩٨م) الذي أقام بجبل طارق بعض الوقت فوصفه بما يأتي: «وجبل طارق هذا شريف البقعة كريم التربة عظيم المَنَعة، باسقٌ معَ أعنان السماء، يكادُ في المسامتة إلى الجوزاء، وكلما استودع في أرضه من البطحة المنبسطة من بعضه، نما وزكا وفضل، وجلّ وأثمر عن قرب لغرسه وأكمل، واستقل من جميع الفواكه كشجر التين، والعنب، والتفاح، والكمثرى، والسفرجل، والمشمش، والإجاص، والأُترج، والموز، وغير ذلك على ضيق ضفته الممتدة كالحبل المستمدة من الطلِ والوبل وماؤه عذب زُلالٌ»(٩).

إعمار الجبل

ويبدو أن جبل طارق ظل حصناً عسكرياً ومسكناً للجيوش المجاهدة والمرابطة، تابعاً لمدينة الجزيرة الخضراء التي كان أهلها يفدون إلى الجبل للتنزه والرباط.

أما البداية الحقيقية لتعمير جبل طارق وتمتيعه بكل مرافق وخطط المدينة الإسلامية فكانت في العصر الموحدي، حين أمر الخليفة عبدالمؤمن بن علي الكومي ببناء مدينة كبرى في جبل طارق بتاريخ ٩ ربيع الأول سنة ٥٥٥هـ، ويسمى هذا العام بعام الأخماس(١٠).

ويعد ابن صاحب الصلاة شاهد عيان على أعمال البناء التي تمت بمدينة جبل طارق في زمن لا يتعدى ٧ أشهر(١١)، فقد ذكر أن الخليفة عبدالمؤمن كلف ابنه أبا سعيد والي غرناطة بالإشراف على البناء، فانتقل هذا الأخير إلى جبل طارق مع

كان استيلاءُ النصارى على جبل طارق سنة ٧٠٩هـ أكبر نكبة أصابت الأندلس منذ سقوط قواعدها الكبرى، فقصد ابن الأحمر ملك غرناطة مدينة فاس مستنجداً بملك المغرب أبي الحسن المريني

جملة من أعيان قرطبة وإشبيلية، وجماعة من المهندسين في فن البناء أشهرهم الحاج يعيش المالقي الذي كان الموحدون يعتمدون عليه في المشروعات المهمة. وأمرهم أبو سعيد أن يستنفروا جميع الفعلة من البنائين والجيارين والنجارين والعرفاء من جميع بلاد الأندلس ويستعجلوا بالوصول إلى جبل طارق، فامتثل الناس لذلك من الأجناد والقواد والكتاب وأهل الحساب لتقييد الأشغال والإنفاق على الأعمال. فجاء من إشبيلية العريف أحمد بن باسُهْ بجميع البنائين، وهو من أبرز الخبراء الذين اعتمدهم الموحدون في مشروعاتهم المعمارية الكبرى، إذ كان شيخ العرفاء في وقته وهو الذي قام ببناء جامع إشبيلية الأعظم La Giralda ونزل البناؤون بالجبل في الموضع الذي وقع الجمع عليه والاتفاق من نواحيه، وأحكموا فيه البناء من القصور المشيدة والديار، واخترعوا في أسسها طيقاناً والحنايا لتعتدل بها الأرض مبنية بالحجر المنجور والجيار.

وكان المهندس الحاج يعيش المالقي مدة إقامته بجبل طارق للبناء قد صنع في أعلاه رحى تطحن القمح بالريح، واتصل بهذا العمل من بناء الدور والقصور بناءُ السور والباب المسمى بباب الفتوح في الفرجة التي كان يدخل منها إلى الجبل بين البحر المحدق به كلا جانبيه. وكان الوالي أبو سعيد قد لازم الاجتهاد، يتطلع مع الساعات مبلغ أحوال المباني، والفعلة يجتهدون في أعمالهم، وينصحون في الاشتغال قدر طاقتهم من أحوالهم، فظهر البناء في أقرب مدة وأبدى عليه العامل جهده(١٢).

وأكثر ما سردناه هو من كتاب «المن بالإمامة» لابن صاحب الصلاة الذي عاصر فترة بناء مدينة جبل طارق التي أصبحت تتمنع بالحصانة والمنعة حتى جاءت «فرداً في المعاقل لا يتمكن لطامع فيها طمعٌ، ولا يخطر على خاطر ساكنه جزعٌ من برٍ و لا بحر»(١٣).

أما عبدالواحد المراكشي (ت: ٦٢٥هـ/١٢٢٨م) فذكر أن عبدالمؤمن «نزل الجبل المعروف بجبل طارق وسماه هو جبل الفتح، فأقام به أشهراً(١٤) وابتنى به قصوراً عظيمة، وبنى هناك مدينة هي باقية إلى اليوم، ووفد عليه في هذا الموضع وجوه الأندلس للبيعة كأهل مالقة وغرناطة ورندة وقرطبة وإشبيلية، وما والى هذه البلاد وانضم إليها. وكان له بهذا الجبل يومٌ عظيمٌ، اجتمع له وفي مجلسه فيه وجوه البلاد ورؤساؤها وأعيانها وملوكها من العدوة والأندلس ما لم يجتمع لملك قبله، واستدعى الشعراء في هذا اليوم..»(١٥).

كما لم يفت ابن عبدالمنعم الحميري (ت: ٧٢٦هـ/١٣٢٦م) أن يسجل حدث بناء مدينة جبل طارق في معجمه الجغرافي المسمى «الروض المعطار في خبر الأقطار»، فقال: «وكان أحد خلفاء بني عبدالمؤمن أمر ببناء مدينة على جبل الفتح، فندب إليه البناة والنجارين وقطاع الحجر للبنيان والجيار من كل بلدة، وخطت فيه المدينة، وقدم إليه من المال ما يعجز كثرة، واتخذ فيها الجامع وقصراً له وقصوراً تجاوره للسادة بنيه، وتوالى العمل في ذلك، وأقطع أعيان وجوه البلاد فيه منازل نظروا في بنائها بعد أن حفروا في سفح الجبل مواضع نبع فيها الماء، وجمع بعضها إلى بعض حتى سال منها جدول عم المدينة لأنفسهم وماشيتهم من أعذب الماء وأطيبه، يصب في صحن عظيم اتخذ له، وأجري إلى الجنات المغترسة بها عن أمره. فللحين ما جاءت مدينة تفوت المدن حسناً وحصانة، لا يدخل إليها إلا من موضع واحد قد حصن بسور منيع من البنيان الرفيع، وسميت بمدينة الفتح،

وقالت الشعراء بها، ثمّ جاز إليها في سنة ٥٥٦هـ، ووردت الوفود عليه هناك فتلقاهم بالتكرمة»(١٦).

ويبدو أنّ رواية ابن عبدالمنعم الحميري تتخللها بعض الأخطاء الطفيفة: فالأمر ببناء مدينة بجبل طارق هو الخليفة عبدالمؤمن بن علي لا أحدُ أبنائه، وكان ورودُه على جبل طارق سنة ٥٥٥هـ لا سنة ٥٥٦هـ.

وفود في قصر الخليفة

ولما كملت أعمال بناء مدينة جبل طارق قرر الخليفة عبدالمؤمن أن يرحل إليه ليقف بنفسه على ما أبدعه البناؤون والمهندسون الأندلسيون في فنّ البناء الذي تمّ بالجبل. وهكذا ورد الخليفة على جبل طارق في شهر ذي القعدة من سنة ٥٥٥هـ/

جبل، وأبو محمد المالقي وخطبوا على انفراد، كلّ واحد منهم خطبة في حق البيعة ولزومها، ثمّ أذن الخليفة للشعراء في الإنشاد(١٧).

فكان أبو عبدالله محمد بن حبّوس الفاسي أول من أنشد، إذ أنشد في ذلك اليوم قصيدة أولها:

بلغ الزمانُ بهديكم ما أمّلا
وتعلّمت أيامُه أن تعدلا
وبحسبه أن كان شيئاً قابلاً
وجد الهداية صورةً فتشكّلا(١٨)

وأنشد في ذلك اليوم أيضاً: الأصمُّ المرْوانيّ، الذي مدح عبد المؤمن بقصيدة طويلة معارضاً بها بائية أبي تمام: السّيفُ أصدقُ



من الآثار الإسلامية في الأندلس

ديسمبر ١١٦٠م، ووفد إلى الجبل لاستقباله جميع أشياخ وأعيان ورؤساء غرناطة وقرطبة وإشبيلية كأبي بكر الغافقيّ والحافظ أبي بكر بن الجدّ، وسائر أهل النباهة من الكبراء والشعراء، ولمّا علم الخليفة بوصولهم أمر أن تدخل الوفود إليه بمجلسه في قصره بجبل طارق، فتقدم القاضي أبوبكر الغافقي لتعيين أهل إشبيلية Sevilla وأهل الغرب Algarbe وتسميتهم، وكذلك قاضي قرطبة Cordoba لتعيين أهل قرطبة ونظَرها.

وقام الخطيب أبو الحسين الإشبيلي وصاحبه أبو محمد بن

أنباء من الكتب. منها:

ما للعدا جُنّةٌ أوقى من الهرب
أين المفرُّ وخيلُ الله في الطّلب
وأين يذهبُ مَنْ في رأس شاهقة
إذا رمته سماءُ الله بالشُّهب

ومنها:

وطودُ طارقَ قد حلّ الإمامُ به
كالطُّور كان لموسى أيمن الرُّتب

لَوْ يَعْرفُ الطَّوْدُ مَا غَشَّاهُ من كَرَمٍ
لَمْ يَبْسطِ النُّورُ فِيهِ الكفُّ للسُّحُبِ
ولَوْ تَيَقَّنَ بأسًا حَلَّ ذروَتَهُ
لَصَارَ كَالعينِ من خوفٍ ومِنْ رَهَبِ
منهُ يعاوِدُ هذا الفتحَ ثانيةً
أضعافَ مَا حدثُوا في سالفِ الحقَبِ
ويلْبسُ الدِّينُ غَضًّا ثوبَ عزَّتِهِ
كأنَّ أيامَ بدْرٍ عنهُ لم تَغِبِ(١٩)

لما كملت أعمال بناء مدينة جبل طارق قرر الخليفة عبدالمؤمن أن يرحل إليه ليقف بنفسه على ما أبدعه البناؤون والمهندسون الأندلسيون في فنّ البناء، ووفدَ إلى الجبل لاستقباله جميع أشياخ غرناطة وقرطبة وإشبيلية وأعيانها ورؤسائها

ومِنْ مشهوري شعراء الأندلس الذين أنشدوا قصائدهم بجبَل طارق حين نزل به الخليفة عبدالمؤمن: الشاعر الإشبيلي أبو العباس أحمد بن سيد الملقب باللص، أنشد قصيدةً أولها:

غمِّضْ عن الشمس واستقصر مدى زُحَلِ
وانظر إلى الجبل الراسي على الجبلِ
أنَّى استقرَّ له أنَّى استقلَّ بهِ
أنَّى رأى شخصَهُ العالي ولم يَزَلِ
أنَّى أطاقَ له حملاً وقدْ عَجِزَتْ
عنه الصدور وفيها كُلُّ مُحْتملِ
ومَن تكنْ رُحْبُ الأذهانِ ضيّقةً
عن حمله لم يَسعْهُ أرحب السُّهُلِ
لكن رأى جارَهُ ذا اللُّجِ يحملُهُ
فكان ما كان بين العجزِ والفشلِ
لتَهْنَ أندلسًا أنْ زارها ملِكٌ
أحيا وأنشر فيها مَيْتَ الأمل(٢٠)

كما أنشد في ذلك اليوم الوزير الكاتب أبو عبدالله محمد بن غالب البلنسي المعروف بالرُّصافي، قصيدة مشهورة في الخليفة عبدالمؤمن، أولها:

لوْ جئتَ نارَ الهُدى مِنْ جانبِ الطُّورِ
قبسْتَ ما شئتَ من علمٍ ومن نورِ
مِنْ كلِّ زهراء لم تُرْفَعْ ذؤابتُها
ليلاً لِسارٍ، ولم تُشْبَبْ لمقرُورِ

ومنها:

يادارَ دار أميرِ المؤمنين بسَفـ
ـحِ الطَّوْدِ، طوْدِ العُلى: بُوركتِ في الدُّورِ
ذاتَ العِمادَيْنِ منْ عِزٍّ ومملكةٍ
على الأساسيْنِ مِنْ قُدْسٍ وتطْهيرِ
ما كانَ بانيكِ بالواني الكرامةَ عَنْ
قصرٍ على مجمعِ البحرينِ مقْصورِ

ومنها أيضًا:

حتّى رمَتْ جَبلَ الفتحيْنِ منْ كَثَبٍ
بساطعٍ منْ سَناهُ غيرِ مبهورِ
للهِ ما جَبلُ الفتحين منْ جَبلٍ
معظَّمِ القدْرِ في الأجبالِ مذكورِ
من شامخِ الأنفِ في مَخْنانِه طلَسٌ
لَهُ من الغيمِ جَيْبٌ غيرُ مَزْرُورِ
معبِّرًا عنْ ذُراهُ عنْ ذرى مَلِكٍ
مستمطرِ الكفِّ والأكنافِ ممطورِ
تُمْسي النجومُ على إكليلِ مفرقِه
في الجوِّ حائمةً مثْلَ الدَّنانيرِ
وربَّما مسحتْهُ منْ ذوائبِها
بِكلِّ فضلٍ على فوْدَيْهِ مجرورِ

إلى أن يقول:

مقيَّدُ الخطوِ جوَّالُ الخواطرِ في
عجيبِ أمْرَيْهِ منْ ماضٍ ومنظورِ
قد واصلَ الصَّمتَ والإطراقَ مفْتكِرًا
بادي السَّكينةِ مغْفرُ الأساريرِ
كأنه مُكْبِدٌ ممَّا تَعَبَّدَهُ
خوفُ الوعيدَيْنِ مِنْ دكٍّ وتسْييرِ
أخْلِقْ بِهِ وجبالُ الأرضِ راجفةٌ
أنْ تطمئنَّ غدًا منْ كلِّ محذورِ
كفاهُ فضلا أن انْتابتْ مواطنَهُ
نَعْلا مليكٍ كريمِ السَّعْيِ مشكُورِ

والقصيدة طويلة، بالغ فيها الرُّصافي البلنسي بامتداح جبل طارق والخليفة عبدالمؤمن الوارد عليه(٢١).

ولما مدح أبو القاسم أخيل بن إدريس الرُّنْديّ عبدَ المؤمن في جبل طارق بقصيدة أوّلها:

ما الفخرُ إلا فخرُ عبدِ المؤمنِ
أثنى عليه كلُّ عبدٍ مؤمنِ

علّق عليه أبو جعفر بن سعيد، بقوله: دعاهُ التجنيس إلى الضُّعف والخروج عن المقصود، والأولى أن لو قال «شادَ الخلافة وهو أوّلُ مُبتني»(٢٢).

وأبو جعفر صاحب هذا التعليق هو الوزير أبو جعفر بن سعيد العنسي، كان في وفد غرناطة الذي جاء لملاقاة الخليفة عبدالمؤمن بجبل طارق، وكان أبو جعفر في حداثة سنّه فدخل على الخليفة، وأنشده قصيدة منها:

تكلّمْ فقدْ أصغى إلى قولك الدهرُ
وما لسواك اليوم نهيٌ ولا أمرُ
ورُمْ كلَّ ما قدْ شئتهُ فهو كائنٌ
وحاولْ فلا بَرٌّ يفوتُ ولا بَحرُ
وحسبُكَ هذا البحرُ فألاً فإنّهُ
يقبّلُ تُربًا داسهُ جيشُكَ المجرُ
وما صوتُهُ إلا سلامٌ مُرددٌ
عليك وعن ثغرٍ بقُربكَ مفترُ
يجيشُ لكي يلْقَى أمامكَ منْ غدا
يُعاندُ أمرًا لا يقومُ لهُ أمرُ
أطلَّ على أهلِ الجزيرةِ سَعْدُها
وصدّقها من ذلكَ الخبرِ الخُبرُ
فما «طارقٌ» إلا لذلكَ مُطرقٌ
و«لابن نصيرٍ» لمْ يكنْ ذلكَ النّصرُ
همَا مهّداها كيْ تحلَّ بأفقها
كما حلَّ عندَ التمِّ بالهالةِ البدرُ(٢٣).

ومن المنشدين أيضًا بمجلس عبدالمؤمن في جبل طارق الشاعر أبوبكر بن المُنخل الشِّلبيّ الذي قال في ذلك الجمع مُهنّئًا مادحًا:

فتحتُمْ بلادَ الشرقِ فاعتمدُوا الغربَا
فإنّ نسيمَ النّصرِ بالفتحِ قد هبّا
أصرتُمْ إليه الخيلَ وهي أجادلٌ
فسالتْ بكمْ بحرًا وطارت بكم ركْبَا
ودُستُمْ بها هاماتِ كلِّ مُضلّلٍ
ولم تتركوا عُجمًا هناك ولا عُربًا(٢٤)

وفي مجلس الخليفة عبدالمؤمن بجبل طارق دائمًا، قام الشيخ أبو عبيدالله بن محمد بن صاحب الصلاة الباجي مُنشدًا قصيدة، أوّلها:

تلألأ منْ نورِ الخلافةِ بارقٌ
أضاءتْ به الآفاقُ والليل غاسقٌ
وأشرقت الدنيا به فكأنّها
من البِشْرِ في كلِّ الجهاتِ مشارقٌ
وهبّ بريّاهُ النّسيمُ فخلتُهُ
يُخبّرُنا أنّ الخليفةَ لاحقٌ
إلى جبلٍ قدْ كانَ للفتحِ منزلاً
ولاذَ به بالفتحِ موسى وطارقُ(٢٥)

وثمّة شاعرٌ آخر ورد على جبلِ طارق في تلك الأيام وهو ابنُ لُبّال الشّريشيّ (٥٠٨هـ - ٥٨٢هـ) الذي دخل مجلس الخليفة عبد المؤمن وأنشد هذين البيتين:

تكاملتْ فيك أوصافٌ خُصصتَ بها
فكلّنا بكَ مسرورٌ ومغتبطُ
فالسّنُّ ضاحكةٌ والكفُّ مانحةٌ
والصّدْرُ مُتّسعٌ والوجْهُ منبسطُ

وهذان البيتان يُنسبان لأبي الشيص الخُزاعيّ، وكان ابنُ تومرت (المؤسس الروحي لدولة الموحدين) يُنشدُهما إذا أبصر عبدالمؤمن(٢٦).

وهؤلاء هُم الشعراء الذين أنشدوا قصائد المديح والتهاني بمجلس الخليفة عبد المؤمن بجبل طارق، وثمّة أدباء وشعراء آخرون كانوا حاضرين بالجبل في تلك الأيام إلا أنّ المصادر التاريخية لم تذكرْهُم.

وقد رأينا أنّ كلَّ الشُعراء مدحوا الخليفة بمُنتهى الكرم، كما كان الخليفة كريماً معهُم، إذْ أمر بعشرة دنانير «لكلّ شاعرٍ وأمر بعشرين مثقالاً لكلّ منْ وفد إليه منْ قاصد لرؤيته وزائر»(٢٧).

وروى ابن صاحب الصلاة عن أبي القاسم بن أبي هارون، قال: «كُنتُ واحدًا من جميع الوفد الذين بادروا بقصدهم ووفدهم مع أهل إشبيلية ومنْ كان تحت طاعة التوحيد منْ أهلِ الأندلس

إلى أمير المؤمنين رضي الله عنه بجبل طارق وأقمنا معه نحو ٢٠ يوماً..»(٢٨).

وكان انصراف عبدالمؤمن عن جبل طارق إلى حضرة مراكش في أوائل سنة ٥٥٦هـ(٢٩)..

ويبدو أن لقاء الخلفاء الموحدين بأهل الأندلس في جبل طارق، وإقامتهم لمجالس الشعر بذلك الثغر الأندلسي الجنوبي أصبح تقليداً سار على نهجه أبناء عبدالمؤمن فيما بعد.

ففي ربيع الأول من سنة ٥٦٠هـ اجتمع أبو حفص الموحدي بأخيه أبي سعيد في جبل طارق، ويخبرنا ابن صاحب الصلاة، الذي كان في جملة طلبة الحضر الواردين على أبي حفص بجبل طارق(٣٠)، أن الخير والحبور عم «بجميع الجهات والأصقاع ووفد أهل إشبيلية والفقيه ابن الجد، وقاضيهم أبو بكر الغافقي، وصاحب المخزن محمد بن المعلم المستناب بإشبيلية، وأهل الغرب، وأهل قرطبة وغرناطة، والشعراء للتهاني»، باتصال البشارات والأماني، وجلس السيد الأعلى للناس للسلام في القصر المشيد في البنيان الرفيع الشأن، فدخل وفد بعد وفد، وخطبوا وأطنبوا، وأطعموا الطعام، وأنيلوا المنزل الرحب والأنعام، وأنشد الشعراء أشعارهم وقضوا فيما وفدوا به أوطارهم، وحبا السيد الأعلى جميعهم بالأعطيات والبركات والكسا على أتم الخيرات، ودامت الإقامة في الجبل ١٥ يوماً في مسرة متصلة، ومبرة مشتملة»(٣١).

إذن هذه هي الأجواء التي كانت تسود بجبل طارق حين يحل به أحد الملوك الموحدين، وقد نقلها إلينا شاهد عيان هو ابن صاحب الصلاة مؤلف «المن بالإمامة» الذي كان واحداً من الذين رفعوا شعراً إلى السيد أبي حفص الموحدي الذي وعده «بعدة جميلة وآمال كفيلة»(٣٢).

كما أنشد أبو عمر بن حربون قصيدة، أولها:

قد حصحص الحق لا ريب ولا فند
هذي الفتوح التي كانوا بها وعدوا
خذوا بحظكم يا أهل أندلس
فليس فيها لغاوٍ بعدها رشد

ومنها:

أنظر إلى مجمع البحرين كيف حوى
من الفضائل ما لم يحوه بلد
لاقى الكليم على الشاطي به خضراً
وفيه لاقى أخاه السيد السيد(٣٣)

لاشك أن سقوط جبل طارق بيد المسيحيين كان فجيعة كبرى، إذ ما لبث أن هوى صرح الأندلس، ولم يبق للحياة «سرها» بذلك الصقع بعد ضياع الجبل

هزائم عربية

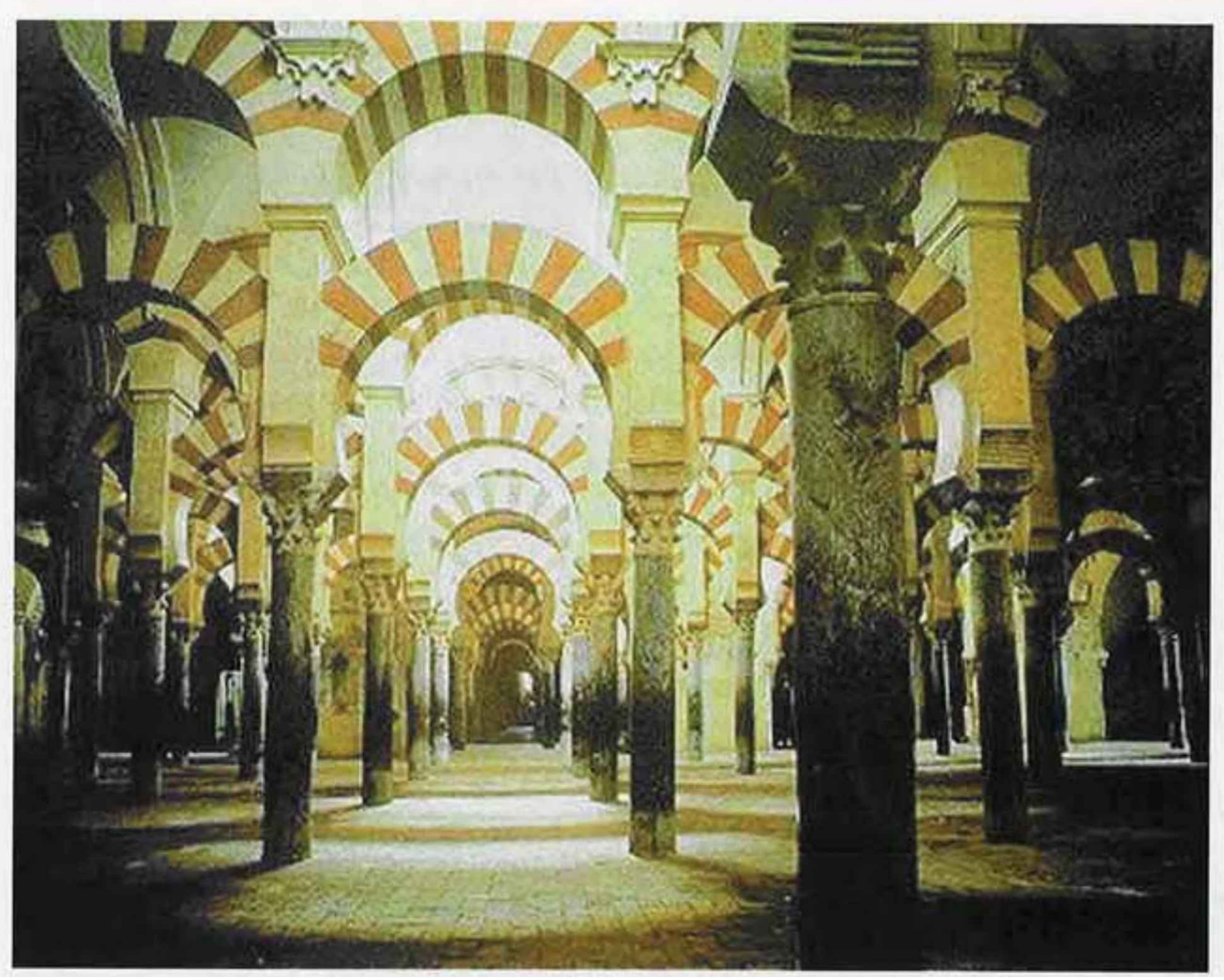
ومع توالي الأيام والسنين بدأت تخفت أصداء تلك الأيام الزاهرة التي عاشها أهل جبل طارق في عهد الدولة الموحدية، وبدأت ملامح الضعف والانحلال تظهر في تلك الدولة المغربية الأندلسية العتيدة، وستكون هزيمة وقعة العقاب سنة ٦٠٩هـ بداية النهاية للإمبراطورية الموحدية، وإيذاناً حقيقياً بضياع الأندلس.

وتوالت الهزائم العربية بالأندلس، فاستولى فرناندو الثالث على قرطبة عام ١٢٣٦م، وبعد ذلك بسنتين - ١٢٣٨م - استولى على إشبيلية. وفي عام ١٢٣٨م استولى خايمي الأول ملك أراغون على بلنسية.

وانحصر الحكم العربي بالقسم الجنوبي الشرقي من الأندلس الكبرى، الذي يشمل أقاليم: غرناطة ومالقة والمرية، حيث نجح محمد بن يوسف بن نصر قائد قرية أرجونة Arjona بتأسيس الدولة النصرية على أنقاض الدولة الموحدية بالأندلس عام ١٢٣٢م، أصبحت غرناطة Granada عاصمتها عام ١٢٣٨م، وعرفت فيما بعد بمملكة غرناطة(٣٤).

وكان قيام الدولة النصرية بالأندلس في حاجة إلى دعم ملوك المغرب، فاستنصر أهل الأندلس بملك المغرب يعقوب بن عبدالحق المريني (٦٠٩ - ٦٨٦هـ) الذي اجتاز إلى الأندلس أربع مرات وهزم القشتاليين أشد هزيمة حتى قال بعضهم: ما نصر المسلمون من العقاب حتى دخل يعقوب المريني. ثم تتابعت غزواته بالأندلس وجوازه للجهاد، وكان له من بلاد الأندلس: الجزيرة الخضراء، وطريف، وجبل طارق، ورندة(٣٥).

وعلى الرغم من الانتصارات التي حققها المغاربة والأندلسيون على القشتاليين، الراغبين في انتزاع ما تبقى من الأندلس الكبرى، فإن حلم قشتالة بامتلاك منفذ على مضيق جبل طارق دفع بفرناندو الرابع إلى التحالف مع ملك أراغون الذي أرسل



مسجد قرطبة

أسطوله البحريّ لمساندة القشتاليين على احتلال جبل طارق، ونجحوا في ذلك سنة ٧٠٩هـ/١٣١٠م، حيث احتل الجبل بعد حصار شديد حوله من البر والبحر(٣٦).

نجدة

وبذلك تحقق حلمُ قشتالة، وكان استيلاءُ النصارى على جبل طارق سنة ٧٠٩هـ أكبر نكبة أصابت الأندلس منذ سقوط قواعدها الكبرى، وشعرت الدولة النصرية بفداحة النكبة، فقصد ابن الأحمر ملك غرناطة مدينة فاس مستنجداً بملك المغرب أبي الحسن المريني، شارحاً له ما ترتب على سقوط جبل طارق من قطع صلة الوصل بين المملكتين النصرية والمرينية، ورجاهُ الغوث والعون(٣٧).

وقد استجاب أبو الحسن المريني لدعوة ابن الأحمر وبعث الإمداد بقيادة ولده أبي مالك لمنازلة جبل طارق وافتتاحه، وتلاحقت في أثرهم السُفن تحمل المدد والعُدد والمُؤن، وحشد ابن الأحمر قُواته وزحف على الجزيرة الخضراء واستولى عليها، وطوّق المسلمون جبل طارق من البرّ والبحر، ورابط أسطول المغرب في مياه المضيق ليحول دون وصول الإمداد إلى النصارى بالجبل، وهرع ملكُ قشتالة ألفونسو الحادي عشر في قوة من الفرسان لإنجاد الحامية المحاصرة، فبادرت القوات الغرناطية بقيادة الحاجب رضوان النصْريّ إلى مهاجمة النصارى وهزمهم بأحواز جبل طارق، ثم شدّد المسلمون الحصار على الثغر المنيع حتى استعادوه في أواخر سنة ٧٣٣هـ/١٣٣٣م بعد أن لبث في حوزة النصارى نحو ٢٤ عاماً، ويرجعُ الفضل في استرداده إلى معاونة السُلطان أبي الحسن المَريني ملك المغرب(٣٨).

وقام أبو الحسن المريني بتحصين الجبل وتسويره وبناء أبراجه وجامعه ودوره، كما حصّن سفح الجبل بسور مُحيط به من جميع جهاته(٣٩).

وهكذا استعاد المغاربة والأندلسيون جبل طارق، ولكن قشتالة لم تتخل عن حلمها القديم فعاودت مهاجمة المسلمين بمياه مضيق جبل طارق وألحقت بهم هذه المرة هزيمة قاسية تُعرف بوقعة طريف Batalla del Rio Salado سنة ٧٤١هـ/١٣٤٠م استشهد فيها نُخبة من الأجناد والعلماء. وأعقب هذه الهزيمة احتلال النصارى للجزيرة الخضراء عام ١٣٤٤م واستيلاؤهم على السفن والمراكب المغربية والأندلسية(٤٠).

وفي سنة ٧٥٠هـ/١٣٤٩م غزا النصارى سهول الجزيرة الخضراء في محاولة للاستيلاء على جبل طارق، فحاصروه زُهاء سنة ثُمّ اضطروا إلى رفع الحصار سنةَ ٧٥١هـ/١٣٥٠م بعد أنْ فشا وباءُ الطاعون في الجيش النّصرانيّ(٤١).

وقَدْ استطاع القشتاليون أنْ ينتزعوا الجزيرة الخضراء من المرينيّين ويجعلوا منها قاعدة لمهاجمة أراضي مملكة غرناطة.

وفي المغرب ستدخل الدولة المرينية بعد وفاة السُلطان أبي الحسن سنة ٧٥٢هـ/١٣٥١م في مشكلات داخلية أدّت إلى انقطاع الجيوش المغربية من العبور إلى الأندلس لمقاتلة النصارى الغزاة، وبذلك سوف تفقد غرناطة تلك المساندة المغربية التي كانت تدّخرها وقت الشّدائد(٤٢).

وستكثر النداءات من الأندلسيين إلى السلطان أبي عنان المريني لإنجاد الأندلس والتمسك بجبل طارق، ولعل في رسائل ابن الخطيب إلى السلطان المريني ما يدلُ على المكانة التي كان يحتلها جبل طارق في وجدان المغاربة والأندلسيين، فقد دعا لسان الدّين بن الخطيب هذا السلطان المريني إلى الاعتناء بذلك الثّغر المنيع، ووصف هذه الدعوة بأنها عنوان كتابه ورسائله، لأن جبل طارق ـ حسب تعبيره ـ هو بابُ الأندلس وركابُ الجهاد وحسنةُ بني مرين ومآثرُ آل يعقوب وكرامة الله للسلطان أبي الحسن(٤٣).

ولكنْ الخلافات التي نشبت بين البلاط النصري والبلاط المريني قطعت كلّ أمل للتقارب والتحالف من أجل مواجهة النصارى الذين يقتطعون ما تبقى من البقية الباقية من الأندلس. وكان لسانُ الدّين بن الخطيب إحدى ضحايا ذلك الصراع المريني، وقصته معروفة في المصادر التاريخية(٤٤).

وفي الأندلس اعتلى عرش مملكة غرناطة السلطان محمد الخامس النصري الملقب بالغنيّ بالله (١٣٦٢م ـ ١٣٩١هـ) الذي استطاع استعادة رُندة Ronda إلى حكمه بعد أن كانت تحت حكم بني مرين، وتحرير الجزيرة الخضراء من الاحتلال القشتاليّ عام ١٣٦٩م، وطَرْد المرينيين من جبل طارق آخرُ معاقلهم بالأندلس فمحا دعوتهم ممّا وراء البحر(٤٥).

ومن حكام جبل طارق في العصر المرينيّ: أبو بكر السعيد ولد السلطان أبي عنان(٤٦)، والشيخ عيسى بن أبي الحسن بن أبي منديل(٤٧)، وسليمان بن داود بن أعراب(٤٨).

> البداية الحقيقية لتعمير جبل طارق وتمتيعه بكل مرافق وخطط المدينة الإسلامية كانت في العصر الموحدي، حين أمر الخليفة عبدالمؤمن بن علي الكومي ببناء مدينة كبرى في جبل طارق

مقصد العلماء والشعراء

وقد ظل جبل طارق مقصداً لأهل العلم والأدب طوال عصوره الإسلامية وقد ذكرنا العلماء والشعراء الذين وردوا عليه سنتي ٥٥٥هـ و ٥٥٦هـ، وهم: القاضي أبو بكر الغافقي، والفقيه أبو بكر بن الجد، وابن حبوس الفاسي، والأصمُ المرواني، وأبو العباس بن سيد، وأبو عبدالله الرُصافيّ البلنسيّ، وأبو القاسم بن إدريس الرُندي، وأبو جعفر بن سعيد العنسيّ، وأبو بكر بن المُنخل الشّلبيّ، وأبو عبيدالله بن صاحب الصلاة الباجيّ، وابنُ لُبّال الشّريشيّ، وأبو عمر بن حربون، وابنُ صاحب الصلاة مؤلف «المنّ بالإمامة» وغيرهم كثير.

ونضيف إلى هذه الجماعة طائفة أخرى من الشّعراء والأدباء والعلماء الذين وفدوا على جبل طارق وسكنوه وطاب لهم المُقامُ به وامتدحوه بقصائدهم منهم:

ـ أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد الذي أقبل على جبل طارق مع والده من جهة سبتة في البحر، وقال: «فنظرنا إليه على تلك الصفة فقال والدي: أجز:

انظر إلى جبل الفتح راكبا متن لج

فقلت:

وقد تفتّح مثل الأفنان في شكل سرج»(٤٩).

ـ أبو الحسن مُطرِّف بن مُطرِّف شاعرُ غرناطة المتوفى في وقعة العقاب سنة ٦٠٩هـ، الذي قال في وصف جبل طارق:

وأقود قدْ ألقى على البحر متنَهُ فأصبح عنْ قود الجبال بمعزلِ
يعرِضُ نحو الأفق وجهاً كأنما تُراقبُ عيناهُ كواكب منزل(٥٠)

ـ محمد بن يحيى العبْدري الصَّدفيّ الفاسي، كان إماماً في العربية، ذاكراً في اللغة، حسن الإقراء، جيِّد العبارة، متين المعارف والدِّين، شديد الورع متواضعاً جليلاً عالمًا عاملاً، سكن جبل طارق وتُوفيَ مستشهداً بمرساه، دخل العدوُّ عليهم فقاتل حتى قُتل وذلك في سنة ٦٥١هـ(٥١).

ـ ابن الزُّبير الغرناطي (٦٢٨هـ ـ ٧٠٨هـ) مؤلف كتاب «صِلَةُ الصِّلَة» كان يتردد على جبل طارق لزيارة شيخه أبي الفضل يوسف بن يحيى بن أبي الدُّنيا الأنصاري الجيَّانيُّ إمام جامع جبل طارق، ترْجم له في «صِلَةُ الصِّلَة» ومن جملة ما قاله في حقه: «سكن جبل الفتح مدة طويلة وولي قيادتهُ وحكمه بعد موت أخيه عبدالعزيز، واستمر على ذلك إلى وفاته، وكان من أهل الخير والفضل والدِّين المتين والتخلُّق والإيثار، منقطعاً بحصنه عن الناس، مقتصداً في عيشه ولباسه يتحرَّفُ بيده ويعمل نفسه فيما يقيم به أوده، ويُؤذِّنُ ويؤُمُّ في حصنه معدوداً في صُلحاء المسلمين، ذاكراً لحظٍّ من الأدب، نبيه الأغراض، لَقِيتُهُ بالجزيرة الخضراء، وصحبتُهُ إلى موضعه بجبل الفتح برغبته في ذلك، وأنشدني من شعره، وأخذْتُ عنه وتكرَّرْتُ عليه بموضوعه وتوفي بالجبل المذكور بعد تأليفي لهذا الكتاب وكان ذلك في سنة ٦٧٨هـ أو ٦٧٩هـ رحمه الله..»(٥٢).

ـ الرحالة الطَّنْجي ابن بطوطة زار جبل طارق سنة ٧٥٠هـ وأُعجب به وتمنى أنْ لوْ رابط به إلى نهاية عُمره، ورواية ابن بطوطة تنفردُ بذكر أشياء جديدة حول جبل طارق، قال الرحالة الطَّنْجي: «وأوَّلُ بلد شاهدته من البلاد الأندلسية جبلُ الفتح، فلقيتُ به خطيبه الفاضل أبا زكريا يحيى بن السَّرَّاج الرُّنْديَّ وقاضيه عيسى البربري، وعنده نزلْتُ وتطوَّفْتُ معه على الجبل، فرأيت عجائب ما بنى مولانا أبو الحسن رضي الله عنه وأعدَّ فيه من العُدد، وما زاد على ذلك مولانا (أبو عنان) أيَّدهُ الله، ووددْتُ أنْ لوْ كنت ممَّنْ رابط به إلى نهاية العُمر»(٥٣).

ـ ابنُ جُزي الغرناطي (ت: ٧٥٧هـ) كاتب «رحلة ابن بطوطة» كان واحداً من الذين أقاموا بجبل طارق، ولمْ يفُتْهُ أن يُسجل نُبْذةً منْ تاريخ جبل طارق مُذيلاً على كلام ابن بطوطة.

ذكر ابنُ جزي عنْ جبل طارق ما يأتي: «جبلُ الفتح هو معقلُ الإسلام، المُعترض شجى في حُلوق عبدة الأصنام، حسنةُ مولانا أبي الحسن رضي الله عنه المنسوبة إليه، وقُربتُهُ التي قدَّمها نوراً بين يديه. محلُّ عدد الجهاد، ومقرُّ أساد الأجناد، والثَّغرُ الذي افتر عن نصر الإيمان، وأذاق أهْلَ الأندلس بعْدَ مرارة الخوف حلاوة الأمان. ومنه كان مبدأُ الفتح الأكبر، وبه نزل طارق بن زياد مولى موسى بن نصير عند جوازه، فنُسب إليه، فيُقال له «جبل طارق» و «جبل الفتح» لأنَّ مبدأهُ كان منه وبقايا السُّور الذي بناه ومنْ معهُ باقية إلى الآن، تُسمى بسور العرب، شاهدتُها أيَّام إقامتي به عنْد حصار الجزيرة أعادها الله. ثُمَّ فتحه مولانا أبو الحسن رضوان الله عليه واسترجعه من أيدي الرُّوم بعْد تملُّكهم له عشرين سنة او نيفاً. وبعث إلى حصاره ولدهُ الأمير الجليل أبا مالك، وأيَّدهُ بالأموال الطائلة والعساكر الجرَّارة. وكان فتحه بعد حصار ستَّة أشهر وذلك في سنة ٧٣٣هـ، ولم يكُن حينئذ على ما هو عليه الآن فبنى به مولانا أبو الحسن رحمة الله عليه المأثرة العُظمى بأعلى الحصْن، وكانت قبل ذلك بُرْجاً صغيراً تهدم بأحجار المجانيق، فبناها مكانه. وبنى به دار الصناعة (دار صناعة السُّفن)، ولم يكن به دار صنْعة. وبنى السُّور الأعظم المحيط بالتربة الحمراء، الآخذ من دار الصَّنْعة إلى القرْمدة..» ثم تطرَّق ابن جُزي إلى ثورة عامل أبي عنانٍ على جبل طارق عيسى بن أبي منْديل الذي ثار بالجبل ثم أُخمدت ثورته، وختم كلامهُ بإيراد قصيدة الرُّصافي البلنسي في مدح عبد المؤمن(٥٤).

ـ أبو الحجَّاج المُنْتشاقريّ قاضي رُنْدة، وصفهُ تلميذه لسانُ الدِّين بن الخطيب: «حسنةُ الدَّهْر الكثير العُيوب، ونوبةُ الزَّمان الجم الذُّنوب، ما شئْت منْ أدب يتألَّق، وفضْل تتعطَّرُ به النَّسمات وتتخلَّق، ونفْس كريمة الشَّمائل والضرائب».

وظل جبل طارق منزلاً للجيوش المغربية الواردة على الأندلس للجهاد، وكان الشاعر ابن زيدون يرى أن جبل طارق هو أفضل موضع تنزله العساكر المرابطة

وقد أطنب ابن الخطيب في وصف مزايا شيخه المنتشاقري الذي لقيه مرة بجبل طارق، إذ قال: «وكنت أتشوق إلى لقائه فلقيته بالمحلة من جبل الفتح لقيًا لم تبل صدى، ولا شفت كمدًا، وتعذر بعد ذلك لقاؤه»(٥٥).

- لسان الدين بن الخطيب (٧١٣هـ - ٧٧٦هـ): الأديب والشاعر والوزير الغرناطي المعروف، كان يتردد على جبل طارق، وكان به سنة ٧٧٢هـ(٥٦) ولاشك أنه زار الجبل قبل هذا التاريخ، وامتدحه وأطنب في وصف محاسنه في كتابه «معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار»، جاء في الكتاب المذكور ما يأتي: «جبل الفتح: فاتحة الكتاب من مصحف ذلك الإقليم، ولطيفة السميع العليم، وقصص المهارق، وأفق البارق، ومتحف هذا الوطن المباين للأرض المفارق، مأهل العقيق وبارق، ومحط طارقها، بالفتح طارق. إرم البلاد التي لم يخلق مثله فيها، وذو المناقب التي لا تحصرها الألسنة ولا توفيها.

حجزه البحر، حتى لم يبق إلا خصر، فلا يناله - من غير تلك الفرصة - ضيق ولا حصر، وأطل بأعلاه قصر، وأظله فتح - من الله - ونصر.

ساوق سوره البحر فأعياه، قد نهلل بالكلس محياه، واستقبل الثغر الغريب فحياه. اطرد صنع الله فيه، من عدو يكفيه، ولطف يخفيه، وداء عضال يشفيه. فهو خلوة العباد، ومقام العاكف والباد، ومسلحة من وراءه من العباد، وشقة القلوب المسلمة والأكباد. هواؤه صحيح، وثراه - بالخزين - شحيح، وتجر الرباط فيه ربيح، وحماه - للمال والحريم - غير مبيح، ووصفه الحسن لا يشان بتقبيح. إلا أنه - والله يقيه مما يتقيه - بعيد الأقطار، ممار بالقطار، كثير الرياح والأمطار. مكتنف بالرمل المخلف، والجوار المتلف. قليل المرافق، معدوم المشاكل والمرافق. هزل الكراع لعدم الازدراع، حاسر الذراع، للقراع، مرتزق من ظل الشراع، كورة دبر، ومعتكف أزل وصبر، وساكنه حي في قبر.

هو الباب إن كان التزاور واللقيا
وغوث وغيث للصريخ وللسقيا
فإن تطرق الأيام فيه بحادث
واعزز به قلنا: السلام على الدنيا»(٥٧)



جبل طارق على طابع انجليزي

وكان ابن الخطيب قد شكا إلى السلطان المريني بالمغرب الحالة المزرية التي طار إليها جبل طارق، مع ما يتهدده من هجمات النصارى ومحاولات السيطرة عليه(٥٨).

- أبو العباس أحمد بن أبي القاسم بن عبدالرحمن المعروف بالقباب، من أهل فارس، تولى القضاء بجبل طارق، وتوفي بفاس سنة ٧٧٨هـ(٥٩)، وبخزانة جامع القرويين بفاس بعض تآليفه المخطوطة(٦٠).

- ابن زمرك الغرناطي شاعر الحمراء، قال قصيدة يصف فيها زهر القرنفل الصعب الاجتناء بجبل طارق، منها:

أتوني بنوار يروق نضارة
كخد الذي أهوى وطيب تنفسه
وجاؤوا به من شاهق متمنع
تمنع ذاك الظبي في ظل مكنسه
رعى الله مني عاشقًا متقنعًا
بزهر حكى في الحسن خد مؤنسه

ومنها:

رعى الله زهرًا ينتمي لقرنفل
حكى عرف من أهوى وإشراق خده
ومنبته في شاهق متمنع
كما امتنع المحبوب في تيه صده

أميلُ إذا الأغصانُ مالت بروْضَةٍ
أعانقُ منها القُضْبَ شوقًا لقدِّه
وأهفو لخفّاق النّسيم إذا سرى
وأهوى أريج الطّيبِ منْ عرْفِ ندِّه

ومنها أيضًا:

يقرُّ بعيني أنْ أرى الزّهْرَ يانعًا
وقد نازع المحبوب في الحُسنِ وصْفه
وما أبْصرتْ عيني كزهْرِ قرنفلٍ
حكى خدَّ منْ يسْبي الفؤاد وعرْفهْ
تمنّعَ في أعلى الهضاب لمُجْتنٍ
تمنُّعهُ منّي إذا رُمْتُ إلْفهُ
وفي جبلِ الفتح اجْتنَوْهُ تفاؤلاً
بفتح لباب الوصل يمنحُ عطفهُ
وما ضرَّ ذاك الغُصْنَ وهو مرنَّحٌ
إذا ما ثنى نحْو المُتيّم عطفهُ(٦١)

هذه مقاطع من قصيدة بن زمْرك في زهر القرنفل الذي كان ينمو بكثرة بجبل طارق، وكان اجتناؤه صعبًا لأنّهُ ينبتُ بأعلى الجبل، وكان الأندلسيون يعدُّون شراء الأزهار من جُملة نفقة البيت(٦٢).

- الإمامُ أبو عبدالله محمد المقّري التلمساني (جدُّ مؤلف «نفح الطِّيب») المتوفى سنة ٧٥٩هـ، كان ممّن أقام بعض الوقت بجبل طارق(٦٣).

- أبو القاسم محمد بن أحمد بن حاتم المالقيّ، الشاعر المُفْلق، كان يتولى قضاء جبل طارق في بداية العقْد الثاني من القرن ٩هـ(٦٤).

- السلطان النّصْريّ أبو الحجاج يوسف الثالث (٧٧٨هـ-٨٢٠هـ)، حكم مملكة غرناطة من سنة ٨١٠هـ إلى ٨٢٠هـ، وكان شاعرًا مُجيدًا، له ديوان شعْر(٦٥)، وقصائد أُخرى في «مظْهرُ النُّور الباصر»(٦٦).

وفي «نفح الطِّيب»(٦٧)، وكان هذا السلطان كثير التَّردُّد على جبل طارق، ومن قصائده: قصيدة قالها عند افتتاحه للجبل في أوّل جمادى الآخرة سنة ٨١٧هـ، منها:

في المُلحدين عداتنا لنُجاز
حيْثُ الحقيقة لمْ تدنْ بمجاز
عنا الكتائبُ دائمًا إنْجادُها
متضافرُ الإغْراء بالإيعاز
ولنا المنابر أصْدرت دعواتها
بعوارف الإعلاء والإعزاز
خطباؤها أهلاً بهم قدْ أعلنوا
ببلاغة الإطْناب والإيجاز
وطريقنا الأهدى لحلة طارق
لمْ يدْرِ إلا عزْمة الإجْهاز
ومعاذنا الأرضى من اسْتفتاحه
قدْ زان حلّة فخْره بطراز
وزهى المركبُ والبسيطُ بأنْ زكا
عملُ المُقيم الرّحل والمُجْتاز
وببذْلنا الآلاف بحث نضارها
لمْ يتّخذْ سببًا إلى الإكناز
في نُصْرة الإسلام قدْ جُدْنا بها
ليُثيبنا ربُّ العُلى ويُجازي(٦٨)

ولهُ من قصيدة أخرى بجبل طارق:

لمن راية حمراء ترتاح بالنصر
تطيفُ حواليها حُماةُ بني نصْر
إلى جبلِ بالفتح يصْدُقُ فألهُ
فبعْد تولّي العُسْر لا بُدّ منْ يُسْر(٦٩)

والقصائد التي نظمها هذا السلطان الشاعر بجبل طارق كثيرةٌ(٧٠).

- عبدالكريم القيْسي البسْطي آخرُ شُعراء الأندلس، عاش مُعظم القرن ٩هـ/١٥م، وكان لجبل طارق مكانةٌ خاصةٌ في قلب هذا الشاعر، حيث وصفهُ في إحدى قصائده بـ «دُرّة السِّلْك»(٧١)، ورثاهُ بقصيدة مؤثرة حين سقط بيد النصارى سنة ٨٣٦هـ/١٤٣٣م، جاء في ديوانه ما يأتي:

«وقُلْتُ عندما وصل خبرُ أخْذ جبل طارق في التاريخ المذكور (٨٣٦هـ):

أُواري أُوار القلب مع شدّة اللّفح
فتُبْديه عيْنٌ دمعها دائمُ السّفْح
وأُخْفي الذي ألْقى من الحُزْنِ والأسى
وظاهرُ حالى الدّهْر يُؤْذنُ بالصّفح
وأبْدي من التّقْطيب للفتح حالةً
تسُوءُ صديقي في مساءٍ وفي صُبْح

وقـــائلةٍ مـــالي أراك مُـــقطّبـــا

كـــأنك للتّـــقطيب هُدّدت بالذّبح

وعـهدي ـ ولا أخفي ـ صفاتَ عرفتُها

تَسُـرُ بما تُبدي من البِـشْرِ والسّـمْحِ

فقلْتُ دعيني: الحزْنَ فرضٌ على الورى

أمــا قــدْ حـوى أعْـداؤنا جـبلَ الفـتحِ

حــرامٌ علينا البِـشْـرُ والسّـمْحُ بعْـدهُ

وفي القلْب منْ آلامـــه أعظمُ الجُـرْحِ

عـسى منْ قـضى فـيــه بأخْـذِ يُعـيـدُهُ

ويُذْهـبُ مــا أشْكُوهُ منْ شـدّةِ القَــرْحِ

فــمنهُ تعــالى نرتجي الخــيْــر كلّهُ

ومازال أهْلَ الفضْلِ والمنّ والمنَحِ»(٧٢)

الحزن فرض

وقد رأيتُ من المفيد إيراد تعليق الدكتور محمد بن شريفة على هذه القصيدة: «إنّ حسرةَ الشاعر بالغةٌ وحزْنَهُ شديدٌ ومنْ يقرأ هذه الأبيات يظُنّ أنّ الشاعر يبكي مصيبةً خاصةً به وليستْ عامةً بالمُسلمين، وهو يرى أنّ الحزن يجب أن يكون فرضًا على جميع الناس بعد سقوط جبل الفتح، وذلك لأن هذا الجبل كان يُمثّلُ صلة الوصل مع أهل المغرب الذين اعـتـادوا أن يهُـبُّـوا لنجـدة إخوانهم»(٧٣).

الهوامش والمراجع

١. ابنُ صاحب الصلاة: المن بالإمامة على المستضعفين، تحقيق: عبدالهادي التازي، دار الغرب الإسلامي ـ بيروت ١٩٨٧م (الطبعة ٣)، ص٩٠، ٩٢، ١٢٨، ١٣٠ / المقرْي التلمساني: نفحُ الطيب من غصن الأندلس الرطيب (٨ مجلدات)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر ـ بيروت ١٩٨٨م، ج١ ص ٢٢٩؛ ج٣ ص١٢٤. ويقولُ الشاعر الأندلسي:

هال بحْر الزُقاق حتى ركبنا

بسواهُ فهان بحرُ الزُقاق

2 - Gran Cronica De Alfonso XI (2 Tomos). Madrid - 1977., Cap. CCxlv. p.245

٣. من الأبحاث التي اهتمت بمضيق جبل طارق في العصر الوسيط، انظر: «الدّور التاريخي لمضيق جبل طارق في العصر الوسيط» للأستاذ محمد الوكار (دراسة لنيل الماجستير في التاريخ/كلية الآداب بالرباط ـ ١٩٨٩م).

٤. ابن عبدالمنعم الحميري: الرّوض المِعْطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان ـ بيروت ١٩٨٤م، ص٣٥، ٢٢٤/ نفح الطيب: ج١ ص ٢٢٩ ـ ٢٣٢.

٥. انظر خطبةَ طارق بن زياد في المصادر الاتية: ابن خلّكان: وفيات الأعيان (ج ٥)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر ـ بيروت ١٩٧٠م، ج٥، ص ٣٢١ ـ ٣٢٢/ نفح الطيب: ج١ ص ٢٤٠ ـ ٢٤١.

٦. ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، تعليق: طلال حرب، دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٩٩٢م، ص ٦٧٥.

٧. ابن الأبار: الحلّة السيراء (الجزء الثاني)، تحقيق: حسين مؤنس، دار المعارف ـ القاهرة ١٩٨٥م (الطبعة ٢)، ج٢ ص ٩٩.

٨. الرّوض المِعْطار: ص ٢٢٤ ـ ٣٨٢.

٩، ١٠. المنُ بالإمامة: ص ٨٤ ـ ٨٧ ـ ٨٨.

١١. دندشْ (عصمت): الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، دار الغرب الإسلامي ـ بيروت ١٩٨٨م، ص ١١٩، التعليق رقم: ٦٣.

١٢. المن بالإمامة: ص ٨٤ ـ ٨٩.

١٣. المن بالإمامة: ص ٨٩.

١٤. أقام عبدالمؤمن بجبل طارق من شهر ذي القعدة سنة ٥٥٥هـ إلى أوائل سنة ٥٥٦. (المن بالإمامة: ص ٩٢ ـ ١١١).

١٥. المرّاكشيْ (عبدالواحد): المُعْجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: محمد سعيد الزّيان، ومحمد العربي العلمي، دار الكتاب ـ الدار البيضاء ١٩٧٨م (الطبعة ٧)، ص ٣١٠ ـ ٣١١/ مؤلف مجهول: الحُللُ الموشية في ذكر الأخبار المرّاكشية، تحقيق: سهيل زكّارْ وعبْد القادر زمامة، دار الرّشاد الحديثة ـ الدار البيضاء ١٩٧٩م، ص١٥٥.

١٦. الروض المعطار: ص ٣٨٢.

١٧. المن بالإمامة: ص ٩٢ ـ ٩٥.

١٨. المعْجب: ص ٣١١.

١٩. المعْجب: ص ٣١٤ ـ ٣١٥/ نفح الطّيب: ج٣ ص ٥٩٢ ـ ٥٩٣.

٢٠. المنُ بالإمامة: ص ٩٩ ـ ١٠٢/ المعْجب: ص ٣١٦/ نفح الطيب: ج٤ ص ٢٠٠.

٢١. ابن عسكر وابن خميس: أعلام مالقة، تحقيق: عبدالله المرابط الترْغي، دار الغرب الإسلامي، دارْ الأمان ١٩٩٩م، ص ٩٤ ـ ٩٧/ المعْجب: ص ٣١٦ ـ ٣٢٣/ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب (جزءان)، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف ـ مصر ١٩٦٤م (الطبعة ٣)، ج ٢ ص ٣٤٣.

٢٢. نفح الطّيب: ج ٤ ص ٢٠٢

٢٣. الحُللُ الموشية: ص ١٥٥ ـ ١٥٦.

٢٤. المن بالإمامة: ص ٩٥ ـ ٩٨.

٢٥. المن بالإمامة: ص ١٠٥ ـ ١٠٨.

٢٦. ابنْ شريفة (محمد): ابن لُبّال الشّريشيْ (٥٠٨هـ ـ ٥٨٢هـ)، ص ٤٤ ـ ٤٦.

٢٧. المن بالإمامة: ص ١٠٢.

٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٣. المن بالإمامة: ص ١١٠. ١١١ ـ ١٨٠ ـ ١٨١ ـ ١٨٢ ـ ١٨٥ ـ ١٨٢ ـ ١٨٤.

34 - Arie (Rachel). Apergus sur le royaume Nasrides de Grenade au Xive Siecle. Rev: Quaderni di studi Arabi (Venezia) Vol. 5-6, 1987 - 1988. P. 58

٣٥. نفحُ الطّيب: ج٤ ص ٣٨٥؛ ولايزال بخزانة القرويين بفاس الجزء التاسع من مخطوطة «مفاتحُ الغيب» لمحمد بن عُمر الرّازي المتوفى سنة ٦٠٦هـ التي كانت من تحبيس (وقف) الفقيه الوزير أبي الحسن علي بن أبي العباس أحمد المريني على طلبة العلم بجامع رُندة بتاريخ أواخر رجب من سنة ٧٤١هـ (الفاسي محمد العابد): فهرس مخطوطات خزانة القرويين، الجزء الأول: دار الكتاب، الدار البيضاء ١٩٧٩م، الجزء الثالث: الطبعة الأولى ١٩٨٣م، الجزء الرابع: الطبعة الأولى ١٩٨٩م، ج١ ص٤٨ رقم المخطوط:١٠).

٣٦. عنان (محمد عبدالله): نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين، مكتبة الخانجي ـ القاهرة ١٩٨٧م (الطبعة ٤)، ص١١٥ ـ ١١٦/ Arie. Aper-gus... P.62.

٣٧. نهاية الأندلس: ص١٢٢.

٣٨. نفح الطيب: ج٤ ص ٤٠٤/ نهاية الأندلس: ص٢٤/ وتقول الدكتورة راشيل أريي إنْ الانتصار المغربي الأندلسي جاء بمساندة من الأسطول الجنوي Arie: Apergus... P.62.

٣٩. نفحُ الطيب: ج٤ ص ٤٠٤، الاستقصا: ج٢ ص ٩٩.

وقد استعاد المسلمون جبل طارق بعد ذلك، إلا أن المسيحيين بقيادة دوق مدينة شذونة Medina Sidonia: خوان دي قزمان Juan de Guzman وكونت أركش El cond de Arcos أخذوه بصفة نهائية سنة ٨٦٧هـ/١٤٦٢م(٧٤).

وفي رسالة صاحب الأندلس سعد المستعين بالله إلى السلطان المملوكي خشقدم المؤرخة في جمادى الأولى سنة ٧٦٨هـ نقرأ ما يلي:

«وهذا العدو المشترك صاحب قشتالة - قصمه الله - في كل عام يهجم على بلادنا وثغورنا، ويجدد في كل ساعة ولحظة أشجان قلوبنا وصدورنا، نملك في العام الفارط مدينة جبل الفتح من بلادنا، وهو محل الفتح الأول، والمعقل الذي عليه الاعتماد والمعول، أزال عنه كلمة الإسلام، وعمر مآذنه بالنواقيس ومساجده بالأصنام، وملأه بقوم يعبدون أوثانهم، ويحكمون أصنامهم ويجدون فيه مع الساعات كفرهم وطغيانهم، أصيب منهم المسلمون بالمصيبة العظيمة، والفجيعة المقعدة المقيمة، ملأت القلوب تفطرا، والنفوس تفكرا»(٧٥).

ولاشك أن سقوط جبل طارق بيد المسيحيين كان فجيعة كبرى، إذ ما لبث أن هوى صرح الأندلس، ولم يبق للحياة «سرها» بذلك الصقع بعد ضياع الجبل، كما قال لسان الدين بن الخطيب:

فإن تطرق الأيام فيه بحادث
واعزز به قلنا: السلام على الدنيا(٧٦)

---

٤٠. نفح الطيب: ج٤ ص ٣٨٦/ نهاية الأندلس: ص ١٢٨ - ١٢٩.

٤١. نهاية الأندلس: ص ١٣٠ - ١٣٢.

٤٢. نهاية الأندلس: ص ١٣٦ - ١٣٧.

٤٣. نفح الطيب: ج٤ ص ٤٠٨.

٤٤. نفح الطيب: ج٥ ص ١١٠ - ١١١.

٤٥. المقري التلمساني: أزهار الرياض في أخبار عياض (الجزء الأول). تحقيق: مصطفى السقا - إبراهيم الأبياري - عبدالحفيظ شلبي. منشورات: اللجنة المشتركة لنشر التراث - المملكة المغربية - دولة الإمارات. ج١ ص ٢٢٥ - ٢٢٧ / Arie Aper- gus.... P.62

٤٦. نفح الطيب: ج٤ ص ٤٢٩.

٤٧. رحلة ابن بطوطة: ص ٦٧٧/ ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة (المجلد ١ و ٢). تحقيق: محمد عبدالله عنان. مكتبة الخانجي - القاهرة: ١٩٧٣ - ١٩٧٤م، ج٢، ص ٢٣ - ٢٤.

٤٨. نفح الطيب: ج٥ ص ١١٠/ الناصري (أحمد بن خالد): الاستقصا لدول المغرب الأقصى (الجزء ٢). بتحقيق ولدي المؤلف: جعفر الناصري و محمد الناصري. مطبعة دار الكتاب. الدار البيضاء ١٩٥٤م، ج٢، ص ٩٩.

٤٩. نفح الطيب: ج١، ص ١٦٠.

٥٠. نفح الطيب: ج١، ص ١٦٠.

٥١. ابن القاضي: جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس (القسم الأول - الرباط ١٩٧٣م)، ج١، ص ٢٢١.

٥٢. ابن الزبير: صلة الصلة (القسم الخامس). تحقيق: عبدالسلام الهراس والشيخ سعيد أعراب. منشورات وزارة الأوقاف المغربية ١٩٩٥م ج٥. ص ٢٩٥. رقم ٥٩٦.

٥٣. رحلة ابن بطوطة: ص ٦٧٥.

٥٤. رحلة ابن بطوطة: ص ٦٧٥ - ٦٧٨.

٥٥. نفح الطيب: ج٦ ص ١٣٨ - ١٣٩.

٥٦. نهاية الأندلس: ص ١٤٥.

٥٧. معيار الاختيار: ص ٨٢ - ٨٣.

٥٨. نفح الطيب: ج٤ ص ٤٠٤ - ٤١٥.

٥٩. الاحاطة: ج١ ص ١٨٧ - ١٨٨/ ابن القاضي: درة الحجال في أسماء الرجال (الجزء الاول). تحقيق: محمد الأحمدي ابو النور. دار التراث - القاهرة. المكتبة العتيقة - تونس. ج١ ص ٤٧ - ٤٨ رقم ٦١/ جذوة الاقتباس: ج١ ص ١٢٣ - ١٢٤/التنبكتي (أحمد بابا): كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج (جزءان). تحقيق: محمد مطيع. منشورات وزارة الأوقاف المغربية ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م: ج١ ص ٩٧ - ٩٨ رقم ٣٥.

٦٠. من مخطوطات أبي العباس أحمد القباب بخزانة القرويين بفاس:

- شرح بيوع ابن جماعة: مخطوطات رقم: ١١٣٥ و ١١٧٦ و ١٤١٦.
- شرح قواعد القاضي عياض: مخطوط رقم ٣٥٢.

٦١. نفح الطيب: ج٧ ص ١٧٧.

٦٢. ديوان عبدالكريم القيسي الأندلسي: (تحقيق: جمعة شيخة ومحمد الهادي الطرابلسي). بيت الحكمة - قرطاج ١٩٨٨م ص٦٢/ البسطي آخر شعراء الأندلس: ص٦٦.

٦٣. أبو الاجفان (محمد): الإمام أبو عبدالله محمد المقري التلمساني. الدار العربية للكتاب ١٩٨٨م. ص٧٧.

٦٤. ديوان ابن فركون: (تحقيق: محمد بن شريفة). منشورات أكاديمية المملكة المغربية ١٩٨٧م. ص٣٠٣.

٦٥. من هذا الديوان مخطوطة فريدة توجد بمكتبة عبدالله كنون بطنجة وتحمل رقم: ١٠٣٥١، ثم قام الشيخ عبدالله كنون بتحقيق هذا الديوان ونشره. فطبع أول مرة بتطوان عام ١٩٥٨م، ثم طبع مرة ثانية بمصر عام ١٩٦٥م. العشاب (عبدالصمد): فهرس مخطوطات مكتبة عبدالله كنون. منشورات وزارة الأوقاف المغربية ١٤١٨هـ/١٩٩٦م.

٦٦. ديوان «مظهر النور الباصر» جمع أبي الحسين ابن فركون. تحقيق: محمد بن شريفة. الدار البيضاء ١٩٩١م. ص١٥ - ٢٥.

٦٧. نفح الطيب: ج٤ ص ٣٠٣؛ وكان أهل جبل طارق قد ثاروا في عهد يوسف الثالث بعد سنة ٨١٣هـ وعزموا على الانضمام إلى الإيالة المغربية. إلا أن السلطان يوسف الثالث سرعان ما نجح في قمع هذا التمرد (نهاية الأندلس: ص١٥٣/ بن شريفة (محمد): حقائق تاريخية جديدة من خلال ديوان ابن فركون (ضمن كتاب: عبدالله كنون بين التكريم والتأبين. ص٦١ - ٦٥). المطابع المغربية والدولية بطنجة ١٩٩١م: ص ٦٣).

٦٨. ديوان ملك غرناطة يوسف الثالث: (تحقيق: عبدالله كنون). مكتبة الانجلو المصرية ١٩٦٥م (الطبعة٢). ص٨٧.

٦٩. ديوان ملك غرناطة: ص٦٥.

٧٠. ديوان ملك غرناطة: ص ٢٦ - ٢٨، ٣٠، ٣٣ - ٣٤، ٤٨ - ٥٠، ٦٥، ٨٧، ١٠٢ - ١٠٤/ نفح الطيب: ج٤ ص ٣٠٣.

٧١. ديوان عبدالكريم القيسي: ص٣٦٣.

٧٢. ديوان عبد الكريم القيسي: ص ٣٤٨ - ٣٤٩.

٧٣. ابن شريفة (محمد) : البسطي اخر شعراء الأندلس. دار الغرب الإسلامي - بيروت ١٩٨٥م. ص١٦٩ - ١٧٠.

74 - Arie (Rachel): L'espagne Musulmane au Temps des Nasrides (1232 - 1492). Paris 1973.

٧٥. البسطي اخر شعراء الأندلس: ص١٧٠.

٧٦. معيار الاختيار: ص٨٣.

أمازونيا والأمازونات

سمير عطا
الجيزة - مصر

هل كانت للنساء مملكة أو ممالك خاصة بهن؟ سؤال قد يبدو عجيبًا لو أخذ بحرفيته. ويزيد من العجب أن ترى كتبًا ومراجع ورسومات ومؤرخين ومغامرين يتحدثون عن ذلك وكأن الأمر كان حقيقة لا خيالاً أو أسطورة.

أمازونات الإغريق

فالأمازونات Amazones جنس أسطوري لنساء محاربات سجلت وقائعهن الحربية مع عدد من الأبطال الإغريق في عدة ملاحم قديمة. موطنهن الأصلي كان في أدغال وادي ثرمودون Thermodon وأحراجه في بونتوس Pontus بآسيا الصغرى (تركيا الحالية). وكانت عاصمتهن ثمسكيرا Themis-cyra على ساحل أيوكسن Euxine (ساحل البحر الأسود).. وكان محرمًا على الرجال دخول هذه العاصمة إلا مرة واحدة كل سنة يسمح لهم فيها بالزيارة للتزاوج.. فإذا جاء المولود أنثى احتفظت النساء بها، أما إذا كان ذكرًا فكن يتخلص منه إما بالقتل وإما بإرساله إلى أبيه.

وتصف الأسطورة أولئك النساء بأنهن كن يحتفظن بثدي واحد ويقطعن الثدي الآخر (الأيمن) ليسهل عليهن حمل



القوس وإطلاق السهام على الأعداء في أثناء المعركة. وتشير أقوال أخرى إلى أنهن كن يحتفظن ببعض الرجال لغرض الإنجاب.. غير أن الرجال كانوا يعيشون عبيدًا للنساء، ويقومون بكل ما تقوم به النساء عادة من أمور الحياة، بينما تتفرغ الأمازونات للحرب.. أو أنهن كن يقطعن يد كل رجل يعيش بينهن وقدمه حتى لا يكون في يوم ما ندًا لامرأة محاربة.

وأيًا كان الأمر فإن الحرب كانت مقصورة على النساء فقط ليس للدفاع عن مملكتهن وحسب، بل وغزو المناطق المجاورة للسلب والنهب، ويحاربن، إما راجلات وإما على ظهور الخيل، ويحملن الدروع والأقواس والسهام والفؤوس.. كانت حياتهن كلها إما

صيداً وإما غزواً وإما تدريباً للفتيات الصغيرات على وسائل الحرب ليكن محاربات في مستقبل حياتهن، والحفاظ على هويّة الحياة وطبيعتها في مملكتهن الخاصة. وللمملكة ملكة مقدمة على الجميع.. كن يعبدن الإله آريس Ares إله الحرب، ويعتقدن أنهن من نسله، كما يعبدن الإلهة آرتميس Artemis إلهة الصيد، وقيل: إن الأمازونات هن أول من استأنس الجياد. وكانت الإلهة تعبد دائماً وهي في شكل أنثى الفرس، وشبيهة بتلك الفرس - الأم سارانيو Saranyu في الهند، ولويكيبي Leukippe الفرس البيضاء الكريتية.

وعندما أراد الإغريق يوماً التحقق من وجود منطقة ثرمودون، ووصلوا إليها لم يجدوا أثراً لأولئك النساء المحاربات، فقيل إما أن هرقل Hercules البطل الإغريقي قد أبادهن، وإما أنهن ظللن يتنقلن من مكان إلى آخر، وأنهن كن يفضلن الأماكن المهجورة على حافة بلاد الإغريق.



أساطير غريبة تتحدث عن نساء لهن بأس شديد

اختراع «سكيثي» وعرفت في اللغات الأوربية باسم Scythe (محشة/محصدة) وكثيراً ما ظهرت صور الأمازونات وهن يمسكن هذه الحربة في المعارك والاحتفالات الدينية وأعياد الزراعة. ولم يكن مسموحاً للفتاة السكيثية أن تتزوج إلا إذا قتلت ثلاثة أعداء من الرجال في الحرب.. وقد نشأت على يد الأمازونات مدن سميرنا Smyrna، وإفسوس Ephesus، وسايمز Cymesوميرين Myrine، وبافوس Paphos (في آسيا الصغرى وقبرص).

وتشير مصادر أخرى إلى أن الأمازونات يرجعن إلى أصل إفريقي، ولكنهن، أيّاً كان الأصل الذي ينتمين إليه، كن في أعين الإغريق عنصراً غريباً.. وكغيرهن من الأجانب فهن برابرة.

وتذكر الأساطير الإغريقية ملكتين حكمتا مملكة الأمازونات هما:

وهناك عدة روايات عن أصل الأمازونات لعل أشهرها أنهن كن في الأصل أرقاء يوهبن للآلهة وعلى رأسهم الإلهة آرتميس إلهة الصيد. أو أنهن ظهرن عندما كان الإغريق يحاربون السكيثيين Scythians (في شمال البحر الأسود) وكانت نساء «السكيثيين» يحاربن جنباً إلى جنب مع أزواجهن في المعركة. وكان السكيثيون تحكمهم ملكات - كاهنات.. وكانت هذه الملكات - الكاهنات يدفن عند موتهن في مقابر خاصة تسمى كورجانز Kurgans. وقد اكتشف خمس منهن في بازيريك Pasyryk بجنوب روسيا عام ١٩٥٤م. وكانت هؤلاء الكاهنات، على الرغم من تقدم أعمارهن، يصاحبن الجيش ليبعدن أي سحر أو لعنة قد تصيب المقاتلين. وكانت الحربة التي تنتهي بسلاح يشبه المنجل

هيبوليتا Hippolyta، وبنثسيليا Penthesilia، وقد عهد إلى هرقل من سيده يوريثيوس Eurystheus أن يستولي على شبكة هيبوليتا التي تعد رمزاً لقوتها، والتي كانت قد أخذتها من الإله آريس. وقد نجح هرقل في مهمته وعاد بطابور من الأسيرات الأمازونات بعد أن قتل هيبوليتا. وتشير قصة أخرى إلى أن هيبوليتا كانت قد جهزت جيشاً من الأمازونات - بعد هزيمتها من هرقل - لتحارب ثيسيوس Thiscus إلا أنها قُتلت خطأً على يد أختها بنثسيليا في أثناء المعركة، وأن بنثسيليا مدفوعة بروح أختها الغاضبة صممت على الانتقام وهي في «طروادة» وأنها ظلت تقاتل حتى قتلها أخيل Achilies الذي ظل يبكيها بعد ذلك لجمالها وشجاعتها.

وتربط الأسطورة بين اسم ثيميوس ملك أثينا

الأسطوري وبعثة هرقل ضد الأمازونات، وأن ملك أثينا كان قد انتصر على أنتيوب Antiope فأقسمت أختها أوريثيا Oriethyia على الانتقام وقادت جيشاً غازياً إلى آتيكا Attica إلا أن الأثينيين هزموا الأمازونات بعد حرب استمرت أربعة أشهر.

ويشير ديودور الصقلي Diodorus في كتاباته إلى أن شمال إفريقية كان يسمى في وقت ما باسم بلاد الأمازونيين. وذكر هيرودوت Herodotus مثل ذلك. وقال ديودور إن أصل الأمازونات كان في ليبيا(١) وكان يصف نساء ليبيا دائماً بأنهن «عاشقات الحرب» ومما كتبه في هذا الشأن: «قيل لنا ذات يوم: إنه في الجزء الجنوبي من ليبيا كان يوجد جنس من النساء لهن أساليب في الحياة لا نألفها.. فهن يقمن بالحرب وعليهن أن يقضين فترة في صفوف الجندية على أن تظل كل منهن عذراء طوال هذه الفترة، وعند نهايتها تذهب النساء إلى حيث يقيم الرجال لغرض الإنجاب، كما أنهن يقمن بالإدارة في هذه المملكة. أما الرجال فيقومون بالأعمال المنزلية التي تقوم بها نساؤنا، وحسب ما تأمر به النساء أو يردنه، والرجال ليس لهم الحق في الحرب وأن يكونوا مواطنين أحراراً. وبعد الإنجاب تحتفظ النساء بالبنات، ويعدن الأطفال الذكور إلى آبائهم». ويحاول بعض المؤرخين أن يربط بين الأمازونيين وما يعرف به البربر في شمال إفريقية حتى اليوم باسم أمازيغ Amazigh الذين يتحدثون باللغة الأمازيجية. وتكتفي «الموسوعة العربية الميسرة» بالإشارة إلى أنهن وفدن من مشارف العالم المأهول..(٢).

ويقول المؤرخ سويتونيوس Suetonius: إن الأمازونات كن يحكمن جزءاً كبيراً من آسيا في نهاية القرن الخامس الميلادي، وكان البحر الأسود يطلق عليه وقتئذ اسم «بحر الأمازون». وطبقاً للروايات الإغريقية فإن الأصل في الأسطورة أن كلمة «أمازون» جاءت من A - Mazos أي «بلا ثدي» على أن حرف الـ «A» يشير إلى العكس أو الضدية أو فقدان أو انعدام شيء، أما Mazos فتعني الصدر.

ولانتشار أسطورة الأمازونات فقد أصبحت أحد الموضوعات الأثيرة لدى الفنانين الإغريق من النحاتين والرسامين. وكن دائماً يظهرن في هذه الأعمال الفنية في ثياب حرب إغريقية وبثدي واحد. وبعد الحرب الفارسية (٤٩٩ ـ ٤٤٨ ق.م) انتشرت صورهن على الأصص الكلاسيكية وهن يرتدين خوذات شرقية وقميصاً يغطي نصف الصدر. ولكثرة ما قام من حروب بين الإغريق والأمازونات.. أصبحت الأمازونات أعداء تقليديين للإغريق مما دفع بـ آرتميزيا Artemisia إحدى ملكات الأمازونات وهي روح آرتميس إلى أن تنضم إلى قورش Xerxes ملك الفرس في معركة سلاميس Salamis الشهيرة بين الإغريق والفرس عام ٤٨٠ ق.م. لا، لأن «آرتميزيا» كانت تحب الفرس ولكن لأنها كانت تكره الإغريق.

أمازونات شمال أوربا

وكان لشمال أوربا أساطيرهم الخاصة بالأمازونات.. فهناك الفالكيريز Valkyries العذارى المحاربات من فالهالا Valhalla.. وهناك أمازونات ينتسبن إلى الفايكنج Vikings ويقدن الجنود في الحرب.

وفي القرن العاشر قام أسطول نرويجي بغزو إيرلندا واكتسح كل الساحل الشمالي الشرقي تحت قيادة ملكة محاربة تسمى الفتاة الحمراء Red Maiden، وهناك ملكة أخرى تسمى أولجا Olga.. واحدة من أوائل من حكموا كييف Kiev.

ويذكر مؤرخو العصور الوسطى أن الأمازونات حكمن مدينة أولم Ulm من قبل عصر سيدنا إبراهيم عليه السلام حتى عصر الإسكندر الأكبر.. وقد سميت المدينة باسم أولم نسبة إلى شجرة الدردار المقدسة Ulmac التي كانت رمزاً لعبادة «ديانا ـ آرتميس».

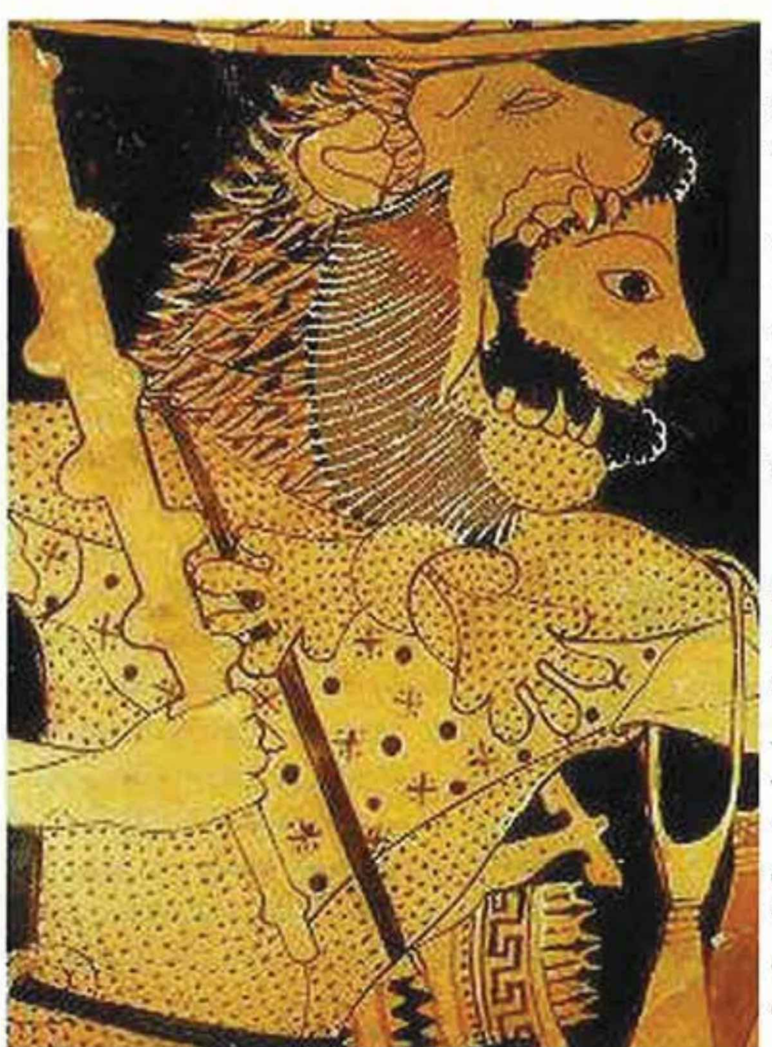
وكان للأمازونات ألحان غنائية سحرية خاصة تهد من قوى الأعداء.. وقد حرمت فالكيري كارا Valkyric Kara أعداءها من قوتهم حيث أجبرتهم بتأثير سحرها على إلقاء أسلحتهم. وألقت نمهاين Nemhain لعنتها على محاربي كو ـ شولين Cu Chulainn فلقي منهم مئة محارب حتفهم في لحظة واحدة. ويذكر كورنيليوس تاكيتوس Cornelius Tacitus(٣) أن قوات الدرويدرز

Dreuders(٤)، وهي تصد الغزاة الرومان في جزيرة مونا Mona عام ٦١م كان بينهم نساء يرتدين خوذات سوداء ويلوحن بسيوفهن ويرددن اللعنات على الغزاة.

وفي الأساطير الإيرلندية كان أول من استعمر إيرلندا امرأة.. وكانت إيرلندا تجند النساء حتى القرن السابع الميلادي حتى أصدرت القيادات الكنسية أوامر بمنع النساء من حمل السلاح.. وإن ظل هناك تقليد بأن تضم أمتعة العروس التي يقدمها الزوج لعروسه سكينًا طويلاً عند الزفاف.

أصل السبيانز

ومن أساطير الأمازونات جاءتنا كلمة لسبيانز Lesbians أي النساء المساحقات وذلك عندما أخذت الأمازونات جزيرة لسبوس Lesbos وجعلنها إحدى جزر النساء، وأصبحت مستعمرة مقدسة لـ «العبادة النسوية Female Principle». وكانت لسبوس في القرن السادس ق.م مملوءة بالنساء اللاتي وهبن أنفسهن لخدمة أفروديت Aphrodite إلهة الجمال وآرتميس إلهة الصيد وممارسة الشاريس Charis أي فن التجاذب أو «العشق السحاقي».



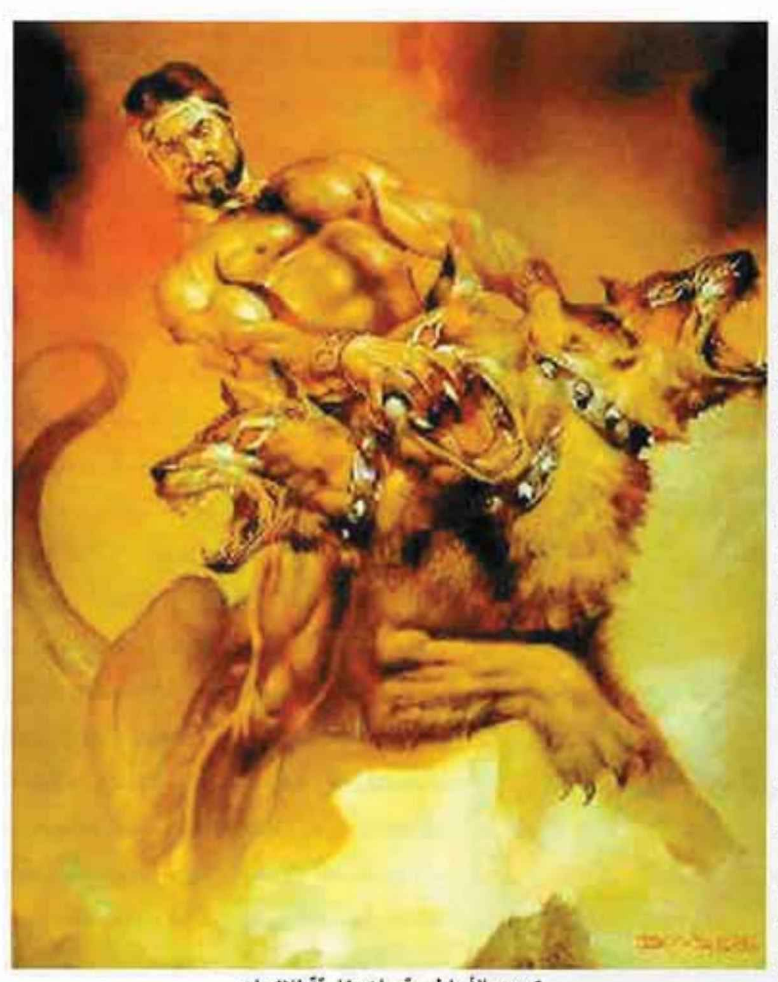
استعداد دائم لمواجهة المجهول

وفي الآداب الإغريقية ذكر لشاعرة اسمها سافو Sapho قالت عنها بعض المصادر: إنها كانت في وقت ما أشهر من هوميروس Homer الشاعر الإغريقي، وإنها كانت واحدة من كبار الكتّاب الذين هوجموا لميولهم الجنسية الشاذة، فأحرقت في بداية العصر المسيحي. كما انتشرت في العصور المسيحية الوسطى عادة حرق «اللسبيانز» أحياء دون محاكمة لأنهن «بضاعة الشيطان»(٥).

جزر النساء ومدنهن عند العرب

ومع ازدهار الحضارة العربية ودخول ترجمات إغريقية ولاتينية إلى الفكر العربي مع توسع العرب والمسلمين في اتصالاتهم بالأمم والشعوب الأجنبية بغية نشر الدين الإسلامي أو التجارة كان من الطبيعي أن يضيف ذلك إلى موروثهم التقليدي من الأساطير تقاليد وعادات وأساطير غريبة عليهم، ساعد على ذلك ما كان يحف هذا الاتصال في كثير من الأحيان بمخاطر ومغامرات يلاقيها ويعايشها المغامرون من الرحالين والتجار والبحارة العرب، فعادوا يتحدثون ويكتبون ما وعته ذاكرتهم من هذه التقاليد والأساطير طبقًا لما شاهدوه وسمعوه، أو صورته لهم خيالاتهم وهم يلاطمون الموج في البحار، ويواجهون الموت في الفيافي والقفار، ومن ثم لم يكد يخلو مؤلف من تلك المؤلفات التي تتحدث عن «العجائب والغرائب» من الإشارة إلى الأساطير

الخاصة بجزر أو مدن لا يعيش فيها أو يحكمها غير النساء(٦). ولم تكتف الأساطير العربية بما عرف عن الأمازونات من عشقهن للحرب، وغلبهن على الرجال كصفات مميزة لهن، بل أضافت إليهن صفات أشد عمقًا في التخيل، إذ ذكرت جنسًا من النساء يسمين الوقواق «وهن نساء علق بشعورهن في أشجار وهن يصحن: واق واق وإذا سقطن من أشجارهن فارقن الحياة»(٧)، والقزويني يصفهن بأنهن نساء يعشن في بلاد كثيرة الذهب، وأنهن يتخذن سلاسل كلابهم وأطواق قرودهم من الذهب ويلبسن القمصان المنسوجة بالذهب، وتملكهم امرأة حدّث من رآها أنها كانت على سرير عريانة وعلى رأسها تاج وعندها أربعة آلاف وصيفة عاريات أبكار(٨).


تصور الأساطير قدرات خارقة للإنسان

وتتباين نظرة المؤرخين والرحالين العرب في وصفهم لجزر النساء ومدنهن بين وصف أسطوري ممزوج ببعض الحقائق، أو أسطوري يغلفه التخيل الجامح، مثل أسطورة الواق واق، والذي ربما أضافوه نقلاً عن رواة آخرين أو إضافة نسّاخ متأخرين لإضفاء صور خرافية للتسلية والإبهار، وربما كان الدمشقي أكثر مؤلفي كتب العجائب والغرائب تحرياً للصدق والدقة إذ كان له عقل عالم، ويقف القزويني بينه وبين ابن الوردي (صاحب الصور الخيالية الجامحة) فهو يتوخى الحقائق وإن كان ذلك لا يمنع أن يمزجها في أكثر الأحيان بالمبالغة(٩).

وعند استعراضنا لبعض ما كتبه المؤرخون والرحالون العرب في هذا الشأن نجد النويري في كتابه «نهاية الأرب»(١٠) يشير إلى وجود مدينة للنساء عند الحديث عن «البحر المحيط» حيث يقول: «وفيه (أي في البحر المحيط) مما يلي الصقالبة جزيرتان: إحداهما جزيرة (أميرنانيوس النساء) ولا يسكنها غير النساء فقط وتسمى الأخرى (أمرنانيوس الرجال) لا يسكنها غير الرجال فقط، وهم في كل عام يجتمعون زمن الربيع، ويتناكحون نحواً من شهر ثم يفترقون. ويقال: إن هاتين الجزيرتين لا يكاد يقع طرف أحد عليهما لكثرة الغمام وظلمة البحر وعظم الأمواج».. أما القزويني فيشير إلى مدينة النساء بأنها(١١) «مدينة كبيرة واسعة الرقعة في جزيرة في بحر المغرب» وينقل عمن سماه الطرطوشي قوله: «إن أهلها نساء لا حكم للرجال عليهن.. يركبن الخيول، ويباشرن الحرب بأنفسهن، ولهن بأس شديد عند اللقاء».. وفي موضع آخر يشير إلى جزيرة النساء فيقول: «حكى بعض التجار أن الريح ألقته إلى هذه الجزيرة قال: فرأيت نساء لا رجال معهن، ورأيت الذهب في هذه الجزيرة مثل التراب.. ورأيت من الذهب قضباناً كالخيزران، فهممن بقتلي فحمتني امرأة منهن،

وحملتني على لوح وسيبتني في البحر فألقتني الريح إلى بلاد الصين، فأخبرت صاحب الصين بحال الجزيرة وما فيها من الذهب، فبعث من يأتيه بخبرها فذهبوا ثلاث سنين ما وقعوا بها فرجعوا».

أما كيف تجتمع النساء بالرجال فيورد القزويني سببين طريفين: فالنساء في جزيرة النساء يلقحن من ثمرة شجرة عندهن يأكلن منها فيلقحن ويلدن النساء. أما في مدينة النساء فإن للنساء ممالك (يقصد مماليك) يختلف كل مملوك بالليل إلى سيدته يكون معها طول الليل ويقوم بالسحر ويخرج مستترا عند انبلاج الفجر، فإذا وضعت إحداهن ذكراً قتلته في الحال، وإن وضعت أنثى تركتها، وينقل القزويني عن الطرطوشي أيضاً قوله إن «مدينة النساء يقين لا شك فيه».

النساء المحاربات في قصة سيف بن ذي يزن

ولأن ما قاله الطرطوشي (الذي لا نعرفه إلا من خلال القزويني) عن مدينة النساء من أنها يقين لا شك فيه، ولكثرة ما ورد في كتب العجائب عن ممالك النساء فقد تأثر مدونو سير الأبطال العرب القدامى مثل سيف بن ذي يزن بذلك، وتضمنت السيرة صوراً عن هذه الممالك وعن جنس النساء المحاربات، وهي صور طريفة تستحق ألا نغفلها ونحن بصدد الحديث عن هذه الممالك النسائية في الفكر العربي(١٢).

فتشير السيرة إلى أن الملك سيف قد أحب «منية النفوس» بنت الملك «قاسم العبوس» وأراد أن يلحق بها في مملكة أبيها وهي مملكة للنساء فقط تقع في جزيرة مطلسمة فاستنصح «عاقصة»(١٣) في ذلك فحذرت من مغبة الاقتراب من هذه الجزيرة وقالت.. لا تلق نفسك للهلاك؛ لأنك إن وصلت إلى هذه الجزيرة تهلك، فإنها أرض لا يسلكها سالك، وان وصلت إلى المدينة فما تقدر تعبر من بابها لأن على بابها غمازاً وله ٣٦٠ عوناً(١٤)، والغماز هو رصد الباب، وإذا رأى ذكراً على باب المدينة عبر (أي عبر الباب) يصيح فتصيح معه كل الأعوان ويقولون: ذكر دخل عليكم واسمه فلان وهو في المحل الفلاني.. فإذا سمع أهل المدينة ذلك «أطبقوا على الذي بداخلها فيقبضنه ويقطعنه بالسيوف الحداد بلا كلام ولا سلام. وأهل المدينة كلهن بنات لا يحصى عددهن ولا يعد.. وهن معروفات بالقوة والشجاعة، وليس لهن أو عندهن ذكر إلا الملك قاسم العبوس وهو أبو منية النفوس وهو الحاكم عليهن».

وتورد القصة تعليلا لوجود هذه المدينة فتستطرد: «تعجب الملك سيف فسألها عن سبب المدينة وأصلها فقالت عاقصة: إن هذه الجزيرة اسمها (واق واق)(١٥) وكان بها ملك اسمه كافور، وله ولدان: قاسم وعاصم بنى لكل منهما مدينة. ولما توفي كافور سكن كل واحد مدينته وسماها باسمه. وكان لكل منهما ولد وبنت في سن الزواج.. فخطب الملك عاصم لابنه بنت قاسم الذي رفض ذلك، كما رفضت بنته الزواج من ابن عمها..

غضب الملك عاصم وأراد الانتقام من أخيه. جمع حكماءه وكهانه وقال لهم.. أنا قصدي أن تجتهدوا لي في بدعة لم يسبقني إليها أحد، وهي أن تجمعوا جميع البنات اللواتي في مدينة أخي يأتين إلى مدينتي ولا تبقى عند أخي، ولا بنت ولكم عندي كل ما تطلبونه.. قالوا: سمعاً وطاعة. واجتمعوا في بيت مدة أربعين يوماً، وخرجوا ومعهم بنت من الشمع الأبيض على هيئة بني آدم، ووضعوا تلك البنت في وسط المدينة وبنوا عليها قبة عظيمة من الرخام، ونقشوها بالكتابة وبالأقلام، وأحاطوا حولها دوائر سبعاً بعلوم الأقلام، وقعد الحكماء على كراسي من العاج، وجعلوا يدمدمون ويعزمون إلى أن انتصف النهار، وإذا باب مدينة قاسم انفتح، وخرجت البنات منه وهن يصرخن ويقلن: نعم يا أيدي الحكماء(١٦).. فلما رأى الملك عاصم ذلك فرح فرحاً شديداً وأنعم على الحكماء إنعاماً زائداً فقال له الحكماء: يا ملك الزمان مرادنا نصنع عملاً أقوى من ذلك. فقال لهم: ما العمل؟ قالوا له: نعمل رصداً على هذه الجزيرة لا يصل إليها رجل، ولا تخرج منها نساء إلا إذا بطلت الأرصاد وهي بدعة حسنة، وفيها مكيدة لأخيك. فقال لهم: افعلوا ما بدا لكم. فسار الحكماء إلى أبواب المدينة ورسموا عليها طلاسم بعلوم الأقلام وجعلوا عليها أرصاداً لمنع الذكور من الدخول إليها. فقال لهم الملك

عاصم: أريد منكم أن تعملوا رصداً للغريب يصيح عليه حتى يخرج إليه أهل المدينة ويقتلوه. فقال له الحكماء: يا ملك الزمان إن كان سكان المدينة كلهم بنات فمن أين يكون عندهم رجال يريدون (يردون) الغريب لا سيما إذا كان الخصم فارساً عنيداً. فصدقهم الملك عاصم وأمرهم بتعليم البنات الفروسية والحرب حتى صرن قادرات على الدفاع عن أنفسهن.

وتعود القصة فتستطرد أن الملك قاسم - رد على ما فعله أخوه عاصم - قد جمع حكماءه هو الآخر وطلب منهم اختطاف كل الرجال من مملكة أخيه عاصم، وتم ذلك، فلم يبق بها رجل وأصبحت مملكة قاسم كلها من الرجال، ومدينة عاصم كلها من النساء.

أما كيف يتواصل الرجال والنساء فإن بعض النساء كن يتسللن من مدينتهن ليغتسلن في عين ماء بين المدينتين فيأتيهن الرجال في العين، وبذلك لم يحرم الرجال من النساء في حين ظلت القيود الصارمة على مدينة النساء. وحين مات الملك قاسم صارت «منية النفوس» ملكة النساء.. وفي إحدى رحلاتها إلى بستان الحكماء تزوجها الملك سيف وولدت له «مصر»، ثم عادت إلى مملكتها(١٧).

الأمازونات في عصر الاستكشاف

هكذا نرى الأساطير العربية عن جزر النساء ومدنهن ترد في صور خيالية بحت على الرغم مما أكده الطرطوشي من أنها «يقين لا شك فيه» بينما تمتزج الأسطورة في كتابات الإغريق ببعض الحقائق التاريخية مما ترك أثره أمداً طويلاً في الوعي والفكر الأوربيين مروراً بالعصور الوسطى حتى عصر الكشوف الجغرافية وما تلاه من قرون إلى منتصف القرن التاسع عشر.

وكان هوميروس قد أشار إلى الأمازونات منذ القرن الثامن قبل الميلاد.. وطوال عدة قرون كان المعتقد أن مملكتهن تقدح في «القوقاز» ثم بعد ذلك في سكيثيا ScythIa، ثم انتقلت إلى كابادوشيا Cappadocia، ثم إلى خالديا Chaldaea ثم إفريقية، كما رأينا عند ديودور الصقلي، ثم إلى واحدة من تلك الجزر الغامضة التي سمع عنها ماركو بولو Marco Polo خلال رحلته في آسيا(١٨). وقيل: إنه كان من أحلام كولومبوس أن يعثر على هذه الجزر بالقرب من العالم الجديد، وكذلك أميرجو فسبوتشي Amerigo Vespucci(١٩) وغيرهما من المستكشفين والمستعمرين الذين توجهوا إلى العالم الجديد.

وعندما اكتشف فرانسيسكو أورليانا Francisco Orliana نهر الأمازون واجه أعداداً من الهنود الحمر ذوي الشعور الطويلة، واعتقد أنهم من جنس الأمازونات اللاتي تتحدث عنهن الأساطير الإغريقية، فسمى النهر باسمهن. وعندما جاء المستعمر الإسباني كارفاخال Carvajal (١٥٤٢م) أحيا أسطورة الأمازونات وكأنه عثر على الحلقة المفقودة بين الأسطورة والتاريخ، وبذلك انتقل موقع مملكة النساء إلى عمق العالم الجديد، وشغلت تلك البقعة الاستوائية الممطرة التي عرفت باسم أمازونيا.

قال كارفاخال إنهم وصلوا في ٥ يونيو عام ١٥٤٢م إلى قرية متوسطة الحجم اعتقد أنها أرض الأمازونات، ويصف القرية بقوله: «في هذه القرية كان يوجد ميدان فسيح في وسطه جذع شجرة مخروطة محيطها ثلاثة أمتار، ويحيط بها سور له بوابة يقوم عليها برجان مرتفعان متقابلان، وبهما نوافذ، ولكل برج باب يواجه كل منهما الآخر وأمام كل باب عمودان(٢٠).. وهناك تمثالان لأسدين يبدوان في غاية الشراسة تقوم بين مخالبهما الأمامية حفرة يصبون فيها «التشيتشا Chicha» وهو الشراب الذي يشربونه قرباناً للشمس.. وفي ٢٤ يونيو حدثت المواجهة مع الأمازونات حيث كاد يفنى الإسبان عن آخرهم. ويقول كارفاخال: إن الأمازونات كن شبه عاريات وهن يحملن القسي والسهام في أيديهن ويحاربن كغيرهن من الرجال. وفي اليوم التالي حدث كمين للإسبان وهم يتقدمون إلى الشاطئ، وأصيب كارفاخال نفسه وكتب في ذلك يقول: «لقد شاءت إرادة الله أن أصاب بطعنة في إحدى عيني حيث اخترقها سهم فحرمني منها إلى الأبد وما زلت أعاني أثرها حتى الآن».


أساطير كثيرة حول مخلوقات برؤوس متعددة

كانت الأجواء الفكرية في أوربا ممهدة لتقبل مثل هذه الأفكار والتخيلات..

وورد في كتابات الرحالين والمستكشفين طوال القرن السادس عشر اسم الملكة كالافيا Kalavia التي تحكم مملكة أرضها كلها من الذهب وسكانها كلهم من النساء. وحين اكتشفت ولاية «كاليفورنيا» ظن مكتشفوها أنها المملكة المعنية فسموا هذه المنطقة باسم كاليفورنيا.

وعلى الرغم من أن البلاط الإسباني لم يأخذ التقارير الخاصة بذلك مأخذ الجد أو الاقتناع إلا أن الأسطورة بدت للذهن الأوربي وقتئذ وكأنها حقيقة لا مراء فيها. ومع ذلك فحين أشار أندريه ثيفات Andre Thevat(٢١) إلى أولئك الأمازونات قال: «هن لسن أمازونات وإنما نساء بائسات بعيدات عن أزواجهن ويحاولن الحفاظ على حياتهن وحياة أطفالهن».

أسطورة الدورادو

في ذلك الوقت كانت سلسلة جبال الأنديز يعتقد أنها مقر لسيد عظيم أطلق عليه اسم «الدورادو El- Dorado»، والذي قيل عنه: إنه يتلفح دائماً بعباءة من ذهب، وإن الذهب عنده كالتراب، وإنه مقيم بالقرب من بحيرة «جواتافيا Guatavia» قرب «بوكوتا»(٢٢) وإن القرابين التي كانت تقدم للآلهة كلها كانت من الجواهر التي تلقى بعد ذلك في الماء. وقيل: إن جيرانه الأقوياء من عنصر «التشيبشا Chibcha» خلعوه عن عرشه قبل وصول الإسبان. وعندما جاء الإسبان كان كل همهم العثور على كنوز «الدورادو» والوصول إلى مملكة الأمازونات.

وجاء رجل اسمه خوان مارتينيز Join Martincz ليقص رواية وهي أنه عاش في مدينة اسمها مانوا Manoa ربما هي التي كانت موطن الدورادو ويحكمها الآن على عهده الإمبراطور إنجا Inga الذي استضافه في مدينته غير أنه لم يكن يسمح له بالتجوال في المدينة إلا معصوب العينين حتى لا يعرف أسرار المدينة.

وعندما استأذن في الرحيل أعطاه الإمبراطور إنجا أحمالاً كبيرة من الذهب والجواهر.. غير أنه تعرض لهجوم من عنصر هندي يسمى أورينوكوبوني حيث سرقوا ما معه فيما عدا قنينتين كانتا مملوءتين بحبات الذهب واعتقد المهاجمون أنهما قنينتا شراب، واستطاع أخيراً أن يفلت منهم في قارب عن طريق نهر الأورينوكو حتى وصل إلى ترينداد Trindad بعد ذلك ومنها إلى بورتو ريكو Puerto Rico ولكثرة ما رآه من ذهب يغطي كل شيء في المدينة سماها الدورادو على اسم ذلك السيد الأسطوري العظيم.

وفي عام ١٥٦٠م كان نائب الملك في «بيرو» متحمساً لتقصي الأنباء عن تلك الروايات المثيرة «الدورادو» و«مانوا» فأمر أحد قواده واسمه بدرودي أورسوا Pedro De Ursua بأن يعبر سلسلة جبال الأنديز(٢٣) للبحث عن إجابة لما يثار حول هذه الروايات. وشكّل «دي أورسوا» بعثة وصل بها إلى الأمازون، غير أن أحد رجاله من «الباسك Basquc»(٢٤) واسمه «لوبي دي أجويري Lope De Aguire» تمرد على قائده، وأعلن نفسه ملكاً على «أمازونيا»، لكن نجدات إسبانية قادمة من فنزويلا تغلبت عليه ولقى حتفه.

تقارير «والتر رالي» وتخيلاته

وكان السير والتر رالي Sir Walter Raleich المكتشف الإنجليزي قائداً ونبيلاً وشاعراً وقرصاناً في بعض الأحيان.. ذا أحلام كبيرة وطموح فائق، وعلى علاقة طيبة ـ وقيل علاقة خاصة ـ بالملكة إليزابيث ملكة إنجلترا. اهتم والتر رالي بكل ما سمعه من أقاصيص حول «الدورادو» و«أمازونيا» و«الأمازونات». وجاءت قصة حول أرض الأمازونات أكثر جنوحاً في التخيل مما ذكره كارفاخال وقال عن وضع الأمازونات في موقع آخر: إنهن يعشن غير بعيد عن جوايانا Guayana، ويقابلن الرجال مرة واحدة كل سنة حين يجتمع «ملوك الحدود وملكات الأمازونات» يتبع كل منهم رعاياه ويقومون بعمل احتفالات كبيرة ويرقصون ويشربون النبيذ في ضوء القمر.. وبعد أن تنجب الأمازونات ـ نتيجة لهذا اللقاء ـ يحتفظن بالإناث من المواليد ويعدن الذكور إلى الرجال. ويضيف: «وقيل لنا: إنه إذا وقع أسير في أيديهن في أثناء الحرب إما أن يحتفظن به لوقت الإنجاب ثم يقتلنه بعد ذلك وإما أن يقتلنه على الفور.. ذلك لأنهن قاسيات محبات لسفك الدماء».. ويقول: إنه قرأ ذلك في مذكرات وأوراق حاكم «ترينداد» الذي وقع ذات مرة في يده أسير بعد غارة قام بها والتر رالي على ترينداد.

لم يكتف السير والتر رالي بما سمعه أو قرأه، بل رغب في أن يحقق بنفسه هذه الأسطورة.. وحين علم أن الأمازونات يعشن في «مانوا» انطلق يبحث عن هذه المدينة.. وجاء في مذكرات كتبها بعد ذلك باسم: «اكتشاف امبراطورية جوايانا» تفصيل أكثر لحياة الأمازونات ـ بعد أن تحقق من وجودهن حسب كتاباته ـ وقال: «إن مدن الأمازونات كانت مبنية بالأحجار يربط بينها طرق معبدة، ويحيط بكل منها جدران لها بوابات وحولها مراع خصبة كأنها الجحيم الأخضر».. وقال في رسالة أرسلها إلى الملكة إليزابيث: «لم أر أرضاً في جمالها، فالتلال تكسوها الخضرة في كل مكان، والنهر يتفرع إلى قنوات كثيرة والحشائش تغمر كل مكان، والطرق ممهدة مرصوفة برمال متماسكة لتساعد على السير عليها.. والغزلان تتهادى هنا وهناك، والطيور تغني على الأشجار مع هبوط الليل بآلاف من الألحان المختلفة. الهواء رطب، والنسيم عليل، وأحجار الذهب تنتثر في كل مكان، وليس علينا إلا أن ننحني ونلتقطها دون عناء. والهنود يسمون هذه البلاد «أم الذهب».. وسوف ترين جلالتك أنواعاً مختلفة منها، وأرجو ألا تغيّر الشمس من بريقها». غير أن الملكة إليزابيث توفيت قبل أن تستفيد من هذا الخطاب وما أرسل معه..

توهمات الرحالين الأوربيين

كان كريستوفر كولمبس، شأنه شأن السندباد، يتوقع أن يرى في الأرض الجديدة مخلوقات غريبة مثل السايكلوب Cyclope ذات العين الواحدة وسط الجبهة أو وسط الصدر.. أو رجالاً لهم ذيول كالكلاب.. لكن


الإنسان ومقدرة على ترويض الحيوانات المفترسة

«أمازونيا» كانت تخفي أسراراً أكثر وأخطر حسب ما ذكر والتر رالي، فقد أشار إلى وجود أناس أسماهم التيفيتا Tivitiva يتخذون من الأشجار سكناً لهم، وأن هناك آخرين سماهم أسيفالي Acephali أشبه بالوحوش الأسطورية، مما أخذه الأوربيون في ذلك الوقت أمراً يمكن تصديقه. ويقول الكابتن لورنس كيمس Laurance Kemis الذي رافق والتر رالي في مذكراته: إن واحداً من الزعماء المحليين اسمه كاسيك Cacique أخبره أن هناك رجالاً بلا رؤوس، وأن أفواههم في منتصف صدورهم. وعلى الرغم من أن والتر رالي يبحث عن «مانوا - مدينة الدورادو ومدينة الأمازونات في الوقت نفسه - في جوايانا فإن بعض الدارسين يربطونها بـ «ماناؤوس Manaos» تلك المدينة الأسطورية التي أصبحت حقيقة وازدهرت على ضفاف الأمازون وأصبحت عاصمة المطاط في البرازيل..

وإلى جانب والتر رالي فقد اشترك المنصرون في محاولات أخرى لاختراق «أمازونيا» بينما نشأ خلاف وصراع مريران بين ملكي إسبانيا والبرتغال حول تحديد أملاك كل منهما في العالم الجديد مما انتهى بمعاهدة وضعت أمازونيا ومعظم نهر الأمازون تحت حكم البرتغال(٢٥).

وفي منتصف القرن الثامن عشر (١٧٤٥م) شهدت الأكاديمية الفرنسية للعلوم في باريس محاضرة لـ «شارلس ماري دي لا كوندامين» Charles Marie De Lacond Amin(٢٦) عرض فيها لتفاصيل بعثة قام بها ليضع حداً لجدال كان قائماً في ذلك الوقت حول: هل انبعاج الكرة الأرضية هو على خط الاستواء وتفلطحها عند القطبين كما قال نيوتن أم العكس؟ وضمت البعثة عدداً من علماء النبات والأحياء والفلكيين وغيرهم من علماء القرن الثامن عشر. قامت البعثة من كيتو Quito(٢٧) وعسكرت على نقطة في خط الاستواء لحساب خط الطول الحقيقي الذي يمر هناك.. وعندما أنهت البعثة مهمتها قرر لاكوندامين أن يواصل رحلته في نهر الأمازون.. لعله يعرف شيئاً جديداً عن أسطورة الأمازونات.. ولم تبعد ملاحظاته التي دونها عما قيل من قبل عن الأمازونات، وقرر أنه فحص ووازن كل ما ورد في الأقاصيص الشعبية التي كانت معروفة في هذه المناطق، وانتهى إلى القول: إن الأمازونات كن يقمن في قلب جوايانا كما أشار إلى ذلك والتر رالي من قبل. ولكن في عام ١٨٠٠م قرر الرحالة هامبولد Hamboldt أن موطن الأمازونات لم يقتصر على ذلك المكان فقط وإنما أقمن في مناطق متفرقة من أمريكا، لكنه قال إنهن كن يعشن في حالة عبودية للرجال وأنهن لذلك وحدن صفوفهن كغيرهن من الزنوج الهاربين.

وكان قائد المركب سولانو Solano الذي أرسله ملك

إسبانيا لمراقبة عملية الفصل بين الممتلكات الإسبانية في فنزويلا والممتلكات البرتغالية في البرازيل قد ذكر عام ١٧٥٦م أن نساء الـ «جويبوينافي» Guipuinavi كن يحاربن جنباً إلى جنب مع أزواجهن الهنود، وكن يتميزن بقدر كبير من الشجاعة، فقد تدربن تدريباً عالياً، كما أنهن يتصفن بالشراسة إلى جانب ذلك، ويتعلمن كيف يستخدمن القوس والسهام منذ طفولتهن.. ثم أضاف أن هؤلاء النسوة لابد أنهن الأمازونات اللاتي أشار إليهن كثير من الرحالين والمستعمرين.

هكذا عادت الأسطورة حسب ما ذكر كوندامين وهمبولد إلى الظهور مرة أخرى كأنه كان يعز على المستكشفين أن تنطوي صفحة الأحلام في أرض أمازونيا والأمازونات.

والملاحظ في كل ما ذكر عن الأمازونات:

- أنهن يعشن في مدينة أو جزيرة يوجد فيها الذهب كالتراب. وقد ربطها المستكشفون الإسبان بأسطورة أخرى هي أسطورة «الدورادو» مدينة الذهب الأسطورية التي ظلت حلماً لكل مستكشف طوال عصر الاستكشاف الأوربي للعالم الجديد، كما كانت مدينة «عوفير»(٢٨) في الآداب القديمة.

- قيام الأمازونات بقتل الذكور من مواليدهن وأسراهن أو المعتدين عليهن على الرغم من عدم استطاعتهن الاستغناء عنهم للإنجاب والحفاظ على النسل، مما يذهب بالذهن إلى عالم العناكب حيث تقتل الأنثى الذكر عقب التزاوج مباشرة وبذلك تخلو الحياة العنكبوتية من الأزواج الذكور وتبقى السيادة دائماً للإناث.

أمازونات العصر الحديث

ومن المثير حقاً أن نجد حتى في عصرنا الحديث هذا.. أحاديث ووقائع مشابهة لعناصر نسائية قمن بمثل ما كانت تقوم به الأمازونات من حرب وقتال وشراسة.. ولكن في إطار مختلف حيث اقتصر أمرهن على الحرب لغاية أو هدف يتعلق بخدمة الوطن والتصدي لعدو مغير.

ففي القرن السابع عشر حدثت معركة تاريخية شهيرة (١٦٢٢م) بين جيش من النساء السويسريات والجيش النمساوي الغازي الذي كان يريد الاستيلاء على سويسرا. لم يكن جيشاً بالمعنى المعروف، وإنما هم جماعة من النساء كن يقمن في وادي براتيجو وهو وادي ضيق جداً تحيط به الجبال، وكان رجالهن مشغولين بأعمالهم بعيداً عن الوادي. واتجه الجيش الغازي نحو الوادي لبدء هجوم مفاجئ لكن النساء شعرن بما يحيق بهن من خطر في الوقت الذي لا يمكن لهن تحذير رجالهن، فتدبرن الأمر، ونظمن أنفسهن، وتسلحن بكل ما استطعن جمعه من وسائل الدفاع من مناجل ومدار وعصي وحجارة وسكاكين وما كان يحتفظ به أزواجهن - تحسباً لأي طارئ - من سهام وأقواس ونبال، وأعددن كميناً للجيش الغازي الذي فوجئ عند وصوله إلى هذا الكمين حيث انهالت عليه الأحجار والسهام والنبال من كل مكان وتبع ذلك هجوم قامت به النسوة ضد المغيرين مما انتهى بفرار هذه القوات الغازية بعد أن منيت بهزيمة ساحقة. وحينما عاد الرجال إلى بيوتهم في المساء انتابهم مزيج من الدهشة والإعجاب والفخر والسرور بما حققه نساؤهم.. وأصبح تقليداً لسكان الوادي بعد ذلك أن تتقدم النساء الرجال في كل مناسبة أو احتفال تقديراً لبسالتهن(٢٩).

وإبان حرب الحبشة مع إيطاليا رأت امرأة حبشية(٣٠) حلماً أوحي إليها فيه أن العناية الإلهية قد اختارتها لتخليص بلادها من الأعداء وهي على ظهر جواد تقود جيشاً من النساء فسعت إلى تحقيق هذا الحلم. وعلى الرغم مما قوبلت به من سخرية واستخفاف لندائها إلا أنها تمكنت آخر الأمر من تكوين فرقة حربية من ثلاثة آلاف امرأة محاربة، وخاضت بهن قتالاً عنيفاً ضد الإيطاليين في سبيل الدفاع عن بلادها. كانت في عنفوان شبابها، لكنها مدفوعة بهذا الحلم وبوطنيتها نفضت عنها رفاهية الأنثى، واشتركت بجيشها الأمازوني - وهي صفة أطلقتها عليها الصحافة العالمية في ذلك الوقت - في الدفاع عن حرية وطنها وكرامته(٣١).

وشبيه بذلك ما حدث في فنلندا وهي تقاوم القوات الروسية الزاحفة عليها.. حين تألف في فنلندا جيش

من النســـاء اللاتي تطـوعن في زمن السـلم، وأعــددن أنفسهن إعدادًا خاصـًا يسمح لهن بالمساهمة في الحرب التي كـانت مـتـوقـعـة، وقـمـن بكل الأعـمـال الحـربيـة المساعـدة في أثناء الحرب ـ مـا عدا حـمل السلاح ـ وإن كـانت فكرة إنشـاء هذا الجيش جـاءت إعـجـابًا وإحيـاءً لذكـرى بطلة قصـة تغنى بهـا شاعـر فنلندا «رونبـرج» وملخـصـهـا أن هذه البطلة كـانت قـد تبـعت زوجـهـا في الغابات مشـاركة إياه شظف العيش والتـعرض لمخاطر الأعداء.. وأصبحت رمزًا للمـرأة المكافحة المقاتلة. كان اسمها «لونا» وهو الاسم الذي أطلقـته نساء فنلندا على جـيش النسـاء الذي قاوم الغـزو الروسي(٣٢) وأصـبح من المعتاد أن تلتحق بعض النساء في أيامنا هذه بالعمل في القـوات المسلحـة لبـلادهن إلا أن دراسـة أكـاديميـة بريطانـيـة أكـدت أن «مـشـاركـة النسـاء في الخطوط الأمامـيـة الـعسكرية تقلل من كـفاءة أداء الجـيش وتزيد من أعبـاء وتكلفة الحـروب» وأشارت إلى أن المجندات يمثلن عـنصـر تقـويض وليس عنصـر تقـوية للكـفـاءة القتالية إذ تفتقر المرأة إلى القوة البدنية اللازمة للقتال في مواقع الاشتبـاك مما يعرضـهـا وزميلاتها لأخطـار غير مبررة»(٣٣).

الهوامش والمراجع

١. كانت كلمة «ليبيا» تطلق على كل شمال إفريقية ما عدا مصر.
٢. «الموسوعة العربية الميسرة»، ص٢١٦.
٣. مؤرخ روماني (٥٦ ـ ١٢٠م).
٤. قوات «كلتية» دينية قديمة في بريطانيا.
٥. ص ٥٣٥ :The Woman,s encyclopedia of Myth and Secrets
Barbara G. Walker
٦. للدكتور حسين فوزي كتاب باسم «حديث السندباد القديم» (طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ القاهرة ١٩٤٣م)، ضمنه إشارات مهمة لكتب العجائب مثل:
ـ «خريدة العجائب وزبدة الرغائب»، لابن الوردي.
ـ «عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات» للقزويني.
ـ «آثار البلاد وأخبار العباد» للقزويني.
ـ «المسالك والممالك» لابن خردانبه.
ـ «مختصر البلدان» لابن الفقيه.
ـ «معجم البلدان» لياقوت الحموي.
ـ «نزهة المشتاق» للإدريسي.
ـ «نخبة الدهر في عجائب البر والبحر» للدمشقي.
ـ «نهاية الأرب في فنون الأدب» للنويري.
ـ «عجائب الهند بره وبحره وجزائره» لبزرك بن شهريار الناخداه..
كما تضمن بحثًا ممتازًا عن جزر النساء ومدنهن في الأساطير العربية (من ص ١٠٩ إلى ص ١١٩) فليرجع إليه من يشاء وإن لم يشر فيه إلى حديث مدن النساء الواردة في سيرة الملك سيف بن ذي يزن الذي ضمناه في بحثنا هذا. كما اهتم د. شوقي ضيف في كتابه «عجائب وأساطير» (كتاب الهلال عدد ١٠٢) بدراسة ما حوته هذه الأساطير تحت عنوان (بين الحقيقة والخيال).
٧. «عجائب وأساطير» د. شوقي ضيف ص ١٧.
٨. نفسه ص ٣٠/٢٩.
٩. نفسه ص ٢٨.
١٠. «نهاية الأرب» للنويري جـ ١ ص ٢٣١.
١١. «جغرافيا الوهم»: حسني زينه (لندن) ص ٨٧ و ١٤٤ (عن القزويني في كتابه عجائب المخلوقات).
١٢. «ذخيرة العجائب العربية»: سعيد يقطين ص ٩٦ و ١٠٤ (عن سيرة الملك سيف بن ذي يزن).
١٣. إحدى بطلات سيرة الملك سيف.
١٤. العون هو المارد الكبير.
١٥. لاحظ هنا أن واق واق تطلق اسمًا على «الجزيرة» في حين تطلق على النساء، حسب التخيل الجامح مع كونهن نساء يطلقن بشعورهن على الشجر، وهو من قبيل الخلط السائد في الأساطير كما سنرى في أسطورة «الدورادو» إذ أطلقت هذه الكلمة على «سيد عظيم» وعلى «مدينة».
١٦. هكذا وردت في النص.
١٧. «ذخيرة العجائب العربية»: ص ٩٦ و ٩٧ و ٩٨ (عن سيرة الملك سيف).
١٨. قام ماركو بولو (١٢٥٤ ـ ١٣٢٤م) برحلته من البندقية (فينيسيا) بإيطاليا إلى بلاد الصين ـ مارًا بما عرف باسم طريق الحرير ـ وعاش بها عشرين عامًا.. وتحدد رحلاته موقع هذه الجزر ـ كما وردت في خريطة فرا ـ مورو باسم ما نجلة ونبيلة قرب سقطرة في البحر العربي والمقصود جزر «خوريا موريا». راجع ص ٣٣٦ في وصف هذه الجزر وعادات النساء بما يتفق جزئيًا مع ما عرف لدى الإغريق والعرب ـ رحلات ماركوبولو تأليف: وليم مارسدن ترجمة عبدالعزيز جاويد. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧م.
١٩. كان كولومبس يعتقد أن الأرض التي اكتشفها هي جزء من آسيا ومات دون أن يعرف أنه اكتشف أو وصل إلى عالم جديد، وهو ما أدركه وحققه «أميرجوفسبوتشي» الرحالة الإيطالي وسميت الأرض الجديدة باسمه «أمريكا».
٢٠. ص١٣ و ص٣٦ وما بعدها :Amazone. Past. Present and Future
Alain Gheerbrant.
٢١. كاتب فرنسي.
٢٢. وهي بوجوتا عاصمة كولومبيا الحالية.
٢٣. الكورديرا Cordillera.
٢٤. جنس من الشعوب الإسبانية على حدود فرنسا.
٢٥. في البرازيل الآن.
٢٦. ضمنها في كتاب له يحمل عنوان: Abridged Narrative of Travelos Through The Interior of South America, From The Shores of Brazil Pacific Ocean and Guayana, Descending The Riverof The Amazon.
٢٧. عاصمة الأكوادور الآن.
٢٨. في «الصومال» ويضعها بعضهم في رأس خليج العقبة.
٢٩. «طرائف من التاريخ»: مصطفى الشهابي ص ٣٠ سلسلة اقرأ ـ دار المعارف ـ مصر.
٣٠. اسمها «فويزيروا بايك شاركوز» وقد لقبوها باسم «المرأة التي استحالت إلى زهرة» حيث ذهب كفاحها مذهب الأساطير.
٣١. مجلة «اللطائف المصورة» المصرية ١٩٣٥/١١/٢٥م.
٣٢. مجلة «أخبار الدنيا» المصرية ع ٢ ديسمبر ١٩٤٦م.
٣٣. جريدة «الأهرام» ٢٠٠١/٩/٣م.

مراجع أخرى:

-Dictionary of Mythology: Bagen Evans.
- The Mentor Dictionary of Mythology & The Bible: Richard J. Daigle & Frederick R. Lapides
- World Book Encyclopedia. V.1.

الصور: ١ ـ من كتاب: Amazon. Past, Present And Future
٢ - الانترنت.

الدم الصناعي بين الحلم والواقع

محيي الدين لبنية
المدينة المنورة - السعودية

عندما تحل الكوارث في المجتمعات البشرية وتشن بينها الحروب تزداد الحاجة إلى الدم لإنقاذ حياة الجرحى، ويستطيع الأطباء تعويض المفقود من مصل دم المصاب بالمحاليل المغذية التي تعطى له عن طريق الوريد لتفادي نقص حجم دمه، وما يسببه من مضاعفات خطيرة على صحته، لكنهم مازالوا عاجزين عن تعويض كريات الدم الحمراء المفقودة دون اللجوء إلى عمليات نقل دم من متبرع إلى مصاب.

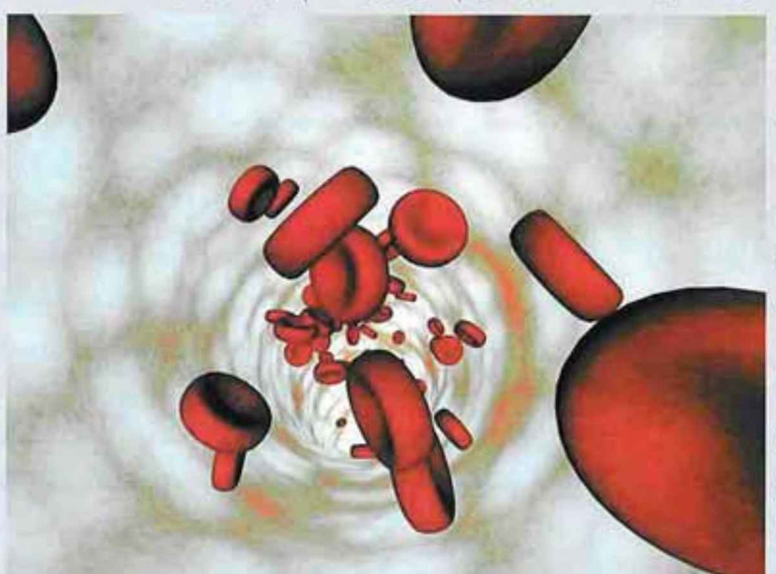
والوظيفة الأساسية لكريات الدم وما فيها من خضاب الدم هو نقل غاز الأكسجين من الجهاز التنفسي إلى جميع خلايا الجسم، ثم العودة إلى الرئتين للتخلص مما تحمله من غاز ثاني أكسيد الفحم، وفي حالات الإصابة بالجروح يحتاج شفاؤها إلى مقدار إضافي من الأوكسجين، وعندما لا يتوافر دمٌ كافٍ فهناك حاجة إلى نقل مركبات تقوم بوظائف كريات الدم الحمراء، وهذا ما يسميه الأطباء «الدم الصناعي» أو «أبدال الدم»، وتزداد أهمية وجود الدم الصناعي بعد أن أصبح الدم المسحوب من متبرعين وسيلةً لانتقال أمراض خطيرة مثل الإيدز، والالتهاب الكبدي الوبائي، والزهري، والملاريا، مما دفع الكثير من دول العالم إلى فرض قيود صحية على الدم ومنتجاته المستوردة للتأكد من سلامتها وخلوها من العوامل الممرضة قبل الإذن بدخولها إليها، ولحسن الحظ نجح العلماء في تحضير أبدال الدم من مركبات كيماوية، أو من دم بعض الحيوانات أو من دم بشري انتهت فترة صلاحيته، أو تحضيره بواسطة تقنية الهندسة الوراثية، وهو موضوع هذا المقال.

ولادة الفكرة

كانت المصادفة على موعدٍ مع فريق من العلماء خلال تجاربهم المخبرية عندما لاحظوا استمرار حياة فأر غطس في محلول مركبات بيرفلورو كربون Per-flurocarbons مذاب فيه غاز الأوكسجين، فأشعل ذلك جذوة حماستهم لإيجاد بديل للدم ينوب عن كريات الدم الحمراء في توصيل الأوكسجين من الرئتين إلى خلايا الجسم، على أن يكون في صورة محلول غروي ذي جزيئات قطرها ٠.١ ميكرون كي يتمكن من المرور عبر الشعيرات الدموية إلى الخلايا الحية.

دم كيماوي

نجحت شركة ألفا اليابانية في إنتاج المركب فلوسول Flusol D A 20 للاستخدام البشري، وهو مستحلب أحد مركبات بيرفلورو كربون، ويحتوي أيضًا على إلكتروليتات وعامل مستحلب ومركب هيدروكسيدي ايائيل النشا، ويستطيع كل ١٠٠ ملليمتر من محلوله الاحتفاظ بخمسة ملليمترات من الأوكسجين عند وجود تركيز ١٠٠ منه، واكتشف الأطباء فائدة استخدام محلول فلوسول في تقليل حدوث التلف في القلب عند نقص الأوكسجين خلال عملية تقويم الأوعية الدموية للقلب جراحيًا Coronary angioplasty نتيجة صغر حجم جزيئاته وقلة لزوجته اللذين يساعدان على سرعة سريان هذا المركب عبر الأوعية الدموية الصغيرة، وأباحت القوانين الصحية في الولايات المتحدة استعماله لهذا الغرض فقط، لكن لم توافق المملكة المتحدة على ذلك، وتمتاز مركبات بيرفلورو كربون بأنها خاملة كيماويًا وتكون سوائلها ذات قدرة كبيرة على إذابة الأوكسجين فيها بشكل يتناسب مع ضغطه الجزئي، ومن عيوبها الرئيسة قدرتها على امتصاص تركيز مرتفع من هذا الغاز لدرجة قد تسبب حدوث التسمم به وعدم ذوبانه في الماء، ثم نجح العلماء حديثًا في التغلب على ذلك بعمل مستحلبات من مركبات بيرفلورو كربون، لكنها غير ثابتة التركيب، ويجب تخزينها في درجة حرارة -٢٠م، ويجب تدفئتها عند تجهيزها للاستخدام وإذابة الأوكسجين فيها، ثم إجراء اختبار تحديد الجرعة المناسبة منها حسب تحمل جسم المريض قبل أن يصبح محلولها جاهزًا لحقنه عن طريق الوريد، ومن عيوبها قصر طول فترة حياتها التي تمتد بين ٨ و ٢٤ ساعة، ويتخلص منها الجسم خلال أسبوع، وقد يسبب استخدامها حدوث مشكلات مناعية، وقد تنشّط المكمل Complement الموجود في الدم، وتنبّه تحرر مركب سيتوكينيز Cytokinases الذي يؤدي إلى ظهور تفاعلات حساسية على شكل انخفاض في ضغط الدم، ونقص في عدد كريات الدم البيضاء Leucopenia، وألم في الصدر. لقد قلل من فرص استخدام مركب الفلوسول في الإنسان عدم فعاليته في إيصال أحجام كافية من الأوكسجين للمصابين بنزيف دموي شديد لإنقاذ حياتهم، لأن الحد الأعلى للجرعات المسموح بها منها هي ٤٠ ملليمترًا لكل كيلو جرام من وزن جسم المريض، واكتشف العلماء مستحلبات بيرفلوروكربون أخرى مثل بيرفلورودايتوبروميد Prrfluroetobromide له قدرة أكبر بخمس مرات على حمل الأوكسجين من مركب الفلوسول، ويمكن تخزينه على درجة حرارة ٤م، وأثبت نجاحه في التجارب الأولية على الكلاب.


يفيد استعمال الدم الصناعي في إنقاذ حياة الجرحى خلال الحروب والكوارث الطبيعية وسواها

محاليل خضاب الدم

حُضّرت محاليل خضاب الدم من دم الأبقار بعد فصله وإزالة الملوثات السامة منه، وأجريت تنقيته بوساطة عمود تحليل الإلكروماتوجرافي لاستعماله كأحد أبدال الدم، وجرب بعض العلماء عملية استبدال محلول خضاب دم محضرٍ من الأبقار

وصلت نسبته إلى ٩٠٪ بدم الأغنام، فأظهرت الأغنام ردود فعل مناعية خفيفة ضده، ونقل البعض خضاب دم الأبقار إلى أنواع حيوانية أخرى، كالكلاب، والقطط، ولاحظوا أن تكرار إعطاء خضاب الدم من نوع حيواني إلى آخر بسبب ظهور تفاعلات فرط حساسية شديدة نتيجة ردود الفعل المناعية ضده في جسم الحيوان، وتقبل العلماء فكرة استخدام محاليل خضاب الدم كأحد أبدال الدم للإنسان بعد نجاحها في حيوانات التجارب، واحتفاظها بالمركب الذي يحمل غاز الأوكسجين من الرئتين إلى خلايا الجسم، ويساهم أيضاً في مستوى الضغط الأسموزي للدم؛ وفي البداية ساد الاعتقاد بسهولة عمليتي فصل خضاب الدم من كريات الدم الحمراء للأبقار واستخدامه للإنسان، لكن حدث تحلل للخضاب وقصور كلوي حاد في جسمه، وواجه استعمال محاليل الخضاب سرعة تحللها في تيار الدم بعد نقلها ثم خروجها مع البول، أي يكون نصف فترة حياة خضاب الدم قصيراً يراوح بين ٢ و ٤ ساعات فقط، كما يتأكسد خضاب الدم ببطء إلى مركب ميثا أيموجلوبين Me-thaemoglobin إذا لم يخزن في حالته المجمدة أو في وجود غاز الأزوت أو تحت تفريغ - من دون وجود الهواء - ويؤدي استعمال أحجام كبيرة منها إلى ظهور ردود فعل مناعية في الجسم على شكل حساسية متزايدة للإصابات الإنتانية Infection، وأنتجت الشركة الأمريكية بيو بيور Biopure، ومركزها في ولاية ماساشوسيت، مستحضراً من خضاب دم الأبقار سمته هيمو بيور Hemopure، وهو ثابت كيماوي، أي: لا يتكسر في دم الإنسان، وله قوام أخف من الدم الطبيعي فيسهل وصوله إلى أنسجة الجسم حاملاً غاز الأوكسجين، كما نجحت هذه الشركة في عمل مسحوق منه جاهز للاستعمال خلال الحروب والكوارث، وتمكنت شركة أخرى من إنتاج محلول خضاب دم سمته بولي - س ف إتش بي - Poly - S F H - P بتركيز ١٤٠ غ لكل لتر، وله قدرة جيدة على نقل الأوكسجين أكدتها تجاربه على الحيوانات المعملية، ثم استعمل في عام ١٩٨٩م أول مرة في الإنسان، ثم تكررت تجارب الأطباء على إعطاء هذا المركب عن طريق الوريد لمرضاهم بعد إجراء العمليات الجراحية، فلاحظوا ظهور تفاعلات حساسية في أجسامهم وظهور أعراض تشبه الأنفلونزا Flu Like وشعور مستعمليه بخشونة في صدورهم استمرت ساعتين من الزمن.

خضاب دم بشري

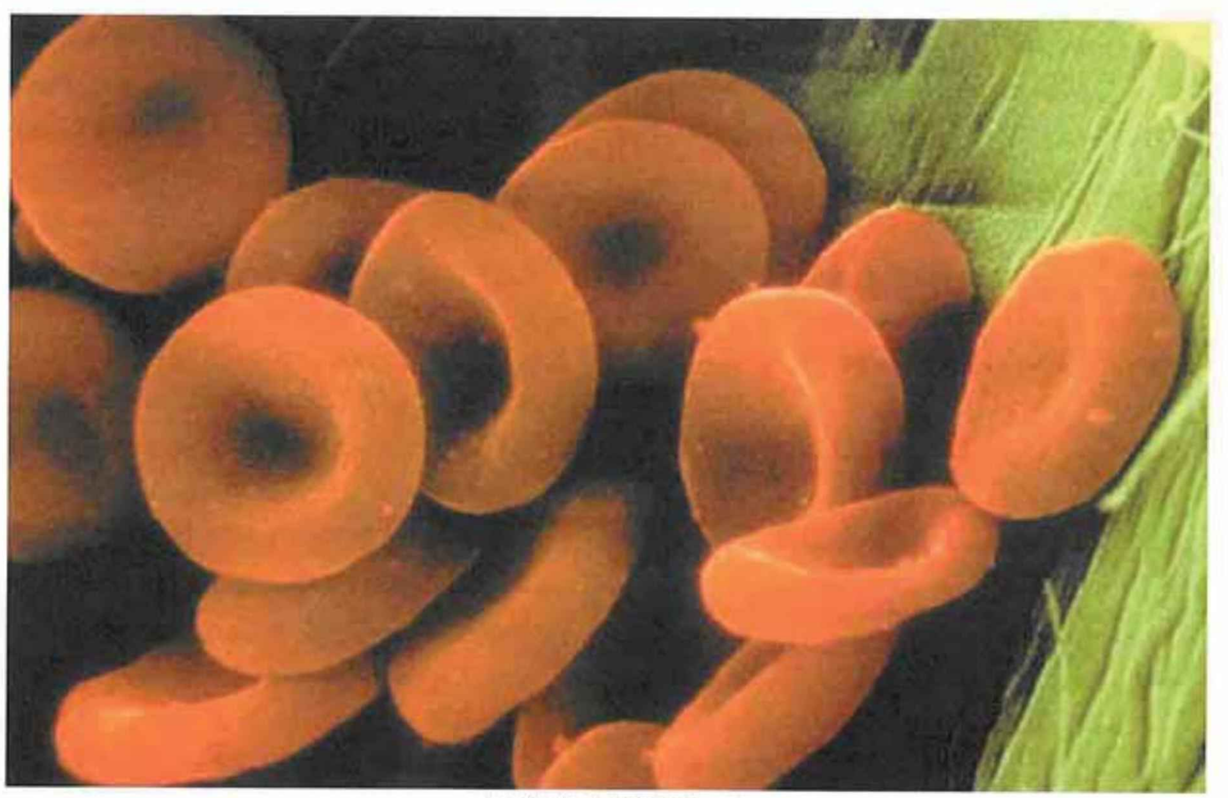
نجح فريق طبي هندي في إنتاج بديل للدم سموه I H I من دم بشري، انتهت فترة صلاحية استعماله في بنوك الدم، على شكل محلول خضاب دم نقي Stroma Free Haemoglobin ويستطيع حمل غاز الأوكسجين إلى خلايا الجسم، كما يساعد على المحافظة على حجم السوائل داخله، لكن من عيوبه إمكانية نقله العوامل المرضية الموجودة في دم المتبرع إلى جسم المصاب، كالالتهاب الكبدي من نوع ب و ج، والإيدز.

إنتاج خضاب دم في الحيوانات

فكر بعض العلماء في إنتاج خضاب دم بشري بواسطة تقنية الهندسة الوراثية داخل كريات دم بعض الحيوانات، كالخنازير فيما يسمى بالحيوانات وراثياً Transgenic animals، كي توفر هذه الطريقة أحجاماً كبيرة من محاليل خضاب الدم، لكنّ هذه الطريقة تواجه معارضة دينية شديدة من المسلمين واليهود، لأن المتبرع بالدم هو الخنزير بدل الإنسان، كما ترفضها أيضاً جمعيات الرفق بالحيوان، فضلاً عن المشكلات التقنية الخاصة بمحاليل خضاب الدم المحضرة بهذه الطريقة.

خضاب دم داخل محافظ

كما جرب العلماء تحضير خضاب دم داخل محافظ Encapsulating Haemoglobin استعملوا فيها أغشية رقيقة جداً من الدهون Liposomes لإنتاج كريات دم حمراء صناعية لا يفصل فيها



صورة مكبرة لكريات الدم الحمراء

خضاب الدم عن بيئته الطبيعية داخل كريات الدم الحمراء، وواجهتهم في عملية تشكيل محاليل ثابتة تحتوي على كبسولات Capsules بالغة الدقة في حجمها صعوبات تقنية كبيرة، وجربوا في تركيب هذه الأغلفة اتحاد الدهون مع الكربوهيدرات والكوليسترول والفوسفوليبيدات لزيادة انسجامها الحيوي فنجحوا في إنتاج مستحضر منها على شكل مسحوق من خضاب الدم يمكن تخزينه فترة طويلة، لكن هذا المستحضر لم يستعمل في التجارب السريرية على الإنسان قبل تعميم استخدامه بأمان عوضاً عن الدم الطبيعي.

خضاب دم بواسطة التقنية الوراثية

أمكن إنتاج خضاب دم بشري في كائنات حية دقيقة بشكل يشابه تقنية الحيوانات المحورة وراثياً، وأمكن بواسطة الهندسة الوراثية تعديل سلاسل جزيئات خضاب الدم - ألفا وبيتا - لتتحدا معاً على شكل مركب بوليمري رباعي Tetramer ثابت له قدرة على«حمل غاز الأوكسجين من دون تعديله كيماوياً، وأصبحت هذه الطريقة أسلوباً رائعاً في إنتاج أحد أبدال الدم، وفيها نتجنب سمية محاليل خضاب دم الأبقار، ويخطط العلماء لاستعماله في التجارب السريرية على الإنسان، وتعرّف إيجابياته وسلبياته.

استخداماته

يفيد استعمال الدم الصناعي في إنقاذ حياة الجرحى خلال الحروب والكوارث الطبيعية وسواها، وكذلك المرضى الذين تحتاج حالتهم الصحية إلى عملية نقل دم من دون الحاجة إلى اختبار زمرتهم الدموية عند وصولهم إلى قسم الطوارئ بالمستشفيات أو سواها، ويمكن استعماله أيضاً عند حدوث النوبات القلبية والسكتة الدماغية (النشبة) Stroke، ويلجأ الأطباء أحياناً قبل إجراء عملية جراحية كبيرة لمريض إلى سحب جزء من دمه واستبدال آخر من أبدال الدم به، ثم يعاد بعد

ذلك دمه الطبيعي المخزن إليه، ويستفيد أيضًا في المحافظة على الأعضاء المراد زراعتها والكبد في انتظار نقلها للمرضى، ويستفيد نقل الدم الصناعي للمرضى الذين يعانون من أمراض في الدم مثل داء التلاسيمية الكبرى Marjor thalassemia وفقر الدم غير المصنّع Aplastic anemia من دون خطر نقله عوامل مرضية لهم، ولمرضى السرطان في زيادة حجم الأوكسجين في الأورام الخبيثة قبل علاجها بالأشعة لاعتماد ردود فعل الأنسجة المريضة للأشعة العلاجية على محتواها من هذا الغاز، ويكون الدم الصناعي ناقلا غير سام للأوكسجين المذاب إلى الأنسجة التي تحتاج إليه، وحاملاً لثاني أكسيد الفحم إلى الرئتين، وله قيمة كبيرة للرياضيين الذين يبذلون جهدًا عضليًا شديدًا مثل اشتراكهم في سباق الماراثون.

مزاياه

يمتاز استخدام أبدال الدم على عمليات نقل دم طبيعي من متبرع إلى مريض، بخلّو الدم الصناعي المحضر كيماويًا أو بوساطة تقنية الهندسة الوراثية من العوامل المسببة للأمراض السارية التي تنتقل بوساطة الدم من المتبرع إلى المريض، كما قد يكون الدم الطبيعي وسيلة لحدوث أمراض خبيثة انتقالية في جسم المريض الذي نقل إليه.

ويمكن إعطاء أبدال الدم إلى أي شخص بغض النظر عن زمرته الدموية، فليس هناك ضرورة تحديد نوعها قبل استعمالها، وهي تمتاز بطول فترة فعاليتها عند تخزينها قد تستمر عدة سنوات، بينما يصلح استخدام الدم الطبيعي عدة أسابيع فقط، فضلاً عن إمكانية توافر أبدال الدم بأحجام كافية عند الحاجة إليها خاصة في الحروب وحدوث الكوارث الطبيعية وسواها..

مشكلاته الصحية

مازالت تطورات إنتاج أبدال الدم بطيئة نتيجة المشكلات الصحية التي تصاحب استخدامها في الإنسان وهي تشمل:

- عدم خلو استعمال أبدال الدم المعروفة من التأثيرات الجانبية السيئة في صحة الإنسان.
- قصر نصف فترة حياتها داخل الأوعية الدموية مما يعني قصر طول بقاء تركيبها على حالته الطبيعية داخل الجسم.
- أصبح الحد الأعلى للجرعات المسموح باستعمالها من الأبدال التي فرضتها القوانين الصحية قيودًا مفروضة عليها تحتاج إلى حلول طبية.
- قد يكون استعمال الفائض من دم الإنسان المتبرع به، خاصةً بعد انتهاء فترة صلاحيته، وكذلك دم الأبقار كمصدر لخضاب الدم سببًا في انتقال عوامل مرضية إلى المصاب.

المستقبل...؟

يأمل العلماء أن تنجح جهودهم قريبًا في التغلب على المشكلات التقنية والصحية التي تحول دون إنتاج أبدال للدم حاملة لغاز الأوكسجين يكون لها ضغط إسموزي مشابه لمصل دم الإنسان، ولها نصف حياة طويلة على درجة الغرفة وداخل الجسم، ولا تحتاج إلى فحوص سيريولوجية لدم المريض قبل استعمالها Gross matching وليس لها تأثيرات جانبية على الصحة، ورخيصة الثمن، ويسهل نقلها وتخزينها.

المراجع

1 - Anon (1990).
Cow - blood substitute. Medicine digest, 16: (3) March,12

2- Anon.(1991)
Artificial blood finds role. Middle East Health,15, (3), 29.

3- Anon. (1992)
Emergency blood supply. Middle East Health, 17,(4),35

4- Kumar, P.J. and Clark, M.L. (1991)
Clinical medicine p719. Bailliere Tindall, London, England

5- Reynolds, J.E.F., et al (eds) (1989)
Martindale - The Extra Pharmacopoeia. p. 8 18.
The Pharmaceutical Press, London, England

6- Urbaniak, S.j. (1991)
Artificial blood British Med. J., 303, 1348.

7- Verkuyl, D.A.A (1990).
How I do it, autotransfusion. Medicine, Digest16: (3), March,9

٨- د. محيي الدين لبنية (١٩٨٤م).
سؤال يبحث عنه العلماء: أبدال الدم الإنساني هل تنجح؟ المجلة العربية، العدد ٨٤، أكتوبر، ص٧٤.

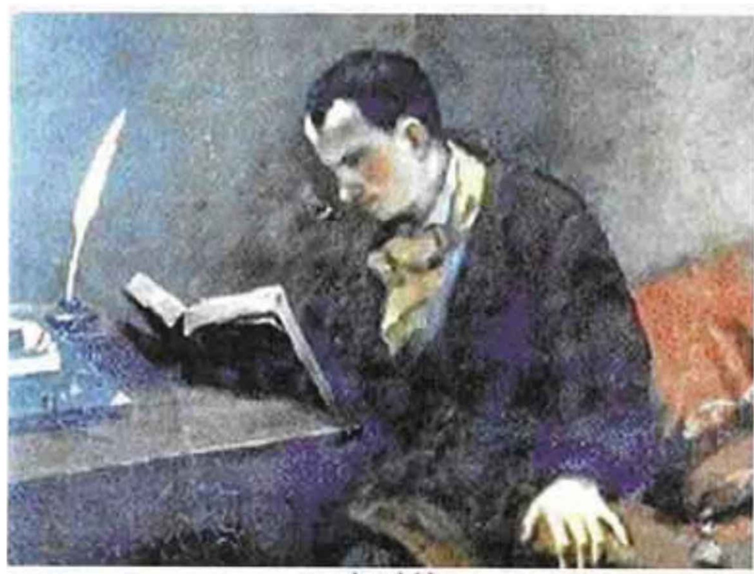


أجوبة الكتاب

ترجمة: محمد أحمد طجو
الرياض - السعودية

لقد عرف النقد الأدبي بعد لانسون Lanson حالة من الجدب، إذ استأثرت به الجامعة لنفسها. ويمكن التعرف إليه في سعة العلم الحذرة التي يشهد عليها النقد بين الحربين العالميتين. ولا يكاد يستثنى منه سوى عمل جان بريفو Jean Prevos (١٩٠١ - ١٩٤٤م)، وفي المقام الأول أطروحته: «الإبداع لدى ستندال، دراسة عن مهنة الكتابة ونفسية الكاتب» ١٩٤٢م، ودراسته عن بودلير Baudelaire ١٩٥٣م التي حررها قبيل وفاته خلال مقاومة المحتل في فيركور Vercors عام ١٩٤٣ - ١٩٤٤م.

ولأسباب شديدة الوضوح لا يقطع هذان الكتابان الروابط بين المؤلف وعمله الأدبي، ولكنهما لا يبتعدان عن مصادر المعرفة الواسعة، وإن اتضح فيهما رفض قاطع لاختزال الكاتب إلى عنصر مصادره فحسب. ويوجهان التحليل نحو دراسة أصيلة لفن الكتابة، ومشروعية مهمة الناقد بأن يتوصل إلى النتائج بطرائق لا يقدر الكاتب على ولوجها. ولأن بريفو كان روائياً أيضاً، فقد أثبت لنا هذان الكتابان أن معرفة الأدب قد تعمقت على أيدي الكتاب لا على أيدي أساتذة الجامعة. ونسارع إلى القول: إنه بينما كان النقد الجامعي يستهلك نفسه في توضيح الأعمال الأدبية بما هو خارجي عنها، كان بعض الكتاب، على العكس من ذلك، يتفقون جميعاً على قراءة تبتعد بالنص عن كل خطاب سابق، مما أسهم في التعريف الملائم للموضوع الأدبي، وهذا ما لم



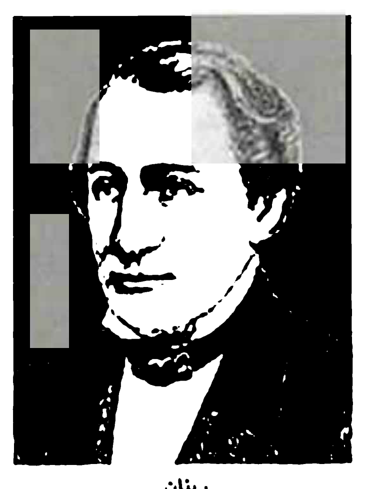
شارل بودلير

تفكر اللانسونية فيه. ولا شك أنه لم يكن مفاجئاً أن يفضي هذا الاختلاف إلى تعارض واسع بين ممارسة الشارح الذي يمحي أمام العمل الأدبي، وممارسة الكاتب الذي يرتفع إلى مستواه، بين قراءة تفسر المعنى

وخطاب يضاعفه بامتياز، والمستخلص من نقد الكُتاب هذا ـ وأتكلم على بيغي Peguy على وجه الخصوص (١٨٧٣ ـ ١٩٤١م) وبروست Proust (١٨٧١ ـ ١٩٢٢م) وفاليري Valery (١٨٧١ ـ ١٩٤٥م) وبولان Paulhan (١٨٨٤ ـ ١٩٦٨م) ـ هو أن معارضة ما قد أثبتت وجودها العنيف أو المرهف، وهو ما سمّي في مطلع القرن «المنهجية الحديثة» أي: الوضعية اللانسونية. ولا ريب أن الفكر الذي طوّره هؤلاء الكتاب هامشي جداً، فهو لم يؤثر تأثيراً سريعاً في الجامعة التي كانت منكفئة على ذاتها بقوة، ولكنه صيغ صياغة متينة تجعلنا حتى اليوم مدينين له.

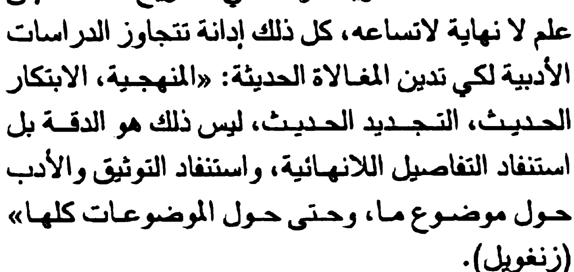
قراءة بلا تاريخ

في مطلع القرن، وفي الفترتين الأوليين من المنعطف اللانسوني، كانت تأملات بيغي، وبروست وفاليري في البداية أجوبة كتّاب: ويفهم هذا بطريقتين: الأولى: هي أجوبة لأنهم يجادلون، لأسباب متعددة؛ فقد تصدى بيغي للانسون، ومن ورائه تين Taine، ورينان Renan، وتصدى بروست ـ كما هو معروف ـ لسانت بوف Sainte - Beuve. وأما فاليري فقد تباعد بطريقة خفية وقوية بآن واحد، عن التاريخ الأدبي السائد. والثانية: أن تأملهم النقدي خاضع لمتطلبات فكر لا يهدف في البداية إلى تحديد منهجية ما.


رينان

والصعوبة هي ألا نخلط بين نظامين من التأمل الفكري. فمن ناحية، نجد جمالية أدبية حقيقية، لا يكتمل معناها إلا بالنسبة إلى العمل الأدبي الذي تحدد معالمه، ومن ناحية ثانية ـ إنها فكر تنظيري يمكن استخلاصه لذاته منذ أن يرمي بثقله على إحساسنا الأدبي. وقد حدث هذا متأخراً؛ لأن المخطوطة الناقصة بعنوان ضد سانت بوف لبروست مثلاً، لم تعرف طبعتها الأولى إلا عام ١٩٥٤م.

أما موقف المعارضة الذي اتّخذه بيغي تجاه لانسون، فلم يترك لدينا ـ في البداية ـ انطباعاً عن فكر ثاقب قد برز إلى النور، بل عن سخرية طالب من مدرسة المعلمين العليا تجاه الأستاذ الذي يبسّط التاريخ بسلسلة مترابطة من الدوافع، ظاناً أنه يفسر كل شيء: «كل شيء جاهز لديه، وهو العارف بكل أمر، وكل شيء معلوم عنده. إذا كان (هذا) قد كتب مسرحية إيفيجيني Iphigenie فما ذلك إلا لأنه كان حفيد أخ (أو أخت) لعم أو لخال (ذاك) الذي أعد مخططاً لها، وقد وجد هذا المخطط بين أوراق صهره» (المال ملحق، ١٩١٣م). كما أن مكونات المعركة الإيديولوجية ضد «الحزب الثقافي» التي خاضتها جامعة السوربون المؤيدة للسلطة الحاكمة قد أضرت بمواقفها النقدية زمناً طويلاً. ويصعب أحياناً فصل الموقف التنظيري عن السياسي أو اللاهوتي. ومنذ عام ١٩٠٤م، كان موقف بيغي يقوم، حين كتب زنغويل، وهو مدخل لدراسة حررها إسرائيل زنغويل Israel Zangwill، وفيما بعد في كتابيه «المال» و«المال ملحق» (١٩١٣م)، كان يقوم على رفض إيديولوجيا تقدمية، لأن العالم الحديث لا يعترف بقيمتها، أو بقيمة مقاربة نقدية مقتبسة من العلوم اقتباساً مباشراً، ولا يعترف بتلك العلموية الموغلة في التاريخ المستندة إلى



علم لا نهاية لاتساعه، كل ذلك إدانة تتجاوز الدراسات الأدبية لكي تدين المغالاة الحديثة: «المنهجية، الابتكار الحديث، التجديد الحديث، ليس ذلك هو الدقة بل استنفاد التفاصيل اللانهائية، واستنفاد التوثيق والأدب حول موضوع ما، وحتى حول الموضوعات كلها» (زنغويل).

ويرى بيغي أن هذه الفوضى المتراكمة لا تختلف عن عبادة وثنية لعلم لا نهاية له في المعرفة، علم سوف يستبدل الإنسانية بالإله. أما تين ورينان فهما في رأيه أبوان لعالم جديد تنتمي خطيئته إلى الطموح في معرفة لا حدود لها ـ ولم يملّ بيغي من السخرية بهما.

إن الفكر الحديث ـ باهتمامه ـ المبالغ باللانهائي الذي

الإرهاب الذي تدينه أزهار تارب اتجاه يرى في اللغة وسيلة لقمع الفكر، بينما ينبغي له أن يتبوأ الصدارة، متحرراً من القوانين والقواعد

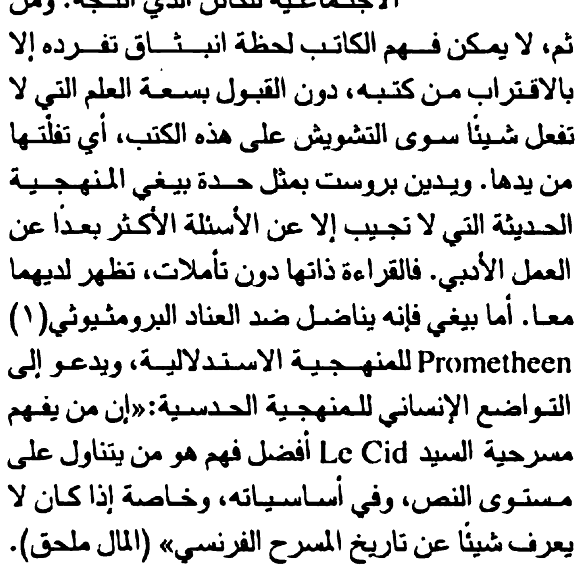
يصيب الدراسات الأدبية خاصة - يقلّد الإله الذي طرده من التاريخ. لكن هذه المعرفة التي لا حدود لها تفوّت النص؛ لأنها لا تفعل شيئًا سوى الدوران حوله - وهذا ما يدعوه بيغي هازئًا في زنغويل: «منهجية الحزام الواسع». كان بيغي يرمي إلى شيء أبعد من إدانته لعلموية رينان وحتمية تين - إذا كانت فرنسا تفسر لافونتين La Fontaine فليس الفرنسيون جميعًا لافونتين. ويعيد تفرد الكاتب ضمن التاريخ: ليست عبقرية الكاتب ناتجة من زمنه أو بيئته، وإذا جمع حياة معاصريه ولخصها في عمله الأدبي فما ذلك إلا لكي يتخلص منهم، ويبعدهم عن حياته الفردية المستقلة. إن الزمانية بالنسبة إلى بيغي، لا تهتم كثيراً بصيغة التطور، بل بمحتواه الذي يتجاوز الخط المرسوم، ويحدث تجدداً جذرياً في النظرة إلى العالم. ولكن عبقرية الكاتب مرتبطة أيضاً بالطفولة التي تتميز من سن الرشد التي لا يعيها، والتي يستطيع بفضلها الكاتب رؤية العالم في نضارته. هذا الاختلاف الوطيد للعبقري هو بالضبط ما يميزه ممن سبقوه، ومعرفتهم - بعد ذلك - لا يمكنها أن تفسره أبداً. ولأنه أول فلا ذاكرة له، ولأنه أصيل فليس مدينا بجدته لأحد. إن العبقري يفلت من التاريخ: «يكفي أن تتوقف هذه الحركة الدائبة فترة من الوقت، ولو للحظة واحدة، لكي يظهر فوراً من نافذة هذا الوقت، ومن شقّ تلك اللحظة، ذلك العبقري. فالرجل والعمل العبقري يبزغان متراصين «حوار التاريخ والروح والجسد» نشر بعد وفاته، هذا الخروج



لافونتين

من التاريخ يقصي اللانسونية، وغالبًا ما انضم إليه بروست في نصين أساسيين: «عن القراءة» عام (١٩٠٥م)، وأعاده لاحقًا بعنوان «أيام قراءة»، وضد سانت بوف الذي شغل به بلا ريب من عام ١٩٠٧ إلى عام ١٩٠٩م.

وإن رفض بروست استيراد المنهجية العلمية من التاريخ الأدبي، فذلك لأن الأدب - خلافًا للعلم - ليس تراكمًا، ولا يمكن تفسير العمل الأدبي بالأثر الدائم الملموس، ومن ثم ملاحظة ما ترسب فيه مما سبقه؛ لأن أي نص عظيم لا يرقى بحقيقة استمدها من سابقيه: «المطلوب من الكاتب العبقري اليوم أن ينجز كل شيء». وتكرار كلمة عبقري نفسها تلك التي تحدد لدى بيغي الاختلاف بين الكاتب والإنسان العادي ليس عبثًا، وإن كانت هذه الازدواجية تتخذ بُعداً مختلفًا في التأكيد الشهير الذي صاغه في «ضد سانت بوف»: «الكتاب إنتاج شخصي، (أنا) آخر مختلف عما نظهره نحن في عاداتنا ومجتمعنا وخطايانا». ونجد في الحالتين الإدانة ذاتها لكل رجعة تفسيرية للنص بالحتميات الثقافية أو الاجتماعية للكائن الذي أنتجه. ومن



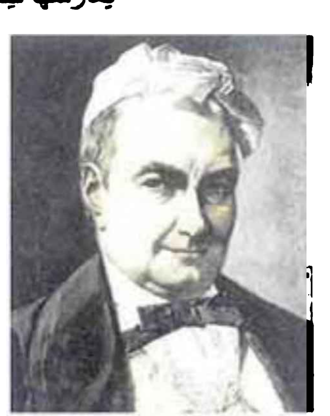
ثم، لا يمكن فهم الكاتب لحظة انبثاق تفرده إلا بالاقتراب من كتبه، دون القبول بسعة العلم التي لا تفعل شيئًا سوى التشويش على هذه الكتب، أي تفلتها من يدها. ويدين بروست بمثل حدة بيغي المنهجية الحديثة التي لا تجيب إلا عن الأسئلة الأكثر بعداً عن العمل الأدبي. فالقراءة ذاتها دون تأملات، تظهر لديهما معا. أما بيغي فإنه يناضل ضد العناد البرومثيوثي(١) Prometheen للمنهجية الاستدلالية، ويدعو إلى التواضع الإنساني للمنهجية الحدسية: «إن من يفهم مسرحية السيد Le Cid أفضل فهم هو من يتناول على مستوى النص، وفي أساسياته، وخاصة إذا كان لا يعرف شيئًا عن تاريخ المسرح الفرنسي» (المال ملحق).

وإن كان هذا الفهم المباشر يفترض الدخول إلى العمل الأدبي، فذلك لأنه يعدّ القراءة إبداعًا، وغير موجهة بفكرة سابقة، ولا برغبة في التعلم (أي بتراكم المعرفة)، ولا بالرغبة في استقبال معنى ما، ولكن بالطموح إلى مجاراة هذا العمل، ثم الإضافة عليه. ويعني الدخول إلى النص التعاون مع مؤلفه. ولا شك أن المعادلة لن تكون جديدة إذا كانت هذه القراءة المبدعة للمعنى، والتي تفلت مما يريد المؤلف قوله، تلتزم مسؤولية خاصة هي مسؤولية من يعمد إليها بتبعاتها الثقيلة، وهي أن القراءة الجيدة تتوج العمل الأدبي، والقراءة السيئة، على العكس منها، تنزع عنه تاجه.

وهذه المجازفة الحاضرة دومًا، ترمي في مستقبل مجهول النص «الذي لا يزال مفتوحًا على إضافات لاحقة؛ وذلك لأنه حتى «القراءات الجيدة تقضي ولا تنقضي» (كليو Clio، نشر بعد وفاته).

لا خلط بين الكتاب والحياة

لدينا هاهنا - إجمالاً - احترام للنص الذي تهدمه القراءة السيئة، وعدمُ التقديس لهذا النص بصفته غرضًا يتوجب على القارئ اللانسوني أن يمّحي أمامه. إن التحول الحاصل لدى بروست، والذي كان يثقل كاهله، هو رفضه لعبادة وثنية تخلط بين الكتاب والحياة، باحثة في الأول عن صورة الثاني. وهو الرفض أيضًا، لرؤية القارئ معجبًا بوثن جامد يعبده لذاته، وذلك لأن النص كائن حي، والقراءة الذاتية التي يتطلبها من كل منا - بعيدًا عن التفكير بالمعنى المشترك - ترحب بلذّة الحرية المطلقة، كنوع من التملك البهيج للنص، نأخذه أو نتركه، طبقًا لما نحسه من احتياج: «تحرّر الكتب الجميلة بلغة شبيهة باللغة الأجنبية، وتحت كل كلمة يسطر كلٌّ منّا معناه الخاص به، أو على الأقل، صورته التي غالبًا ما تكون معنى معاكسًا. ولكن في الكتب الجميلة كل المعاني المعاكسة التي نصوغها جميلة أيضًا» (ضد سانت بوف). هذه الفسحة الممنوحة للقارئ بكل أريحية لكي تدفعه بحثًا عن معنى ما، قد يكون صادقًا أو قريبًا مما أراده الكاتب، تدل على السماحة المتبادلة بين من يقرأ ومن يكتب. وتجعلنا نستخدم القراءة أفضل استخدام لتكون مقدمة للإبداع، وعكسها القراءة السيّئة الباحثة عن المعرفة. أما فيما يخص المعرفة فإن صورة الأديب أو القارئ الذكيّ هي التي استنكرها بروست في مقدمة لـ «ضد سانت بوف»: «يومًا بعد يوم أولي الذكاء أهمية أقل». ولعل العقول النابهة والكتّاب أنفسهم يمارسون مثل هذه القراءة التي تجسد موقفًا سلبيًا يجمع ويحفظ ما يقرؤونه. وهذا ما يدينه بروست حين يعرف القراءة المعاكسة، أي القراءة الإيجابية التي سينتهزها من يمارسها ليعكف على ذاته عكوفًا خصبًا، أو تكون دافعًا للقارئ، ومحرضًا له لتزداد قوة. فلا يمكن استخلاص أي حقيقة من النص سوى الإبداع انطلاقًا منه فقط. وذلك بالغوص الفعال على الذات في أثناء الوحدة، حينما تكون الأنا العميقة للقارئ في مواجهة الأنا العميقة للكاتب: «تقف بنا القراءة على مشارف الحياة الزوجية، وبإمكانها العبور إليها، ولكنها لا تشكّلها» عن «القراءة»، (١٩٠٥م). سوف ينشأ ضرب من التواصل المحتمل أو الحقيقي بين القراءة والكتابة، فمعرفة القراءة هي معرفة بالكتابة. ويؤكد بروست هذا التناظر دون تردد، إذ إن الكاتب يقرأ أفضل من الرجل العادي. وهذا الانتقال الدائم من ممارسة إلى أخرى تبينه لنا الاقتباسات (١٩١٩م). إذ تبين أولاً معنى الجملة التي تتجلى من كتاب إلى آخر: التبدلات الموسيقية التي يعدها التوقيع الثابت للمؤلف، كما يظهره التحليل البديع الذي قام به في الحديث عن أسلوب فلوبير (١٩٢٠م). ومجمل هذا النقد ليس سوى انشغاله بما سوف يُدعى «الأدبية». يقول بروست في الزمن المستعاد، وبعد مدة طويلة: «الحقيقة أن كل قارئ حين يقرأ، يقرأ ذاته». وليس الكتاب سوى الموضع لتجربة ذاتية فريدة وبطريقة ما، لا ينبغي لنا أن نقرأ إلا لنغدو أفضل مما كنا عليه.


سانت بوف

إن الانقلاب الذي أحدثه كل من بيغي وبروست ضد

النقد في زمانهما، يظهر أن القراءة لا تتوجه نحو ماضي من يكتب، بل على العكس، نحو مستقبل من يقرأ. وقد بدأ هذا التغيير بداية مثالية منذ كتاب «ضد سانت بوف»، ومنذ أن بدأ بروست عمله في البحث عن الزمن الضائع.

الشعرية

نجد لدى فاليري تناظراً متجاوزاً بين القراءة والكتابة. ومثل هذا الاختيار يعترف بالمقاربة الفردية للعمل الأدبي، التي لا يشوبها شيء خارجي عنها. كما يعترف بإعادة تقويم للقارئ في مواجهة النص. وهذا سبب حذره الدائم تجاه الخطاب النقدي، لأنه تحت ستار الحصول على المعرفة قد يحدث العكس فيفقد الحرية، ويحد من قدرة القارئ.

بين الحربين العالميتين، لم تكن هذه التأملات حول القراءة التي احتوتها الدفاتر غير المنشورة بعد ـ مرتبطة باسم فاليري. بل اقترن اسمه بـ «الشعرية» التي أعادها إلى ميدان الدراسات الأدبية، وعلّمها في الكوليج دو فرانس من عام ١٩٣٧ حتى عام ١٩٤٥م. وهي إعادة تعريف للأدب.

بروست

إذا شئنا أن نضفي على الشعرية المعنى الأولي الذي أراد أن يمنحها إياه فاليري، فينبغي أن نفصلها عن التراث القديم الذي لا يعرف فيها سوى مجموعة من الوصفات، وأن نحيلها ببساطة إلى أصلها الاشتقاقي من فعل Faire، لا لنؤكد أن النص يُكتب بطريقة سلبية، بل لأنه، وفي المقام الأول، من فعل الفكر ـ وأكثر من ذلك من الفكر إلى العمل. وقد ركز فاليري في متطلبات الشكل الذي رفضه معارضوه أشد الرفض. والشيء الأساسي، هو أنه قد عكس الاتجاه بطريقة معلنة، إذ فضل هذا «العمل» على العمل الأدبي الجاهز.

لا يتعلق الأمر بادئ ذي بدء، إلا بشعرية محدودة لأنها خاصة، وتتجاذبها المتطلبات الفردية لكاتب يوجه الأدب نحو العملية التي تغذيه، ولكنها مؤسسة مع ذلك على التأكيد ـ العام هذه المرة ـ أن: «الأدب ليس سوى شيء واحد هو التوسع والتطبيق لبعض خصائص

بينما كان النقد الجامعي يستهلك نفسه في توضيح الأعمال الأدبية بما هو خارجي عنها، كان بعض الكتاب، على العكس من ذلك، يتفقون جميعًا على قراءة تبتعد بالنص عن كل خطاب سابق

اللغة». وهذا التعريف مهم في ذاته، لأنه يجعل من النص موضوع اللغة، ولأنه يرتسم ضمن محاضرة مبرمجة منذ عام ١٩٣٧م ـ «تدريس الشعرية في الكوليج دو فرانس» (منوعات ٥) إذ يعلن في الوقت نفسه عن مقاربة جديدة للمؤلفات الأدبية. وتتكرر الكلمة نفسها حين يسمح الشاعر من خلالها ـ لنفسه أولاً ـ بتكوين مقطوعة شعرية يراها أغلى من الشعر المكتمل، ولكنها أمام جمهور الكوليج دو فرانس تعني القيام من الآن فصاعداً، بتجربة ذات خصوصية، والالتزام ـ ضمن شعرية يمكن تسميتها بالتعميمية ـ بمقصد واسع لنظرية أدبية ترمي إلى العام، ويكون موضوعها محاكمة الإبداع بدلاً من العمل المبدع: وهذا نسق علمي جديد تتضافر فيه أسئلة ثلاثة تتعلق بطبيعته، وبمقصده الذي يرمي إليه، وبهوية من يقوم به. وما إن توجهت الأنظار إلى داخل النصوص، حتى أصبح من الواضح أن الشعرية باتت منفصلة انفصالاً تاما عن التاريخ الأدبي، وقد رمت عن عاتقها ما هو خارج عن النصوص منذ «الدرس الأول في الشعرية» (منوعات ٥). فالدراسة التي يراها فاليري «سيكون موضوعها تحديد البحث عن المؤثرات الأدبية الخالصة للغة وتطويره، وتفحص الإبداعات المعبرة والإيحائية التي صيغت لتدعيم سلطة القول وتأثيره، والبحث عن المعوقات التي تُفرض أحياناً، قصد التمييز بين لغة التخييل، ولغة الاستعمال... إلخ» (تدريس الشعرية). إنها عبارة حاسمة، لأنها تركز في العملية الإبداعية

مثلما تركز في اللغة الأدبية، وعلى المكانة المعترف بها لمن يكتب ولمن يقرأ، وتركز عموماً في أدبية النص ذاته: إن هذا البرنامج الذي يعلن عن نفسه، وهذه المقاربة يبدوان لنا متقاربين من التحليل الموسع للأشكال الأدبية الذي نقوم به اليوم وندعوه بحق: الشعرية.

ولكن حين يفتح فاليري مثل هذه الدراسة على المؤلفات كلها، لا على مؤلفاته الخاصة، فإنه يحدد دارس الشعر بوصفه قارئاً، ولكنه دارس يبدأ انطلاقاً من تجربة في الإبداع - هي تجربته - تبعده كل البعد عن القارئ العادي. فيصبح قارئاً مزدوج الرؤية، ومن ثم قادراً على تحليل النصوص من وجهة الإبداع ومن مؤثراته، ويكون بذلك شاهداً على عملية إبداع مزدوجة (الكتابة والقراءة). ولا يمكن لهذا النسق العلمي المقترح أن يكون سوى «شعرية المؤلف»، لأنه قائم على تطوير معرفة يمكن أن يتلقاها الآخرون، ولكنها في الوقت نفسه، تحمل الطابع الخاص للكاتب الذي ينشرها. إنه الغموض العميق لشعرية تحددت في الكوليج دو فرانس، وترمي إلى أن تكون نسقاً علمياً عاماً، ولكنها بدت - في الوقت ذاته - استمرارية خالصة للشعرية الفردية التي احتوتها الدفاتر.

لا ينبغي أن نتذرع برفض فاليري للسيرة، وإدانته دون تردد، لأي علاقة وحيدة الاتجاه بين العمل وكاتبه، لكي نجعل منه سلفاً المنظّر لما سوف يدعوه بارت «موت المؤلف» (١٩٦٨م). ولا ريب أن الكثير من العبارات تؤدي بشكل عجول، إلى قراءة مشابهة مثالها «ما الذي يجعلنا نعرف الصانع الحقيقي للعمل الأدبي الجميل؟ المؤكد أنه لا أحد يصنعه («فيما يخص أدونيس» - منوعات). وإن صح أن فاليري ينزع القدامة عن الكاتب فإنه لا يلغيها، ويهبط به من حضوره كخالق إلى ممارسة كتابة تصعب معايشتها في ازدهارها، وضعفها، ومصادفاتها، وفي خلوتها وتوبتها. ولا ريب أن الفرد يختفي، ويختفي موكب مؤثراته السيرية معه، ولكنه يحتفظ بالأثر الخفي لـ (أنا) نتلقاها في «صوت النص» خاصة. ويأتي فاليري بمثال يذكره في محاضرة عام ١٩٢٨م: «الفن هو فعل توكيد لحضور شخص ما». وعلى الرغم من أن الشعرية تتمسك بنمط تحليلي يمكن تعميمه، إلا أنها لا تسعى أبداً إلى إلغاء هذا المعيار الفردي.

وينجم عن موازنة الكاتب هذه سؤال واسع عن الخطاب المقول حول الأدب. ويبدي فاليري غالباً لا مبالاته - إن لم نقل كراهيته - لأي شكل من أشكال النقد، لأن هذه الخطابات النقدية تحول بين الكتاب والقارئ الذي ينبغي له أن يقيم صلة خالية من كل تدخل أجنبي عنها. كما لا يقيم وزناً - من ناحية ثانية - لأي ممارسة تعالج النص بعيداً عن حركة الكتابة/ القراءة التي تبعث وحدها الحياة فيه. وهو يدين إدانة قاطعة شرح النص الذي يعزل العناصر، ويقطع أوصال النص الجامد، على العكس من الكتابة التي تجمع هذه العناصر لتحدث تأثيراً عاماً. وتبعات ذلك مهمة جداً، لأنه حين يؤكد بجلاء أن «أي نقد لا يقدم حصيلة محددة، لا جدوى منه» (الدفاتر، ملاحظة عام ١٩٢٠م)، فإنه يدين التعليق لأن موضوعه «من جهة الكاتب» ليس سوى التحليل لممارسة الكتابة، أو لأنه يتألف «من جهة القارئ» من تأمل فردي لا ينتمي إلى النقد، بل يغدو «أدباً يكون موضوعه المفروض الأدب ذاته».

> تحرّر الكتب الجميلة بلغة شبيهة باللغة الأجنبية، وتحت كل كلمة يسطر كلٌ منّا معناه الخاص به، أو على الأقل، صورته التي غالباً ما تكون معنى معاكساً

من الواضح أن شعرية فاليري لا تقيم وزناً للتعليق النقدي الذي يساعد على القراءة أكثر مما يساعد على الكتابة، وتلتزم عمل النص المحدد بوصفه موضوعاً للغة، مفضلة المصادر الأدبية الخاصة التي تثبت وجودها. فهذه الشعرية تعمل باتجاه معاكس لعمل الجامعة، ولم يكن لها فيها تأثير مباشر، ويكفينا مثال

واحد على ذلك: حينما خلف جان بوميه Jean Pommier (١٨٩٣ - ١٩٧٣م) فاليري في الكوليج دو فرانس، تبدل اسم الكرسي بطريقة ذات دلالة، فأصبح: «تاريخ الإبداعات الأدبية في فرنسا» كما أن بوميه قد أجهد نفسه في «الدرس الافتتاحي» لكي يعيد إلى تاريخ الأدب، والدراسات السيرية، والبحث عن المصادر شرعيتها. وأما التجديد الذي سعى إليه فاليري، وكذلك خصوبة ميراثه، فكان من الواجب انتظار «النقد الجديد» لكي يجدا صداهما المدوي.

البلاغة

إن الاهتمام بفهم النص بوصفه موضوعًا للغة، هو الذي قرب بين الحربين، وبشكل استثنائي - بين جان بولان وفاليري. ونجد ها هنا أيضًا، تأملات كاتب، لا لأن بولان ومنذ عام ١٩١٧م، هو مؤلف عدة قصص، بل لسبب أعمق هو أن تحليلاته تميل إلى تحديد العلاقات القائمة بين الأدب والفكر واللغة، تحليلاً دقيقًا، بعيدا عن المقاربة الظرفية الضيقة. ومنذ عام ١٩٢٥م حينما تسلم إدارة المجلة الفرنسية الجديدة NRF بعد ريفيير Riviere، أرسى الأسس الأولية لما سوف يغدو أزهار تارب Les Fleurs de Tarbes التي ظهر جزؤها الأول عام ١٩٤١م تحت عنوان «الإرهاب في الآداب». ولأسباب تصعب معرفتها، لم تقيض له كتابة المجلد الثاني الذي كان مخصصًا لمعالجة البلاغة، ولكن فكر بولان استمر قليلاً، في مقالات مختصرة، أو أعمال صغيرة حول اللغة والنقد، في مسيرة خاصة ومحيرة أحيانًا، تنتقل من كتاب إلى آخر، ويصعب اختصارها إلى تقدم متماسك.

نقد، بلاغة، إرهاب - هذه الكلمات الثلاث وحدها، ترسم الخطوط العريضة للمهمة التي اختص بها بولان، وليس لها هدف علمي حاسم، ولا تبتعد فيها النظرية عن إمكانية التطبيق العملي الذي يشير إليه، مثلاً، منذ عنوان الفصل الأول من مقدمة موجزة لكل نقد (١٩٥١م) نراه يقول: «لقد أضاع النقد ساعته» لأن الأمر يدور حول خطأ التقويم الأدبي الذي ينبغي تقويم اعوجاجه من ناحيتين: من ناحية الكتاب أنفسهم، وذلك بإزالة هذه البلبلة التي يشيعونها حين يتحدثون بتحيز عن السر الخفي في الشعر والآداب، لأنه إذا كان الأدب تحولاً للغة، فينبغي تحليل هذا التحول، كما بينه مفتاح الشعر (١٩٤٤م). ومن ناحية النقاد بإحكام الدراسة حول العمل الأدبي ذاته، على حين أنه منذ «سانت بوف» تنصب أحكام التقويم على الكاتب أكثر من العمل الأدبي، وتقومه بوصفه إنسانًا أكثر من كونه كاتبًا». ويتحدد أفق تأمله تمامًا حينما يؤكد أن أي نص أدبي يقدم «نقطة اكتمال» يمكن تحديدها بدقة، ومعرفتها في آن معًا حتى يتم تثمين العمل، وأنه لا ينبغي التعسف في استخدام مصطلح النقد، فليس المطلوب منه إصدار الأحكام على المؤلفات التي تكتب عن نفسها، بل ترسيم فكرة دقيقة، وحاسمة عن الأدبي، وتدوين قائمة بمصطلحات الآداب: «حيث تتجمع مختلف الآراء المطروحة عبر الأزمنة حول الأدب، وتصنف، وتوازن، ومن الممكن إصدار الأحكام على صحتها قدر المستطاع» («رسالة إلى موريس نادو» Maurice Nadeau، ١٩٥١م).

> القراءة لا تتوجه نحو ماضي من يكتب، بل على العكس، نحو مستقبل من يقرأ

أما فيما يخص الإرهاب والبلاغة فهما القطبان اللذان أبرزهما بولان في مقاربة الأعمال الأدبية ومقاربة المؤلفين، منذ القرن التاسع عشر. وهما مفهومان مختلفان عن الأدب. والإرهاب الذي تدينه أزهار تارب اتجاه يرى في اللغة وسيلة لقمع الفكر، بينما ينبغي له أن يتبوأ الصدارة، متحررًا من القوانين والقواعد. وأما البلاغة فهي على العكس من ذلك مدرسة يكتمل فيها النص باحترامه للمعايير والقوانين التي تسبق اللغة وتتحكم في توجيه الفكر.

فالبلاغة تخشى أن تخون اللغة، ويخشى الإرهاب أن يخون الفكر، وبذلك يكون الإرهاب في المقام الأول - هذه العقبة التي وضعها الكتّاب لأنفسهم، وهي اللجوء إلى المألوف والمسبوكات Cliches، وإلى ما

تفرضه اللغة من قوانين، لأن الإرهابي يعتقد أن أصالة الفكر مثل تفرّد التعبير، ينبغي لهما أن يسيطرا على الكلمات، وهما لا يتركانها طليقة تفرض عليهما ما قد تحتويه من شائع ومتواضع عليه. ولذلك: «فإن التعريف الأكثر بساطة الذي يمكن إطلاقه على الإرهاب هو أنه ضد التفكير» (أزهار تارب)، لا لأنه عدو اللغة التي يفترض لجوؤها المباشر والكثير إلى الاشتقاق، والتي يعدّها متهمة فيحذر من السلطة التي قد تمارسها الكلمة عليه خشية أن يستسلم للفظية، فيفضل الفكر المتطلع إلى الأصالة. وهذه هي المسيرة التي يحللها بولان - من الرومانتيكية التي اعترضت على البلاغة لأنها تحولت إلى صور ومخططات جامدة، وأنقصت من وجود الذات - حتى السريالية.

لقد صرف بولان اهتمامه زمناً طويلاً إلى الابتكار في الأشكال الشعائرية، كما ظهر في دراساته عن الأمثال الملغاشية. فأثبت أن مصادر الأدب الحقيقية تعتمد على إجراءات مقننة تحمل مؤثرات لا تقل قوة عن أي ابتكار طليق. ولا يتجاهل القيمة التي يضفيها الأدب الحديث على الإبداعات الشفوية، ولكنه يشير إلى أن الأدب إذ يتوهم عند اتباعه لأي صيغة سابقة، فإنما يتبع - وبصورة لا شعورية - حقائق لغوية. ويزعم الكاتب الحديث مخطئاً أنه يهدف سلفاً إلى الأصيل أو الجديد، إلا أنه يستعيد عن غير رضى، وبكل بساطة، تلك الأفكار الشائعة فيجددها، مسترسلاً مع وهم التفرد والإبداع.

هذا الانقلاب الذي أحدثه بولان، هدفه تبيان أن الأدب يتعامل مع ملكية مشاع، وأن الكاتب - سراً أو علانية - لا يفعل شيئاً سوى اتباع هذا القانون الذي يسميه البلاغة. ويشير في الوقت نفسه - إلى أن مقارباتنا المتباينة للأدب تتضح إذا نسبناها إلى مفهوم اللغة الذي كان أول من شكل تلك المقاربات. إن تحليل ما يعتمل في الأدب لا يكتمل إلا بالرجوع إلى الرصيد اللغوي المشاع: إلى معاييره وما ينجم عن اتباعها. ولئن كان اهتمام بولان الذي انصرف إلى المعايير قد أدى به إلى إعادة تقويم البلاغة وأسسها إن طموحه الظاهر لم يرق إلى مستوى إقامة علم للأدب، وهذا ما سوف تحاوله البنيوية - ولكنه اقترح توجهاً حقيقياً إليه.

لقد احتوت أزهار تاب على خاتمة محيّرة بعض الشيء، ونتبين فيما بعد في «ثلاث صفحات من التفسير» (١٩٤٥م) أن فكر بولان يتلخص في محاولته معرفة: «فيما إذا كانت توجد روابط ثابتة، أو بالأحرى، قوانين تربط المفردات بالمعاني، واللغة الخام بالفكر، ويستخدمها الأدب أوسع استخدام». وهذا هو مشروع «البلاغة الجديدة» الذي لن يكتبه بولان، ولا تعبر عنه بجلاء كتيباته المتفرقة اللاحقة: إنها البلاغة المعمّمة - إذا صحت العبارة - تلك التي تُدخل الجزئي في الكلي، وخاصة المواقع الإرهابية في الوقت نفسه. وهذه مقاربة شاملة للأدب، تبين بوضوح روابط اللغة بالفكر. ولا ريب أن النقطة الغامضة في تأملاته نجدها في الانتقال الذي لا ندركه، بين البلاغة المتجددة التي يسعى إليها، وقدرة النقد على استخدامها في مسلكه الجديد، واستعادة ذاته أيضاً، لأن لها «نظاماً يجب اتباعه»، وسلطة ضائعة.

إن هذا الميل إلى النظام النقدي في مظهريه، هو ما يميز بولان، كما يميز بيغي وبروست وفاليري أيضاً. ولا ريب أنه لا يهتم بالتعليق الحريص على شرح المؤلفات كي يفهمها فهماً أوفى - كما تفعل الجامعة - بل يتباعد عنها، مفرقاً بين الكتابة والقراءة.

لقد لبث هذا الفكر التركيبي اللماح هامشياً إجمالاً، وذلك على الرغم من السلطة المؤسساتية التي مارسها بولان في مجال الآداب. ولم يتردد صداه إلا في سنوات الستينيات حينما ظهر الاهتمام بالبلاغة، والبرهنة والعقلية.

بقي أن نقول إن هذا الفكر الذي يخالف النقد الجامعي الذي عرفنا انحيازه إلى جهة التاريخ، ويخالف الخطاب المشترك للكتّاب والنقاد حول الأدب، يوجّه نقده المنهجي إلى الإيديولوجيا الحديثة، ويبدي رغبة عارمة وغامضة أحياناً - في تبديد الأوهام التي رأى أنها ترافقها.

ينبوع حكايات الأطفال

الخيال العربي في التراث

نزار نجار
حماة - سورية

الخيال رفيق الإنسان.. وعلى ذلك فالإنسان كائن خيالي، فمنذ خلقه الله، وجد فوق هذه البسيطة رافقه الخيال. وحكاية الإنسان الطويلة هي نفسها حكاية الخيال..

والإنسان لايكفّ عن التخيّل، ولايكفّ عن استحضار صور لم يسبق له إدراكها من قبل إدراكاً حسّيًا، إنه قادر - دائمًا - على تأليف صور ذهنية تحاكي ظواهر كثيرة مختلفة، وهي في الوقت ذاته لاتعبّر عن ظاهرة حقيقية، ولاتعبّرعن صور تذكّرية.

والإنسان - أيضاً - في خياله، يختار وينظم ويرتّب، ويؤوّل حتى يصل إلى الصورة الجديدة، خياله مرتبط بالماضي، متعلّق بالخبرات التي مرّت، والخبرات التي ستمر، خياله بلاحدود، لا أطّر له، ولا حواجز، وعملية التخيل هذه لها أثر كبير في صياغة الأفكار، وظهور المخترعات والمكتشفات، والأنظمة والنتاجات الإبداعية الإنسانية (من أدب وعلم وفن) ..



الخيال العربي وتوق إلى الطيران

وهناك من يستخدم مصطلح الخيال استخداماً مضلّلاً، وهناك كثيرون من الناس اعتادوا استخدام الخيال في حياتهم الاعتيادية تعبيراً عن الإثارة أو الإيهام أو الأحلام أو التفكير الهامس، أو التذكّر.. والخيال - هنا -

هو ذلك كلّه، الخيال أكبر من الابتكار، وهو صفة إنسانية، مكّنت الإنسان من أن ينجز إبداعاته المختلفة في ميادين الحياة، ولولاه ، لولا الخيال لكانت الإنسانية في وضع آخر يصعب علينا تخيّله .. والإنسان من خلال تخيله لأمور أفضل وسعية الحثيث إلى إنجازها، استطاع أن يواصل نهوضه وتقدّمه باستمرار..

الأطفال بين الخيال والواقع

الأطفال خياليون ويختلقون كل يوم وقائع، ويصوغون أحداثاً ومواقف، يبالغون فيها حتى يلتبس عليهم الخيال بالواقع، ويجيء الكبار ويصفونهم بأنّهم «يكذبون» ثمّ يبرّئون ساحتهم ويقولون : إنّ كذبهم أبيض ..

الأطفال يدسون أخيلتهم في كل شيء ، في تصرّفاتهم وفي أفكارهم وفي ألعابهم وفي آمالهم، والطفل بين سن الثالثة والخامسة يتمتّع بخيال حادّ، تؤطّره بيئته التي يحيا فيها، العصا تنقلب بين يديه إلى حصان يمتطيه و ..يجري .. الكرسي يتحوّل إلى سيارة أو مركبة فضائية، والدمية تصير كائناً حياً يفهم ويعي ويصغي إلى كلمات المودّة والاستحسان..

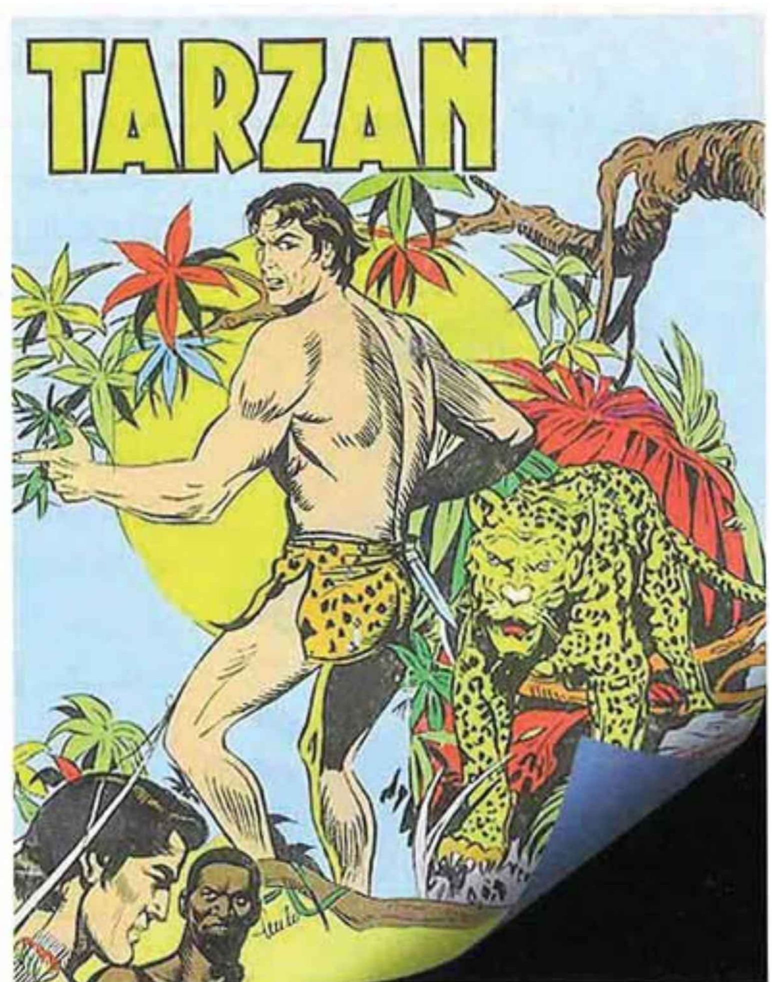
وللخيال في هذه المرحلة وظيفة مهمّة في تطوّر نمو الطفل، إنه ينظّم كثيراً من أنشطته. وهو يدفعه إلى ممارسة مهاراته الحركية، وابتكار ألعابه، وإذكاء فعاليته، وإثارة حيويته .. وتنشيطه.

ثم يأتي دور الخيال المطلق، ليكبر الطفل، فمنذ سنّ السادسة من عمره حتى الثامنة أو التاسعة ينطلق خياله يتجاوز النطاق المحدود بالبيئة، يتشوّق إلى الصّورالذهنية غير المعقدة، تستهويه الحكايات والقصص التي تنقله إلى دنيا جديدة غير دنياه، إلى عوالم لم يألفها وإلى آفاق غريبة عن عالمه، إنه يتوق إلى الانطلاق .. تجذبه الحكايات الخرافية وتشدّه قصص الجانّ والأعاجيب يتشبّه بأبطالها، وينساق وراء مغامراتهم، ويركض فوق أرض الخيال ..

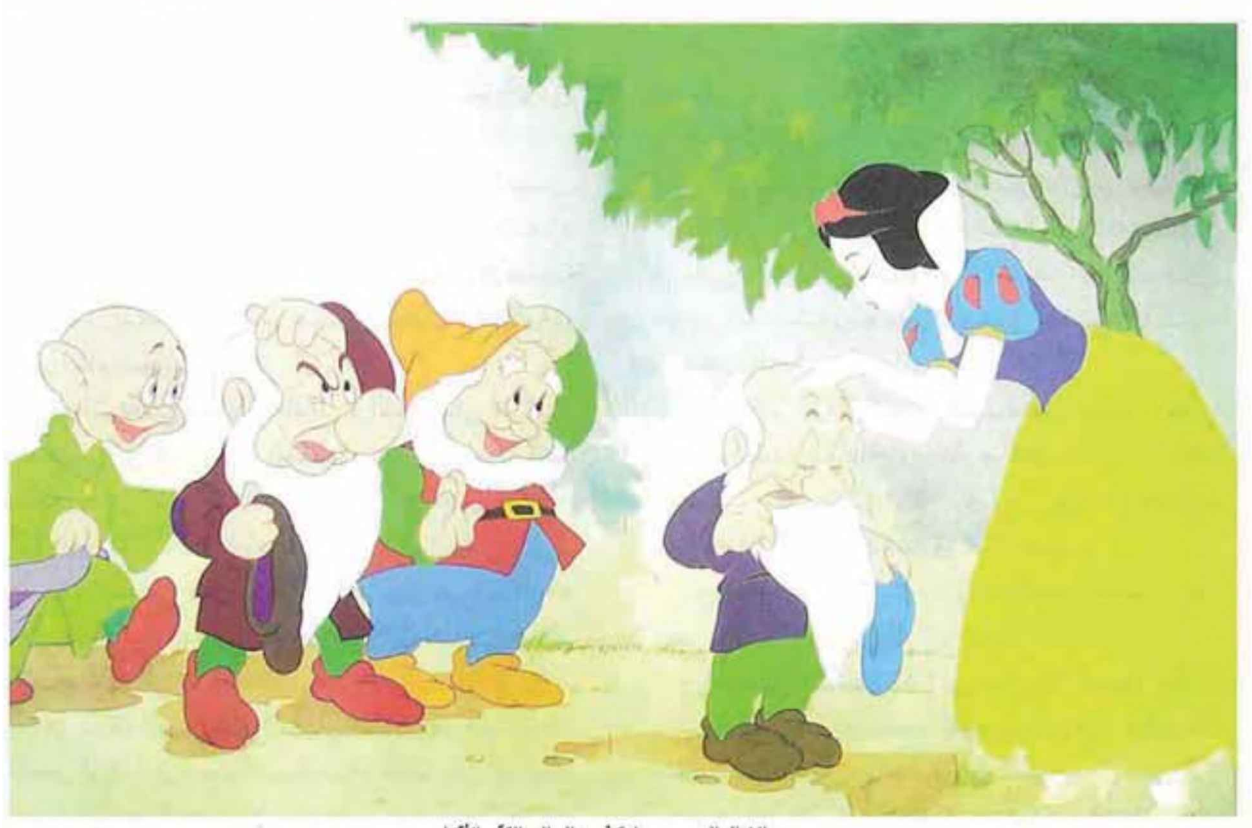
إنّ المخيّلة هيّأت للطفل أن يبصر، وأن يسمع، وأن يتذوق، وأن يتلمّس بعقله مالايستطيع الإحساس به عن طريق حواسه مباشرة، والطفل يتصوّر هنا ماليس له وجود ، ولولا هذه القدرة لما استطاع أن يصل إلى معنى أدبي أو علميّ أو فنّي..

ويبقى الخيال طريقاً لامتصاص الأطفال للثقافة، وأسلوباً لتجسيد عناصرها فنياً. كلّ شيء جامد وميّت، الوقائع والأحداث، الأفكار والمفهومات، لكنّ الخيال هو الذي يبعثها حيّة وهو الذي يعيد صياغتها ويلبسها أردية زاهية، وأثواباً جديدة.

إنّ الأطفال وهم يتخيّلون، يتصورون



مدينة النحاس تتفوق على مغامرات طرزان



الخيال العربي وريادة في عالم العمالقة والأقزام

عوالم غير التي يحيونها، ويدركون مالايمكن إدراكه عن طريق الحواس. والخيال وحده هو الذي يجمّل الحياة، الخيال وحده هو الذي يجعل كل شيء جديداً جميلاً، متألقاً..

ومن تعريفات الأدب في هذا الاتّجاه: أنّه لغة الخيال أو التعبير عن الخيال .. وهناك من يقول: إنّ الكلام الذي لايحمل شيئاً من الخيال لايدخل في باب الأدب والفنّ.

ومن سنّ التاسعة حتى الثانية عشرة ينتقل الطفل إلى مرحلة أقرب إلى الواقع، إنها مرحلة البطولة، مرحلة الميل إلى الألعاب التي تحتاج إلى جهد ومهارة، مرحلة المنافسة، وقصص الشجاعة، وحكايات المغامرين، والعنف والمخاطرات وأخبار المكتشفين والعلماء والطامحين، وسيرة الرحّالين والجوّالين، مرحلة القصص الساخرة، والهزلية، وحبّ القراءات العلمية المبسّطة، وكتب المعارف العامّة، والمعلومات الميسّرة ..

الطفل يهتمّ - في هذه المرحلة - بالواقع لكنه لا يتخلّى عن الخيال، الخيال يكون قائماً على الصور البصرية، هذه الصّور التي تأخذ مجالاً في نشاطه، وتشغل حيّزاً واضحاً في خياله خلال فترة الطفولة المبكّرة والمتوسطة، ثم يأخذ الاتجاه نحو الخيال المجرّد الذي يقوم على الرموز وتكوين الأفكار..

وفي سنّ الثالثة عشرة حتى الخامسة عشرة يتحوّل الطفل إلى أدقّ مرحلة من عمره، إنها مرحلة شديدة الحساسية شديدة الخصوصية والامتياز يطلقون عليها مرحلة المثالية فالقصص التي تمزج المغامرة بالعاطفة لها الصدارة، وكذلك التي تصوّر المتاعب والعقبات والجهود المضاعفة سعياً وراء الحقائق، أو دفاعاً عن مبدأ أو قضية هي المنشودة. والطفل الذي كبر يتشوق إلى الحكايات المثالية، والمواقف المشرّفة، وقصص الجاسوسية والبوليسية، والموضوعات التي لها علاقة بالجنس الآخر، والموضوعات التي تزاوج بين الخيال والواقع، وتستدعي

أحلام اليقظة هي المفضلة لديه..

إن الأطفال بحاجة إلى الخبرات التي تجعلهم يعبّرون عن أخيلتهم وعن خبراتهم في تلقائية مبدعة.

والتراث العربي غنيّ بالخيال، غنيّ بالصور والتصوّرات المبتكرة. التراث ينبوع اعتزاز بالانتماء القومي، يحثّ على العمل لبناء المستقبل الأجمل، والأفضل بثقة وأمل، وهو مخزن طاقات وفعاليات وخبرات ومنجزات ..

التراث يعني تلك الملاحظات الزاخرة التي أدركها الموهوبون في الفنّ، عبر العصور، وتركوا بصماتهم معبّرة عن هذا الإدراك السّخي الذي تنحني أمامه الرؤوس إجلالاً واحتراماً..

التراث يعني ماوصلت إليه البشرية من قيم فنّية، ومن خيال متوثب، ومن قدرة عقلية نشيطة في مجال الإبداع الإنساني ..

في تراثنا العربي تألّق الخيال إذ كان أهم مايشوّق به القاص أو الراوي ـ بعامّة ـ سامعيه، حديثه عن أشياء لم يألفها السامع، أو عن بلاد وعادات ومرئيات لا تقع في نطاق الفرد العادي، وكلّما تفنّن الراوي في وصف هذه العجائب والطرائف والمشاهدات كان إنصات الناس إليه أكثر من تشوّقهم إلى أحاديثه، وطلبهم لها أقوى..

حكايات عجيبة ومغامرات غريبة

إن الراوي ينطلق مع عجائب الأحداث، وغرائب المغامرات، وأطوار النّاس وطبائع الكائنات في إطار مسرح خصيب، وخيال ثرّ غنيّ بالأخبار والأسرار، حتى إنّ الباحث يحار وسط هذه المشاهد المحشودة، والأساطير المرصودة، من أين يبدأ، وكيف يختار؟!

في أسطورة «عوج بن عنق» للطّبري هناك عملاق جبّار، يحتجز السحاب الثقال ليشرب منها، ويتناول الحيتان من أعماق البحار، فيشويها بعين الشمس، ليأكل .. وعندما يجيء طوفان نوح، ويغرق العالم يعلو حتى رؤوس الجبال، لايغطي من عملاقنا أبعد من ركبتيه.

وقوم عاد الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم:

ألم تر كيف فعل ربّك بعاد، إرم ذات العماد، التي لم يُخلق مثلها في البلاد .. الفجر ٦ـ٨.

لقد حفّ الغموض تاريخ هؤلاء الأقوام، الذين عاشوا في جنوب الجزيرة العربية، وكانت لهم حضارة عظيمة، لم يصل التاريخ ـ بعد ـ إلى معرفة شيء محدّد عنها، ولكن إن عجز التاريخ فإنّ الرواة يهرعون إلى ملء هذا الفراغ وإذا كان الواقع غائباً فإنّ الخيال بروعته يستطيع أن يكون بديلاً.. يقول الرواة عن قوم عاد: وهم يلمسون بأيديهم السحاب ويلعبون بالغمام ويفتّتون الآكام ، ويزيحون الجبال..

وفي حكاية زرقاء اليمامة أيضاًمايثير الخيال وينمّي الفكر، وينهض بالمخيّلة، وماأكثر ماحفل كتاب «عجائب المخلوقات» للقزويني (ت:٦٨٢هـ) من روايات وحكايات فيها المتعة والإثارة والدهشة والاستغراب..

وقد كتب توفيق الحكيم كتابه «إبليس ينتصر» من وحي قراءته الأولى لرواية القزويني.

والطّبري (ت:٣١٠هـ) في «تاريخ الرسل والملوك يذكر لنا عن شقّ وسطيح اللذين لم يكن في زمانهما مثلهما من الكهان، وقد قال ابن خلدون ـ من بعد ـ في مقدمته: كان شقّ (ت: نحو ٥٥ق.هـ) إنساناً بيد ورجل وعين، وإنما سمّي بشقّ لأنه ولد شقاً واحداً! وكان ربيع بن ربيعة الملقب بسطيح (ت:٥٢هـ) يُدرج كما يدرج الثوب، ولا عظم فيه إلا الجمجمة، ولهما أخبار عجيبة!

أمّا المسعودي (ت:٣٤٦هـ) في «مروج الذهب» فقد أورد حكاية سدّ مأرب، وكانت بطلتها ظريفة زوجة عمرو بن عامر الملك. الذي بطرته النعمة ، فأمعن في البذخ والترف، ودانت له العباد، ولما بنى السدّ بين جبلين ليختزن مياه الشتاء، صار أهل سبأ في أطيب عيش.وأهنأ حال، في نهاية الخصب وطيب الهواء وصفاء الفضاء ..

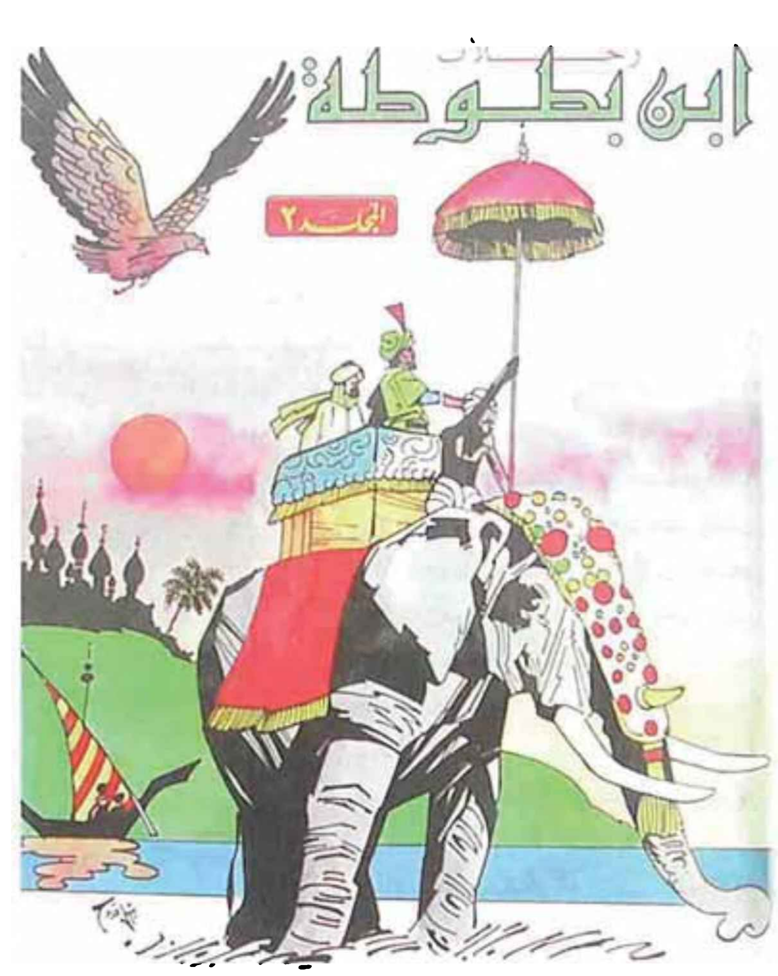
جاء أخوه الحكيم عمران، وقد أحسّ بدنو أجله، فنصحه وأنذره بأن السدّ سيتهدّم، ولم يحفل الملك به، بل أمعن في عتوه، حتى أتت ظريفة تحدثه برؤياها: إذ رأت أنّ سحابة غشيت أرضهم وأرعدت وأبرقت ثم صعقت فأحرقت ماوقعت عليه ثم قالت: إنّ الشجر لتالف، وسيعود الماء لما كان في الدهر السالف ..

وتكمل ظريفة روايتها ...: لقد رأيت سلحفاة تجرف

بأحداثه ووقائعه حول خلق العالم، وقصص الرسل والصالحين وقد حوى بين دفتيه أدبًا وتاريخًا وعجائب وقصصًا وظرفًا ومتعة وخيالاً ..

وهناك حكايات إساف ونائلة، وتأبّط شرًا للأصفهاني والعُزّى التي سكنت ثلاث أشجار، «العزّى كفينوس عند الإغريق وهي آلهة الحسن، عبدها العرب قبل الإسلام، يقول النبيّ صلى الله عليه وسلّم: «تلك العزّى ولاعزّى بعدها للعرب، أما إنها لن تُعبد بعد اليوم»، «ابن الكلبي- كتاب الأصنام»، وحكايات قبة في قاع البحر، ومن «الجنّة إلى الأرض» لليافعي، و«رسالة الغفران » لأبي العلاء المعرّي، و«الإمتاع والمؤانسة» لأبي حيّان التوحيدي ..

إنّ الراوي في تراثنا يسرف في اختراع المخلوقات العجيبة، والعادات الطريفة، والمناظر الفريدة التي لم تُر، ولعلّها لن تُرى على الإطلاق، ولايمكن أن تُرى !! وهو يكثر من الأحداث المثيرة، والمواقف المشحونة بالقلق والتعقيد حتى يبدو الخلاص منها مستحيلاً، والنجاة ميئوسًا، إلاّ أنّه، وبعد أن يصّعد الموقف، فجأة، وبعناية السماء تنحلّ العقدة، وتنفرج الأزمة، ويعود كلّ شيء إلى نصابه، وتجري الحياة هنيّة ليّنة جريان النهر في السهل المنبسط ..



على أجنحة الخيال طاف الإنسان العربي كل أرجاء المعمورة

التراب، وتقذف ببولها قذفًا، وهذه أغصان الشجر تتراقص ولارياح ! ..

وكانت دهشة «عمرو» حين رأى جرذاً يقلب برجليه صخرة لايقوى على تحريكها خمسون رجلاً ..

وذلك كلّه إشارات إلى هلاك السدّ، وأنّهم سيمزّقون شرّ ممزّق، وسينتشرون في الأرض وكان أن عمت البلبلة، وتساقطت المنازل في المياه الطامية، ودمّر كلّ شيء!..

أمّا كتاب « بدائع الزهور في وقائع الدهور» لمحمد أحمد إياس الحنفي (ت نحو ٩٣٠هـ) فلا يزال يشدّنا

مدينة النحاس

في ألف ليلة وليلة شعر ونثر، نظم وسجع، قول فصيح وقول ركيك، شباب غضّ يورّقه الحب فيحطّم الأغلال والقيود، وآخر يتعذّب في صمت فيذوي ويموت، في ألف ليلة وليلة فقراء وبسطاء يرضون بالكفاف، وأثرياء يرفلون بالنعمة، ويبالغون في المتعة والإنفاق .. حياة واقعية بحلوها ومرّها،وعالم من الأحلام والأخيلة ..

إنّ مدينة النّحاس، المدينة الخيالية، التي اخترعها قصّاص «ألف ليلة وليلة»، ظلّت عصيّة على الفاتحين

والمكتشفين دهراً طويلاً، حتى قُيِّض لها أن تفتح على يد واحد من أولياء الله الصالحين، مدينة النّحاس التي بسّطها لنا كامل كيلاني، وقدّمها للأطفال مدينة عجيبة، تقع في طريق الفتح التي سلكها موسى بن نصير إلى الأندلس. ولمّا كانت هذه المدينة تختصر أرضين وتجتاز آثاراً ومشاهد، تذكي خيال أذهان الفاتحين، وتداعب أحلامهم، وتثير فيهم السّحر والتخيّل: فقد افتنّ الراوي في وصفها، وأسهب في تصوير المدينة الساحرة، واستحثّ صور الخيال .. وبلاد المغرب حافلة بكل مُدهش ومُثير، والمؤرّخون القدامى وضعوا هذه المدينة مرّة في الأندلس، ومرّة في صحراء سجلماسة جنوب المغرب، مدينة فيها من النفائس، ما تحتار به العقول ، والتاريخ الصحيح يذكر شيئًا عن هذه النفائس. لقد اشتهرت بلاد المغرب بكنوز يصادفها الذين أراد الله لهم الثراء بغير حساب، في القصص أو في الحياة، حتى إنّ ياقوتًا الحموي في «معجم البلدان» ليذكر مدينة سجلماسة، ويصفها بأنها من أغنى المدن، وينبّه إلى قربها من مناجم الذهب، وهكذا ساعدت الحقيقة الخيال .. وصوّر الراوي مدينة النحاس مدينة ثرية، واسعة الثراء، لاحدود لكنوزها ونفائسها، باذخة ، رائعة البذخ!.

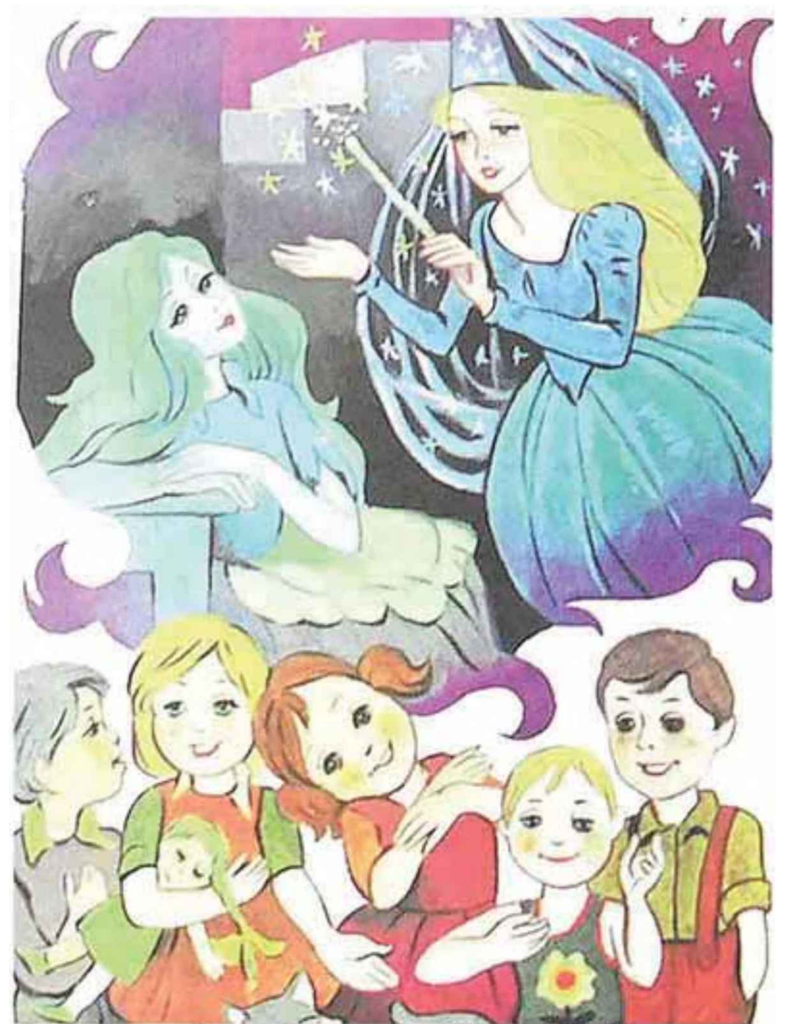
امتازت مدينة النّحاس من سائر مدن الخيال بسورها العالي، وكثيرون حاولوا أن يصعدوا هذا السّور فأخفقوا، كل من صعد منهم ونظر إلى المدينة سقط ميتًا.. «كان الذي يصعد يصفّق ويرمي بنفسه فلا يرجع آخر الدهر ..» .. وبقيت المدينة عصيّة مغلقة، لم يدخلها أحد، ولم ير ما بداخل سورها إنسان! ولكنّ هل ستظلّ هذه المدينة غامضة مستعصية؟ هل ستظلّ مجهولة لايعرف سرّها أحد؟!

هنا، يلعب خيال الراوي: المدينة لابدّ أن تُفتح .. إذ ليس من الفنّ أن يبقى الشوق معلّقًا .. ليس من الفنّ أن يظل السرّ مغلقًا، فالراوي القاصّ في «ألف ليلة وليلة» عارف بالنفس البشرية، عالمٌ بتوق الإنسان إلى كشف المجهول، وإزاحة المستور،..

هذا المكان الحافل بالعجائب، المزدحم بالأسرار، لابدّ له من مغامر، والمغامر جريء مقدام يتوهّج نضارة وفتوة وعزماً وإرادة. وهو واحد من أولياء اللّه الصّالحين، بنى سلّماً، وتسلّق السّور وهو يتلو آيات النجاة، آيات من القرآن الكريم ..

صاح وقد أشرف على المدينة:

ـ ياقوم. إنّ الله صرف عنا الشيطان!



أفلام الكارتون الحديثة أخذت الكثير من عوالم ألف ليلة وليلة

وماذا رأى ؟!

عشر جوارٍ باهرات الجمال، يشرن إليه أن ينزل، فلم ينزل، وتلك مكيدة أهل مدينة النّحاس حتى لا يدخلها أحد ..

القصّة تركب جناح الخيال، وتطير محلّقة في سماء بعيدة تمضي منسوجة بعناية وحذر وإتقان، مدينة النحاس مدينة الخيال المجنّح، مدينة الخيال العربي المتفوّق على «السوبر مان» و «مغامرات طرزان» وقصص «الوطواط» !..

ولهذه المدينة مثيلاتها في التراث الحافل، فهناك «مدينة السّحاب» و«مدينة النساء»، وجزائر الواق واق، ومواقع لاحصرلها، وأماكن حالمة، وعوالم مرسومة بدقّة متناهية، كلّها من صنع الخيال ..

ليال من ألف ليلة

لقد سبق الخيال العربي «جون فيرن» وبفضله صارت هناك حقائق وإنجازات بشرية، في الليلة الثانية والستين بعد الثلاثمئة من ألف ليلة وليلة: هناك فرس طائرة.. « يقول الحكيم:

ـ يامولاي إنّ منفعة هذه الفرس، أنّه إذا ركبها الإنسان فإنها توصله إلى أي بلاد أراد ..

ركبها ابن الملك وحرك رجليه فلم تتحرّك من مكانها قال:

ـ ياحكيم، أين الذي ادّعيته من سرعة سيرها؟

عند ذلك جاء الحكيم إلى ابن الملك وأراه لولب الصعود، وقال له :

ـ افرك هذا اللولب ففركه !

وإذا الفرس تتحرّك وتطير به إلى عنان السماء، ولم يزل كذلك حتى غاب عن الأعين ..

احتار ابن الملك في أمره، وندم على ركوب الفرس، وبينما هو يتأمّل إذ نظر إلى شيء مثل رأس الديك على كتف الفرس الأيمن وكذلك الأيسر ففرك الزرّ الذي على الكتف الأيمن فازدادت به الفرس سيراً صاعدة في الجوّ .. ثم فرك الزرّ الموجود على الكتف الأيسر فتناقصت الحركة من الصعود إلى الهبوط، ولم تزل هابطة حتى صار على الأرض وهو محترس على نفسه «إنّها الطائرة الحديثة، وإنه الطيران الذي نشهده اليوم !»

وفي الليلة الثانية والسبعين بعد المئتين: «وجد في مدينة في الأندلس مرآة كبيرة، مستديرة عجيبة، مصنوعة من أخلاط، إذا نظر الناظر فيها رأى الأقاليم السبعة عياناً « كانوا يظنّون أنّ الأرض مكوّنة من سبعة أقاليم »، «أهذه المرآة حلم بقمر صناعي أم رادار أم تلسكوب يدور في الفضاء الخارجي؟!».

أمّا في الليلة العاشرة بعد الستمئة فنقرأ: «وأما دائرة الفلك فإن الذي يملكها ، إن شاء أن ينظر جميع البلاد من المشرق إلى المغرب فإنّه ينظرها ويشاهدها عليها، وهو جالس، فأي جهة أراد أن يوجّه الدائرة إليها وينظر في الدائرة فإنه يرى تلك الجهة، وأهلها، كأنّ الجميع بين يديه، وإذا غضب على مدينة ووجّه الدائرة إلى قرص الشمس وأراد إحراق تلك المدينة فإنها تحترق»(!!).

وفي الليلة الرابعة عشرة نجد أنّ «أحد الملوك أصيب بمرض البرص، وعجز الأطباء عن شفائه فأصابه غمّ ونكد شديدان، وعلم الحكيم الطبيب رويان بمرض الملك فحضر إليه، واستخرج الأدوية والعقاقير وجعل بعد ذلك صولجاناً جوّفه وعمل قصبة وصنع له كرة بمعرفته فلمّا أتى على ذلك وفرغ منه، طلع الملك في اليوم الثاني وأمره أن يركب إلى الميدان وأن يلعب بالكرة والصولجان وقال له:

«خذ، يامولاي، هذا الصولجان، واقبض عليه مثل هذه القبضة وامش في الميدان واضرب الكرة بقوتك حتى يعرق كفُك وجسدُك، فينفذ الدواء، ويسري في سائر جسدك، فارجع إلى قصرك وادخل بعد ذلك الحمام ، واغتسل، فقد برئت والسلام»، «إنه دواء وعلاج فيزيائي !» «ولما خرج الملك من الحمام نظر إلى جسده فلم يجد فيه شيئاً من البرص».

وهناك إرهاص لجهاز إنذار مبكّر، ورد ذلك في الليلة السابعة والخمسين بعدالثلاثمئة، إذ تحدثنا شهرزاد عن البوق الذي إذا وُضع على باب المدينة يكون المحافظ عليها، فإذا دخل من تلك المدينة عدو، يزعق عليه هذا البوق فيُعرف ويُمسك به».

وأيضاً قاذفات للّهب وشحنات كهربائية كما جاء في الحكاية العاشرة بعد الستمئة التي تقول: «وأما

السيف فإنه لو جرّد على جيش وهزّه حامله لهزم الجيش، وإن قال له وقت هزّه: اقتل هذا الجيش، فيقتل جميع الجيش». «وقد استفادت أفلام الكارتون اليابانية والأمريكية من ذلك. وأخذت من عوالم ألف ليلة وليلة الكثير «ساسوكي» و«الفرسان الأبطال» وغيرها».

وهناك الليزر ومسدّسات الإرهاب السريعة في الليلة الثامنة والثلاثين بعد التسعمئة إذ جاء فيها :«وإذا غضب الحاكم على أحد وأراد قتله، يشير عليه باليد اليمنى التي قام فيها الخاتم، فيخرج من الخاتم بارقة فتصيب الذي يشير عليه، فيقع رأسه من بين كتفيه».

هذا العالَم المسحور، هذا الخيال الحافل. كلّه مبثوث في تراثنا العربي من المدن الخيالية، إلى الرحلات إلى قصور الجان المسحورة، إلى الكنوز الغريبة إلى بساط الريح، والسندباد البحري وعلاء الدين ومصباحه السّحري، إلى علي بابا والأربعين لصّا، إلى البلاد العجيبة والأقوام المدهشة، من عمالقة وأقزام، وحيوانات ناطقة وبلاد بعيدة غارقة في السّحاب، أو غائصة تحت الماء، إلى الأشجار الخيالية، والجبال التي نصفها من ثلج ونصفها من نار، إلى أنهار من عسل ولبن، إلى النوادر وحكايات الظّرفاء والأذكياء والنابهين، هذا العالم المدهش، الذي جمع بين القسوة وتغريد الطيور، بين المغامرة الخطيرة وروعة الطبيعة ولمساتها الحانية، بين القهر والغضب وعشق الأحبّة ومصاحبة الأخيار.. هذا العالم المثير ينتصر فيه الخيال ويحلّق ناهضاً، بعيداً عن القيود والأسوار، وما يحتاج إليه الطفل العربي هو الخيال الحرّ، لا الخيال المؤطّر، هو الحرية والمتعة لا الخوف ولا القيود القاسية، والحقائق المفروضة ..

إنّ بساط الريح صار اليوم طائرة، وإذا كان ممتطيه يدقّ طرفه قائلاً:

ـ انطلق يابساط الريح إلى طنجة !

أو :

ـ خذني إلى الرياض!.

أو :

ـ حلّق بي فوق الشام !

أو :

ـ دعْنا نُصبْ غداءنا في القاهرة !.

فإنّ الراوي كان يتخيّل، وخيالُه صار ـ منْ بعْدُ .. حقيقة، وهذه الطائرة تعبر البلدان، وتقطع المحيطات، وتجعل العالم صغيراً .. صغيراً .. لكنّ خيالها مايزال يهفو ويتوق إلى بساط الريح ! وباب افتح ياسمسم الذي كان يُفتح بكلمة، صار لدينا أبواب وأبواب، تُفتح مصاريعها بلمسة أو إشارة !

ومصباح علاء الدين الذي يمسح عليه فيحقّق رغبته، ويلبي دعوته: شبيك لبيك، عبدك بين يديك، صار كمبيوتراً، يصلنا بآخر المعلومات والأخبار، ويطوف بنا في أرجاء المعمورة، ويأتينا بما نريد !..

إنّ الخيال في «شطحاته» ليذهب بنا بعيداً، ونحن بحاجة إليه كحاجتنا إلى العلم، عالم الإنسان يتوق إلى الخيال والمتعة كما يتوقد إلى العلم والمعرفة، ومانتاج البشر الفكريّ، وإبداعهم إلاّ أخيلة عاشوها، وأحلام اشتاقوا إلى تحقيقها، وتوق أرادوا استنباته، فأورق وازهر وأعطى ثمراً يانعًا ..

إنّ الخيال يسهم في إثراء الإبداع الإنساني، وفي رفد ركب الحضارة الإنسانية. وحلم الإنسان الخفيّ هو أن يقهر الشرّ دائمًا، وينهض بالخير، هو أن يحمل الأمل بالنهايات السعيدة التي لا تكون في الواقع وأن يبدّل مالا يقدر على تبديله .. والخيال وحده يهبنا رحابة واسعة في الرؤية، ويجعلنا نشعر بأنّنا سعداء، وأنّ الدنيا مأهولة بالحبّ والخير والعذوبة والجمال ..

المراجع

ـ ثقافة الأطفال ـ د. هادي نعمان الهيتي ـ ص ٧٨و مابعدها ـ سلسلة عالم المعرفة١٢٣ الكويت ـ ١٩٨٨م.

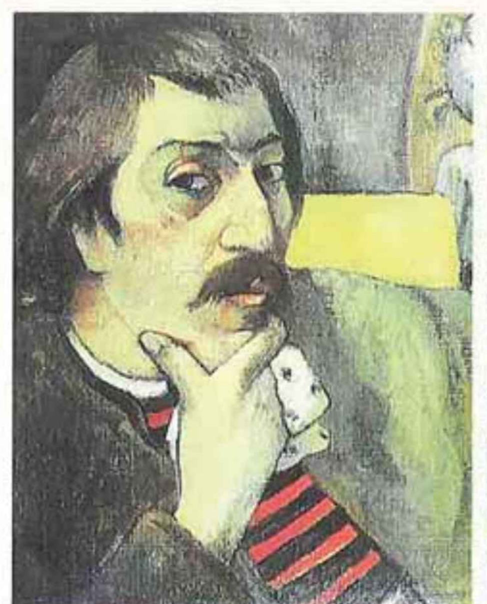
ـ في أدب الأطفال نزار نجار. اتحاد الكتّاب العرب ـ دمشق ١٩٩٤م.

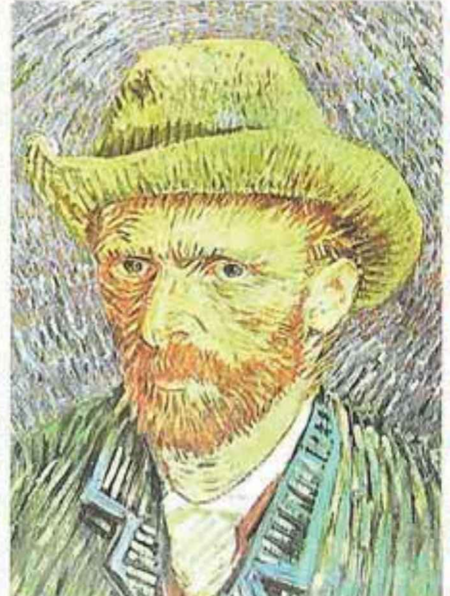
ـ مجلة الهلال ـ د. سهير القلماوي ـ عدد «أكتوبر ويناير» ١٩٧٠. ١٩٧١م.

المذهب التعبيري في فن الرسم

فاضل كمال الدين

بابل - العراق





فان جوخ وجوجان

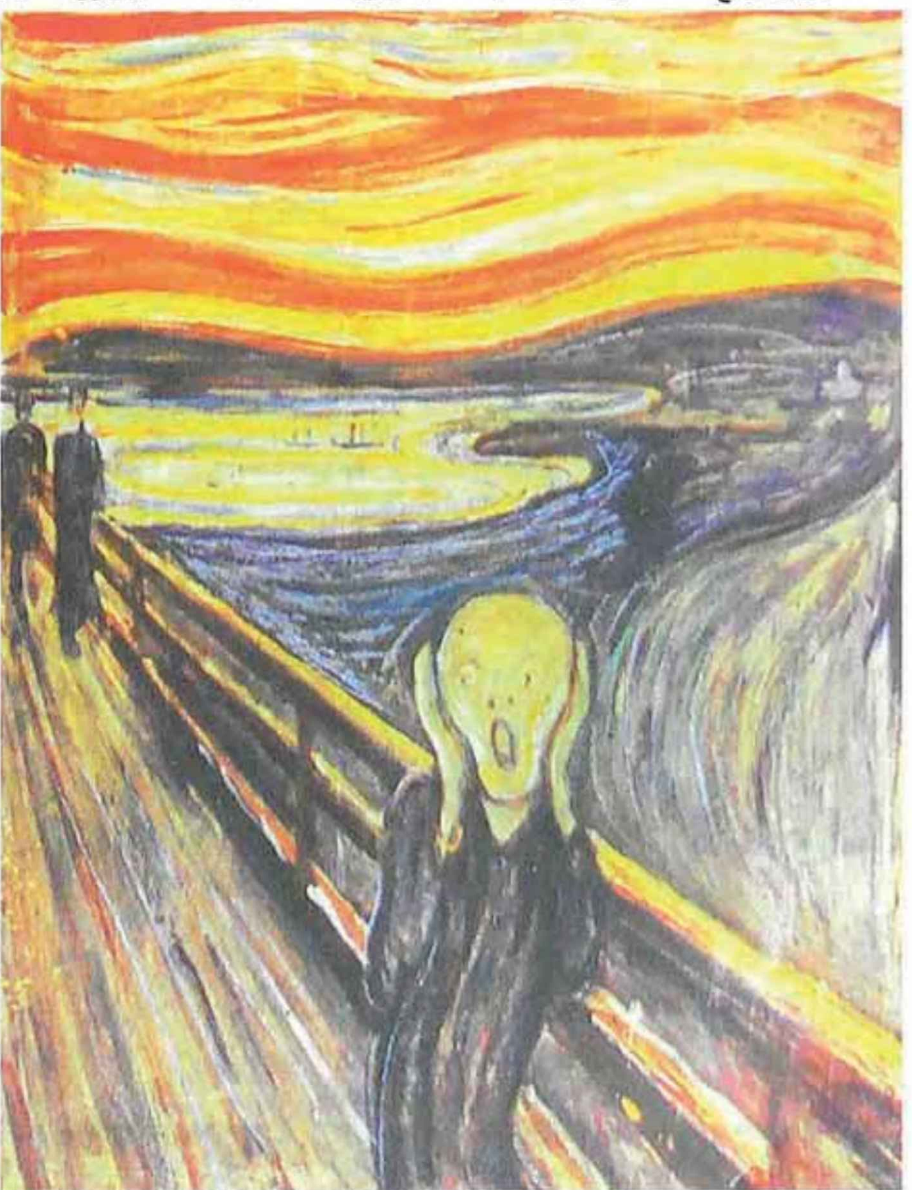
ينظر المذهب التعبيري في فن الرسم إلى داخل الإنسان أيْ إلى عالم الحالات العاطفية والنفسية بدلاً من النظر إلى العالم الخارجي أيْ عالم الواقع المتغيّر والمرن. وفي سعي الفنانين التعبيريين المتلهف إلى تطوير أسلوب ذي قوة عاطفية كبيرة، انصرف أولئك الفنانون عن المذهب الطبيعي. وكان فان جوخ وجوجان يشكّلان نقطة انطلاق لأولئك الرسامين التعبيريين الذين استخدموا تقنية تشويه وحَرْف الخطوط المحيطيّة واللجوء إلى استخدام ألوان ناصعة، وبالغوا في إبراز الأشكال من أجل إيصال مفهوماتهم.

وتنطبق التعبيرية، بمعناها المحدود، على الفترة التي سبقت الحرب العالمية الأولى وعلى الحركتيْن الفنيتيْن الألمانيتين المعروفتيْن باسم الجسر Die Bniichae وحركة الفارس الأزرق Der Blau Reiter. ولكن التعريف الأوسع للتعبيرية يشتمل على تطوّرات موازية حصلت في جميع المراكز الفنية الرئيسة حيث كان الفنانون يركّزون أكبر جهودهم في المدخل العاطفي

إلى الفن وفي تجاربهم العاطفية في كل مراحل الحياة.

والفنانون التعبيريون شديدو الإحساس بالعالم المرئي، ولكنهم يتجاوزون الفكرة الكلاسيكية عن الفن ومحاكاة الطبيعة، ويغلقون عيونهم ليستكشفوا العقل والروح والخيال. والتعبيريون يتفقون، مثلاً، مع الأديب غوته في قوله: إنّ الإحساس هو كلّ شيء، وهم يرحبون بغوص فرويد في أعماق العقل الباطن: ذلك الغوص الذي كشف عن عالم جديد في الأحاسيس والدوافع الغامضة والمخاوف الدقيقة مما يكمن وراء السلوك البشري. ويدرك التعبيريون تمام الإدراك أنّ في داخلهم عوالم في العُقد المتشابكة، وهم يعرفون أيضاً أن هناك عوالم يجب استكشافها وهي عوالم لاتراها العين، وغير خاضعة للمنطق.

وتعكس صورُ التعبيريين اهتمامات نفسية وليس اهتمامات طبيعية، وهي تصف عوالم غير ملموسة وباستخدام تقنيات جديدة، ورموز جديدة، وألوان متنافرة وأشكال مشوهة. ولكي يصف التعبيريون استجاباتهم للمظاهر الفيزيائية والنفسية والروحية، يقومون بتغيير صورهم وتشويهها وتلوينها بما يتلاءم مع شدة أحاسيسهم وهكذا، فالتعبيرية يمكن أن تتدرج من حالات الحنين الهادئ إلى انفجارات هستيرية إلى كوابيس وصراخ. ومن بين الحركات التي شملتها التعبيرية هي حركة «البدائية الجديدة» (أو الفن البدائي الجديد)، والدادائية والسريالية، والواقعية الاجتماعية.



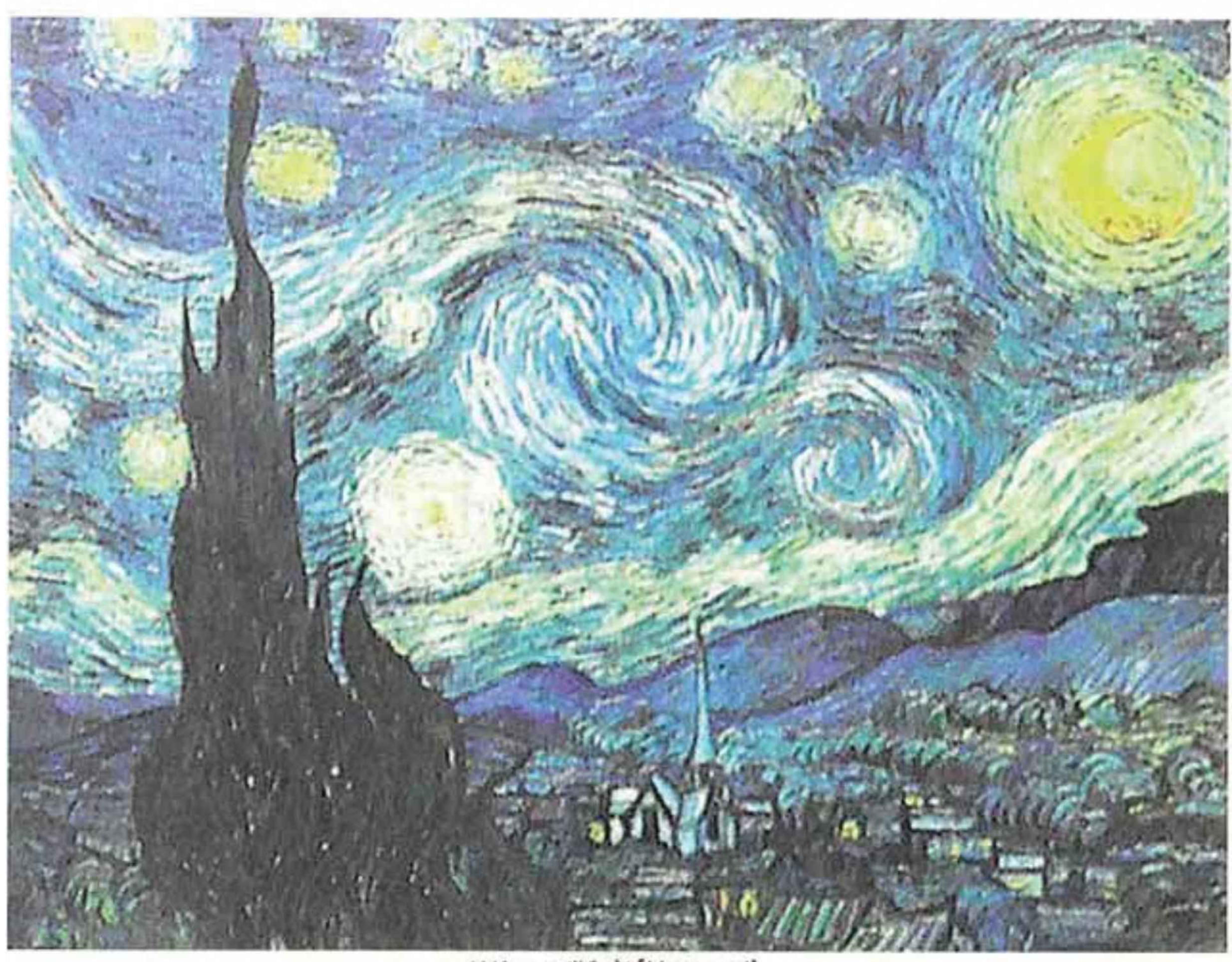
» إدوار مونش»: «الصرخة»، ١٨٩٣م

الفنّ البدائي الجديد

عندما اندلعت نار التعبيرية في القرن العشرين، كانت الشرارة التي أشعلت تلك النار والمسمّاة «البدائية الجديدة» هي الاكتشاف الذي حدث في نهاية القرن التاسع عشر لفنون سكان جزر البحار الجنوبية والاستوائية وأعمال حفر الخشب لدى القبائل الإفريقية.

ويكون الفن البدائي الجديد متمثّلا بالتكييفات الواعية التي يقوم بها فنانون دقيقون ولهم نماذج موثوقة في الفن الإفريقي أو فن جُزُر المحيط.

وأول فنان كبير إستخدم أنماطاً وموضوعات غريبة في رسومه



فان جوخ: «ليلة كثيرة النجوم»، ١٨٨٩

وأعماله الخشبيّة هو جوجان الذي قام بإعداد رسوم كثيرة خلال مكوثه الطويل في تاهيتي. وتلك الرسوم تعكس بوضوح تأثيرات ذلك المكان.

وهناك نماذج من منتجات يدوية «بولينيزيّة»- مثل المجاديف والسهام والحربون - كان يجمعها التجار في رحلاتهم ويتم عرضها في معارض باريس في عام ١٨٧٨م وعام ١٨٨٩م. وبعد ذلك وعندما كانت البعثات تذهب إلى داخل إفريقية، كانت تجلب معها وتعرض منتجات خشبيّة محفورة ومنقوشة من قبل أفراد القبائل السوداء. وكانت المعارض العرقيّة، الموجودة في باريس و«درسدن» والمحتوية على هذه الأعمال الفنية، تثير اهتماماً كبيراً لدى الدارسين والفنانين وعامة الناس. وظهرت كُتُب تتحدّث عن فنّ النحت الإفريقي.

وظهر الفن المحليّ، الخالي تماماً من مظهر التقدّم والمتّصف بالحرية في التشويهات الهندسية للأشكال البشرية، ظهر وكأنَّ يبشّر ببداية جديدة، وأُفتُتن التعبيريون الألمان بالأشكال الغريبة والعجيبة للصور الإفريقية. ووجد الفنانون الفرنسيون، ومن بينهم ماتيس، فيما حوت تلك الصور من أشكال هندسية مبسّطة ثروة في الأفكار الزخرفية وتسويغاً لتصاميمهم التجريدية(١).

الحيوانات المتوحشة

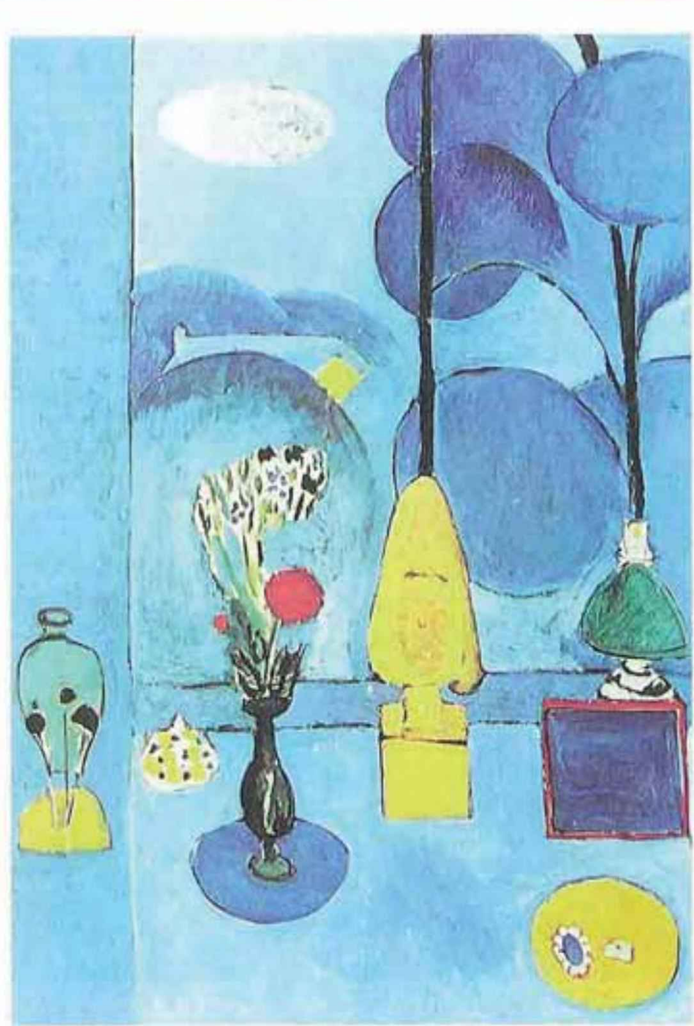
يتعامل التعبيريون مع كثافات الإحساس بدلاً من تعاملهم مع كثافات الضوء. وعندهم تحلُّ حرارة الخلْق محلَّ برودة المحاكاة، وهم يعرضون استجابات ذاتية بدلاً من قيامهم بتصوير حقائق موضوعية، وهم يؤكدون تفوّق الخيال البشري على مجرّد تصوير الطبيعة. وفي الوقت الذي كان فيه بيكاسو يكتشف فن النحت القبلي، كانت هناك جماعات أخرى تمجّد

المذهب التعبيري في الرسم على أساس أنه الرّد على الانطباعية في تأثيراتها الباردة وفي موضوعيتها.

وكان فان جوخ قد أشار إلى الطريق بلوحاته الفنية والملوّنة والملتهبة، وانفجاراته التصويرية العطوفة، وألوانه المشبّعة، وحماسه الديني، فاللوحة المسمّاة «ليلة كثيرة النجوم» كانت كافية لإلهاب الخيال بما صوّرت من كتل خضراء دكناء في أشجار السرو، وتناغمات التلال، وانفجار كوني لدرب اللّبانة «المجرّة». وقد عدّت الروعة البربرية في تناغمات ألوان جوجان وسيلة ناجعة في توليد استجابات حسيّة ذات حيوية. ونظر التعبيريون أيضاً نظرة بعيدة إلى الألوان المشرقة للزجاج المصبوغ الذي كان يستخدم في القرون الوسطى وكذلك إلى الإبداع الفائق في فن النحت الرمانيسكي. وقد أدّت دورها هنا أيضاً الفنون المحلية في «بولينيزيا» وإفريقية.

الوحوشيّة

اكتسبت التنافرات العينية في الألوان، والتشويهات البصرية لدى الرسامين التعبيريين الفرنسيين تسمية «الحيوانات المتوحّشة Les Fouves» وحدث ذلك بسبب ملاحظة عابرة أطلقها أحد الناقدين في صالون الخريف في باريس عام ١٩٠٥م، وكان ذلك الناقد قد عدّ الصالون كأنه قفص لحيوانات متوحّشة وبهذه الصفة كانت قد وصفت الأعمال الأولى للفنان هنري ماتيس. وتعكس لوحة ماتيس المسمّاة «النافذة الزرقاء» عام ١٩١١م، اهتمامه بالمسائل الجمالية الشكليّة، وبالتناغمات اللونية النابضة بالحياة، وبالموضوعات الزخرفية ذات النسق العربي «الأرابسك» في الزخرفة. وفي هذه الصورة، كان «ماتيس» قد عالج ماكان يحلم به في «فنّ متوازن ونقي وخال من موضوع يكرب النفس».



هنري ماتيس: «نافذة زرقاء»، ١٩١١م.....

الجسر والفارس الأزرق

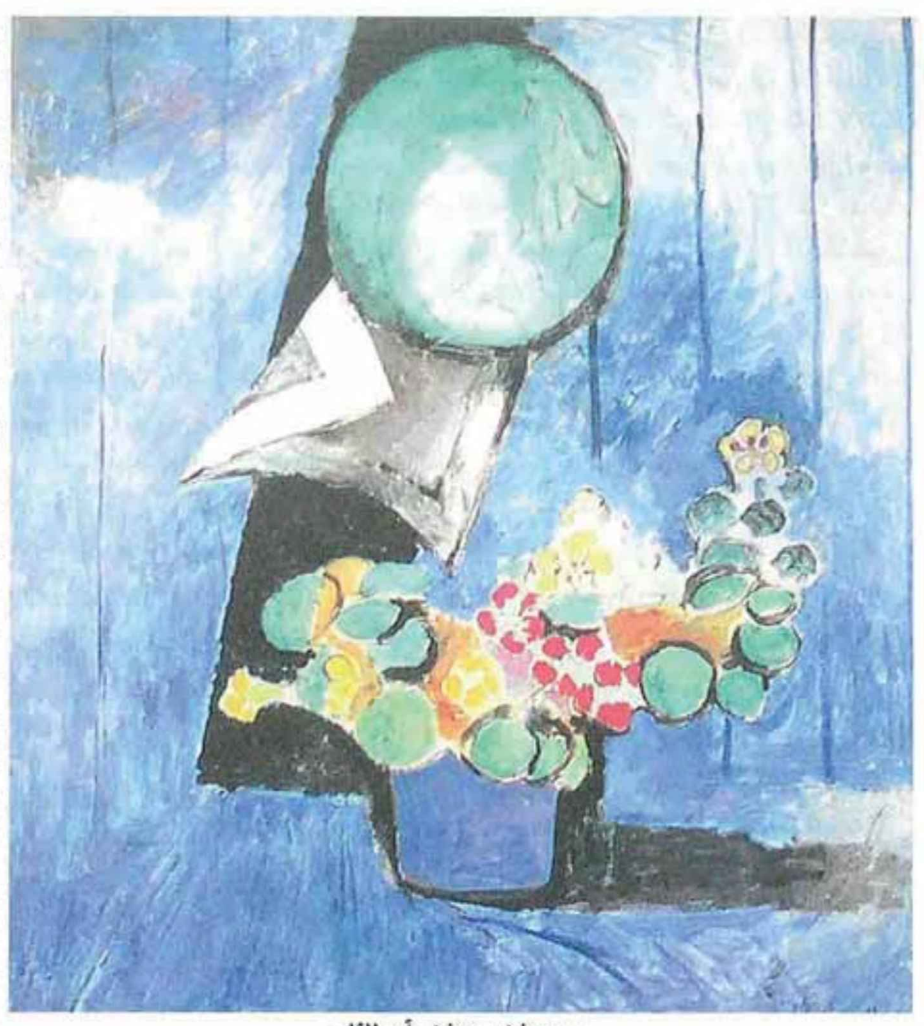
كانت التعبيرية الألمانية في عقد السنين الذي سبق الحرب العالمية الأولى تقترن بجماعتين ظهرتا مع جماعة «الوحوش» في وقت واحد، وهما «جماعة الجسر» وجماعة «الفارس الأزرق».

وكانت جماعة «الجسر» مجموعة غير ملتحمة من الرسامين في مدينة «درسدن» الذين اختاروا هذا الاسم لأنهم كانوا يرغبون في تكوين روابط مع جميع الفنانين المنتمين إلى المذهب التعبيري وفي أن يكونوا أيضاً جسراً نحو المستقبل.

وكانوا يعترفون بفضل فان جوخ وجوجان عليهم وبفضل الرسام النرويجي إدوارد مونك عليهم بصورة خاصة.

وكان أميل نولده من أبرز أعضاء جماعة الجسر، وتعدّ لوحته «الرقص حول العجل الذهبي» واحدة من موضوعاته الإنجيليّة الكثيرة. ويحمل التنافر العنيف في الألوان الحمراء والصفراء وكذلك الرسم التشويهي، يحمل أسلوب الفنان في تصويره الضراوة البدائية والطاقات الشيطانيّة لدى الرافضين الهائجين.

امّا «الفارس الأزرق»، فقد كان عنواناً للوحة مرسومة من قبل الفنان كاندنسكي، ثم أصبحت بياناً للحركة التعبيرية في جنوب ألمانيا. وكانت هذه التسمية أيضاً عنوان كتاب صدر في عام ١٩١٢م، وألّفه الرسامان فرانز مارك، وكاندنسكي،


.... و«زهور ومزهرية»، ١٩١١م

وقت مبكر يعود إلى عام ١٨٩٢م، وكان مونك يمكث في برلين وبصورة متقطعة وحتى حلول عام ١٩٠٨م، وفي برلين رسم مونك لوحته العظيمة «رقصة الحياة». وكان الألمان يبحثون عن فن يتجاوز حدود الانطباعات البصرية، ويعبّر عن حالات حسية وعن قيم روحية. ولكن ومن الناحية الأخرى يستحق ماتيس (١٨٦٩ ـ ١٩٥٤م)، وجماعته الملقبة باسم الوحوش Wild Beasts الأسبقية بسبب دراستهم لمفهوم «التعبير». وخلال فترة محدودة، رسم هؤلاء الفنانون بحماسة وعاطفة وعنف صوراً تسوّغ ادعاءهم بأنهم هم الفنانون «التعبيريون» الأوائل في القرن العشرين. وكان ماتيس قد نشر في عام ١٩٠٨م مقالة مهمة جداً أوضح فيها استقلالية فنّه عن فن «التعبيريين» الألمان. وبقيت وجهة نظر ماتيس عن التعبيرية ذات صفة جمالية من حيث الأساس ومنفصلة انفصالاً شديداً. وكأن الوسواس الألماني بشأن «إضفاء صفة الروحانية على التعبير»، وبشأن المعاناة البشرية من الأمور الغريبة على روح ماتيس وعلى المزاج الكلاسيكي المعتدل. ولم يكن الرجل الفرنسي ينشغل أبداً، وبخلاف الألمان، بموضوعات تتعلق بالمدن، أو بحرية الجسد البشري، أو بتصوير الحالات النفسية وخاصة القلق، وتمثل ردُّ فعل الفنانين الألمان تجاه المجتمع الفاسد باتخاذهم دور المعلمين الأخلاقيين الفظّين، واهتموا وانشغلوا بالحالات النفسية للرجال والنساء. ومن المهم الإشارة إلى أن الجماعتين، أي «الوحوش» الفرنسية وجماعة «الجسر» الألمانية، كانتا تشتركان في اهتمامهما بالفن البدائي المكتشف حديثاً في البحار الاستوائية وفي إفريقية. ولكن ترتبت على ذلك الاهتمام بالفن

وظهرت فيه لوحات فنية كانت قد عرضت في معرض «ميونيخ» في السنة السابقة. واشتمل ذلك الكتاب على أعمال موضوعة من قبل بعض الوحوشيين الفرنسيين، ومن قبل « بول كلي» بالإضافة إلى أعمال «مارك» و«كاندنسكي».

وكان كاندنسكي شخصيّة دولية وضع رسومة الأولى في وطنه روسيا، ثم عمل في باريس حسب أسلوب الانطباعيين الجدد وأسلوب الوحشيين، ثم اشترك في تأسيس جماعة «الفارس الأزرق» في ميونيخ(٢).

ماتيس والوحوش

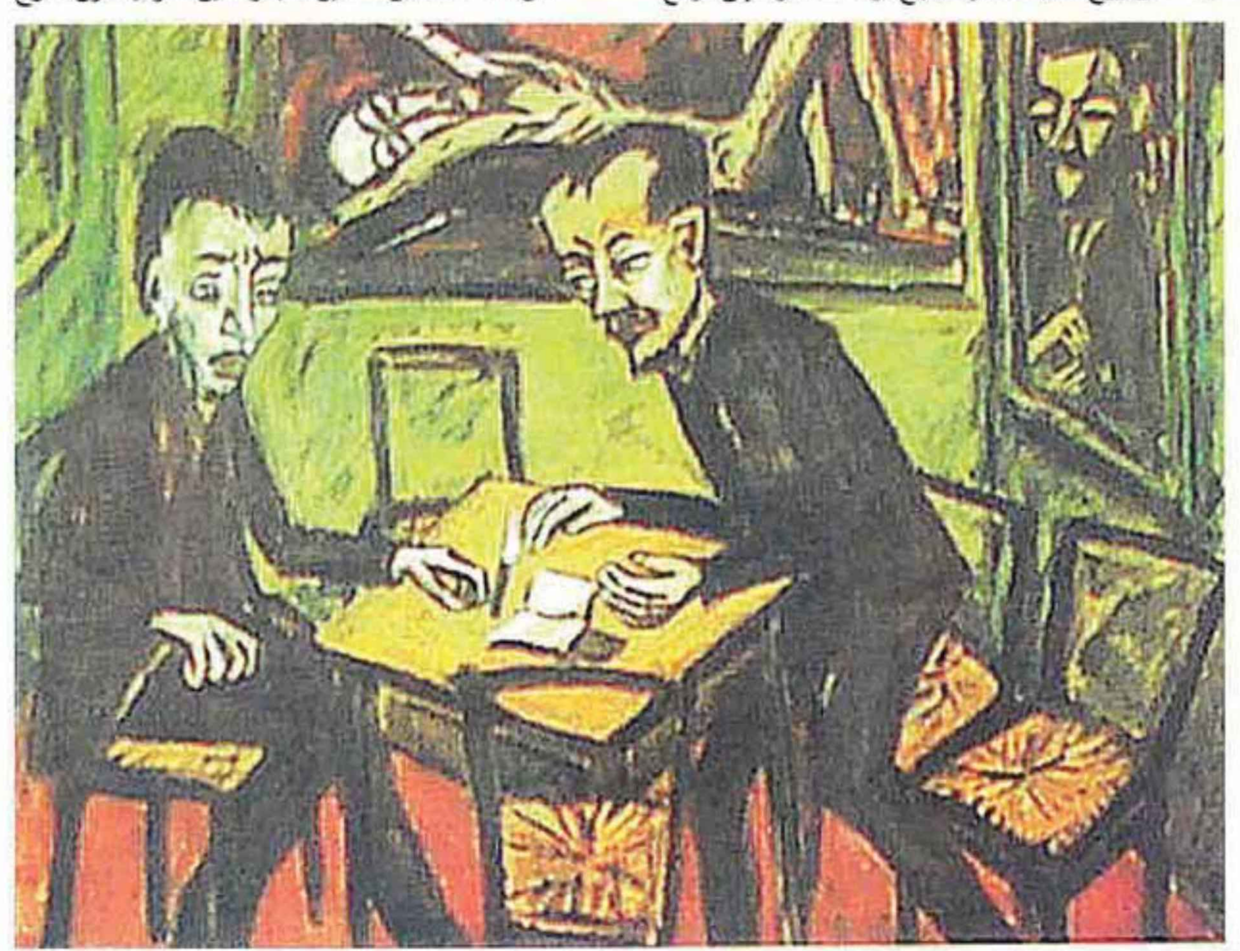
يقول سام هنتر/ جون جاكوبوس في موسوعتهما «الفنّ الحديث»: «إنّ إدوارد مونك على الأخص كان هو الشخص المؤثر في ألمانيا، وحظيت أعماله بشهرة واسعة في برلين في

البدائي استجابات متناقضة للجماعتين المذكورتين. فالألمان أحسّوا بانجذاب إلى طراز حياة البدائيين بينما جعل الفرنسيون في أوائل القرن العشرين، وبخلاف جوجان، اكتشافهم مقصوراً على الإمكانات الشكلية والتعبيرية الجديدة في الفن البدائي. وكان ماتيس وزملاؤه يهتمون بالشكل أكثر من اهتمامهم بالمضمون السحري، وقاموا بصهر العناصر الفظة في الفن البدائي في رسومهم بقيامهم بتحويل تلك العناصر إلى قيم فنية زخرفية.

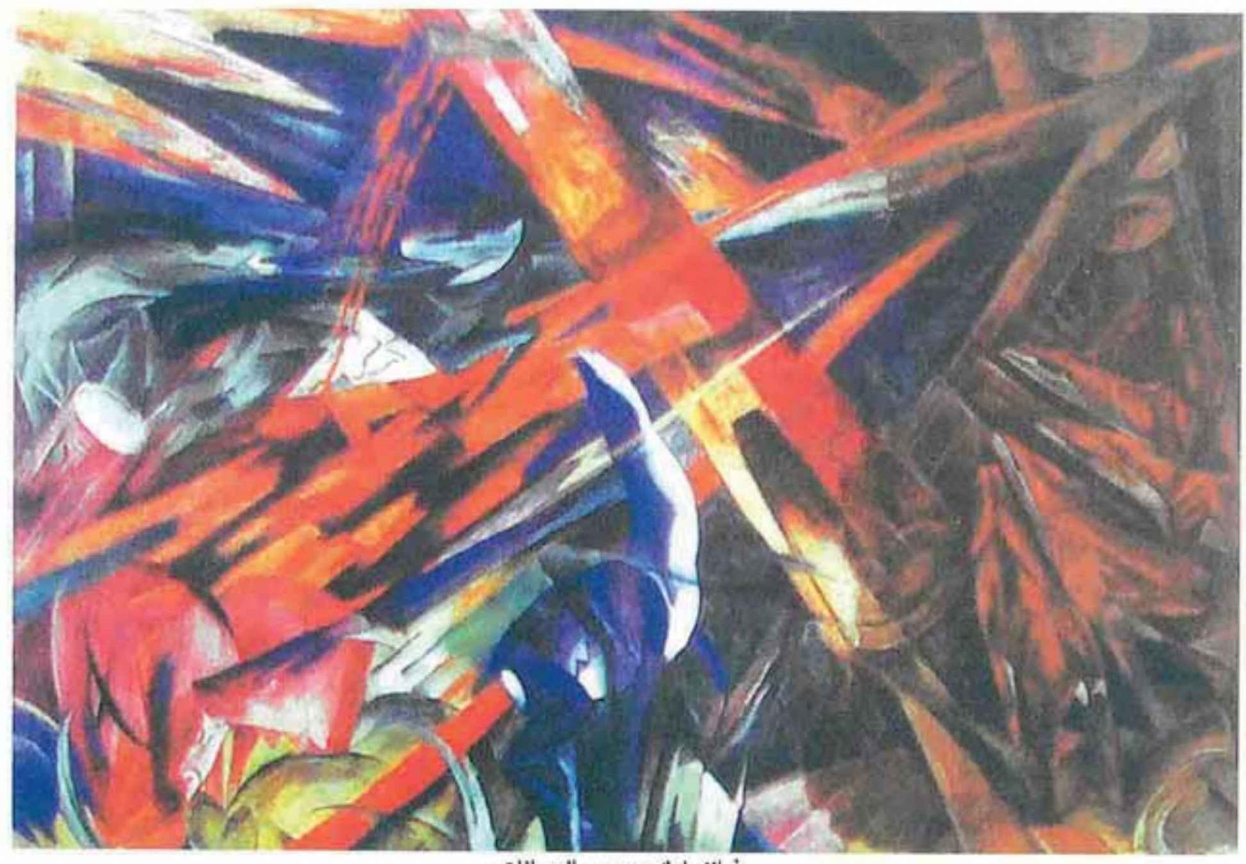
وترتبط وجهة نظر «الوحوشيين» باستكشاف جديد وثمل للحياة الطبيعية وللأحاسيس. وكان ذلك تطوُّراً تم التعبير عنه في السنين الأخيرة من القرن السابق في كتب مثل كتاب أندريه جيد المعنون «ثمار الأرض»، وكذلك من قبل الحركة الأدبية المسماة «المذهب الطبيعي». وكانت «الوحوشية» قد نبعت من روح تأكيد ما هو مبهج، ومثلت عودة إلى الواقع الطبيعي. ولم يقم الوحوشيون عمداً بتحريف الواقع لغرض اجتذاب اهتمام الجمهور، وإنما كانوا عازمين على استرداد الطبيعة، بواسطة الإستراتيجيات الجديدة، التي كانت قد بدأت تخدع الانطباعيين الجدد والانطباعيين السابقين. وكان هدف ماتيس وزملائه هو إعادة تصوير الطبيعة بشكل أكثر تلقائيةً، وكما كان قد فعل مانيه، في زمانه، وفعل أيضاً الانطباعيون عندما قاموا بتجديد العالم المرئي بواسطة طرائق جديدة، وقام الوحوشيون بتوسيع تقنياتهم، واستخدموا طريقة «تجاور المتمِّمات»، ولكنْ بواسطة ضربات أوسع، وطبقوا قاعدة التحليل الغريزي بدلاً من التحليل العلمي أو التحليل المبني على العقل والذي كان قد سعى إليه أسلافهم الانطباعيون الجدد(٣).

تعبيريون ألمان مستقلون

كان هناك عدد من الفنانين الكبار الذين كانوا يعملون خارج



إديك هيكل: «رجلان عند الطاولة»، ١٩١٢م



فرانز مارك: «مصير الحيوانات»

نطاق الجماعات المنظمة قبل الحرب العالمية الأولى، وكان من بين هؤلاء باولا مودرسون - بيكر، وكريستيان رولفس، وكيث كولونيز (١٨٦٧ - ١٩٤٣) التي كانت فنانة تصويرية وفي أعمال الحفر والنقش من الدرجة الأولى، بالإضافة إلى كونها نحاتة، وكان يسيطر عليها ومواس الشعور بمعاناة المعدمين، والاهتمام بالموضوعات القاتمة التي تكرب النفس، مثل المقاساة والموت. وأدى الموت المبكر للفنان باولا مودرسون - بيكر (١٨٧٦-١٩٠٧م)، المولود في «درسدن»، إلى حرمان المذهب التعبيري الألماني من أحد الفنانين الأوائل وأكثرهم غنائية.

وأما بول كلي (١٨٧٩-١٩٤٠م) المولود في سويسرا، فقد كان فنانًا أصيلاً وشاعريًا فذًا وأهم شخصية فنية اتصلت بها جماعة «الفارس الأزرق» على الرغم من أن علاقته بأنشطة العرض لتلك الجماعة وبنظريات كاندنسكي ومارك كانت علاقة عرضية. وكان بول كلي قد اشترك في معرض عام (١٩١٢م) وتوصل، عند حلول السنة اللاحقة، إلى أسلوب تجريدي. وأحسن طريقة لفهم فن بول كلي هو أنه يعدّ شكلاً من أشكال الاستعارة «المجاز» الشعرية أي نظاماً من إشارات خاصة تصل إلى معان كونية. وفي تلك الفترة التي أصبح فيها بول كلي تحت التأثير المباشر لجماعة «الفارس الأزرق»، كتب يقول: «ماأكثر الأدوار التي يجب على الفنان اتّخاذها: شاعر، وعالم في الطبيعة، وفيلسوف» وفي مرة أخرى قال: «ليس على الفن أن يقدم المرئي، وإنما عليه أن يصنع المرئي» وحاول بول كلي ترجمة معانيه المفعمة بالحيوية إلى صور عالمية مملوءة بالإبداع الفني وفي مرة من المرات أشار إلى فنّه، ووصفه بأنه «كتاب من صور كونيّة(٤)».

سعة نطاق المذهب التعبيري

يقول جه - تي - مولر وفرانك آلغرفي في كتابهما «مئة عام من الرسم الحديث»: «إنّ قلة من بين مجموعات الرسامين هي التي قدمت تنويعاً كالذي قدّمه الرسامون التعبيريون. وكان قد جمعهم هدف أساسي واحد: أن يضعوا على القماشة ما يختلج في أعماقهم من أحاسيس، وهم، بهذه الطريقة، عمدوا

إلى تجزئة عناصر الحقيقة المرئية ليصعدوا من قوة التعبير عن أحاسيسهم تلك، وأكثر من أن ينصاعوا إلى ماتفرضه الرؤية عليهم. وقد كانت لأعمالهم نكهة مشتركة خاصة، فهي قاسية وانفعالية، وغالباً ماتكون مؤلمة. ويضاف إلى ذلك أنّ التعميم هنا يكاد يكون مستحيلاً لأنّ بعضهم كانوا في عجلة لكي يكشفوا عن كوامن أنفسهم، فأهملوا بذلك تفيتهم. أما الآخرون فلم يضحّوا مطلقاً بجمالية رسومهم التشكيلية. وبينما بقي بعضهم مخلصاً لمبدأ توزيع الظل والضوء في الصورة والنمذجة وللفضاء المألوف، قامر بعض آخر بالألوان النقية وكان آخرون قد أظهروا تأثراً بالتكعيبية وأضيف إلى هذا كله تعقيد آخر هو أن الحركة ظهرت في عدّة بلدان، فكان أنْ حورت بعض خصائصها بسبب الطابع المحلي في هذا البلد أوذاك.

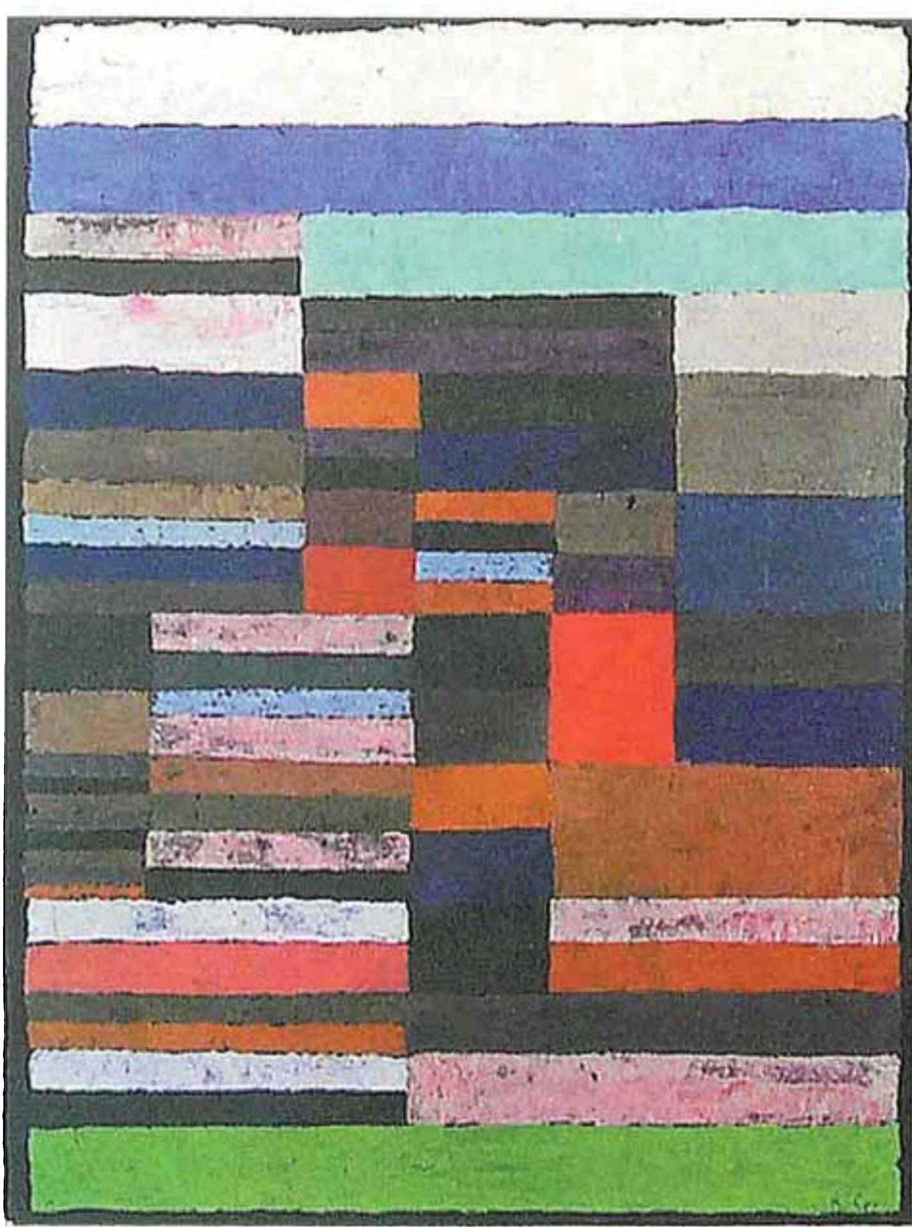
وكان قد نشأ في ألمانيا أعنف شكل من أشكال التعبيرية حتى إنّ التعبيرية كانت قد وصفت بأنها ظاهرة ألمانيّة خاصة، وسمة ثابتة وأساسية في الروح الألمانية، إلاّ أنّ التعبيرية، في الواقع، لم تظهر، أولاً، في ألمانيا، إذ كان من بين رماميها الأوائل من الفنانين الحديثين الهولندي فان جوخ، والبلجيكي جيمس أنسور، والنرويجي إدوارد مونك وكلهم كانوا قد تمرّدوا على الواقعية الانطباعية في فرنسا، ومهّدوا الأرض للتعبيرية.

وكان مونك (١٨٦٣ ـ ١٩٤٤م) قد قصد باريس لأنه أعجب بالرسام فان جوخ، وسيرا، ولوتريك، والنابيين، وكان معرضه الأول الذي نظّمه في عام١٨٩٢م، في برلين قد أثار ضجة واسعة، ولكنّه، على الرغم من ذلك أرسى قواعد شهرته في ألمانيا وسرعان ماأوجد تاثيراً «عميقاً» في الفنانين الشباب.

شهدت «درسدن» في عام ١٩٠٥م، ظهور المجموعة التي رفعت لواء التعبيرية الألمانية أول مرة وعرفت باسم «الجسر». وكانت تضم في البداية أربعة فنانين من الشباب



إميل نولده: «العشاء الأخير»، ١٩٠٩م


بول كلي: «قياس ارتفاعات الأشرطة»، ١٩٣٠م

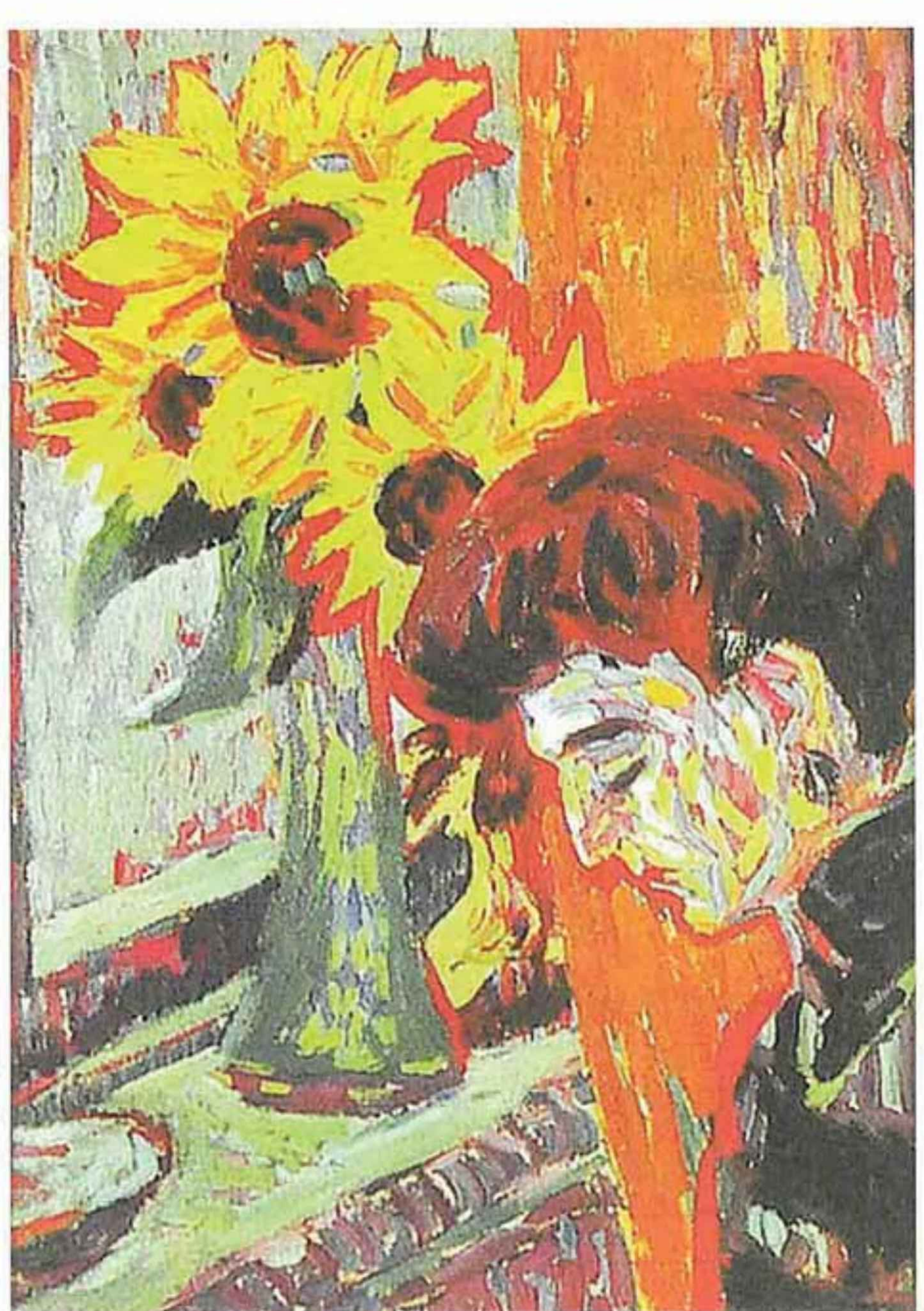
هم: فريتز بليل، وإيرنست لودفليك كرشنر، وإيريش هيكل، وكارول شميدت روتلوف، والتحق بهم بعد ذلك ماكس بكشتاين، وأوتو مولر، وفترة قصيرة الفنان أميل نولده. استقت المجموعة توجُّهاتها من «مابعد الانطباعية» ومن الفن الزنجي والباسفيكي، وكذلك من المحفورات الخشبية الألمانية القديمة. ولجأ مؤسِّسو الحركة إلى استعمال ألوان تأتلف وتلك التي استعملها الوحوشيون.

وكانت جماعة «الجسر» على صلة بالفنان فان دونغن لكنّهم كانوا أكثر ميلاً إلى اقتفاء أثار فلامنك ولم يسعوا إلى الرهافة في تناغماتهم، بل مارسوا درجات لونيّة حادّة ونافذة وقوية، وكان كرشنر (١٨٨٠/ ١٩٣٨م)، أبرز الرسامين في المجموعة(٥).

لم يمثّل التعبيرية الألمانية في أوج عنفوانها أحد أكثر من أميل نولده(١٨٦٧ - ١٩٥٦م). وكان أميل نولد قد عالج موضوعات دينية تعرض الحواريين والمصلحين بجماليّة خرقاء، ورسم روّاد النوادي الليلية التافهين في برلين، ورسم المشاهد الطبيعية بسماواتها المعذّبة التي تبعث الغمّ في النفوس بعتمتها أو بإضاءتها الدرامية. وفي كل ذلك، حاول «أميل نولده» دائماً أنْ يدهشنا.

وفي «التعبيريّة» التي يقدّمها لنا الفنان النمساوي أوسكار كوكوشكا (١٨٨٦ - ١٩٨٠م)، معاناة أكثر وبدائية أقلّ وهي تحتوي أيضاً على خصائص صورية أغنى. وكان كوكوشكا قد بدأ برسم صور الأشخاص، ولكنْ ليس هناك رسّام معاصر عمَدَ إلى رسم صور للأشخاص بمثل تلك الهلوسة الفريدة التي تكشف عن أعمق الحقائق النفسية لأنه كان يصوِّر «يرسم» الفنانين والمثقفين الذين كانوا يجلسون أمامه بروح «فرويدية» وكأنّما كان يحلّل شخصياتهم. كان كوكو شكا ينفذ إلى أعماقهم ويميط اللثام، بحدسية خارقة، عمّا هو كامن في قلوبهم المغتمّة العليلة المتوترة.

ومن المألوف أنْ ينضوي تحت لواء «التعبيريّة» أولئك


أرنست لودفج كرشنر: «إمرأة أمام إناء للزهور»، ١٩٠٦م

مشبّعة بالرومانسية المندفعة، وكان الاثنان قد أمضيا في باريس بعض الوقت، وتأثرا بفن ماتيس، بينما كان أصدقاؤهما من الألمان، مثل فرانز مارك، وأوغست ماك، وبول كلي، على صلة بالرسام ديلوني. وسرعان ماقتل مارك، وماك، في الحرب العالمية الأولي قبل أن يتسنّى لهما إنتاج صور وافرة. وأما بول كلي وكاندنسكي فقد كانا من بين أكثر الفنانين أصالة وابتكاراً في عصرنا.

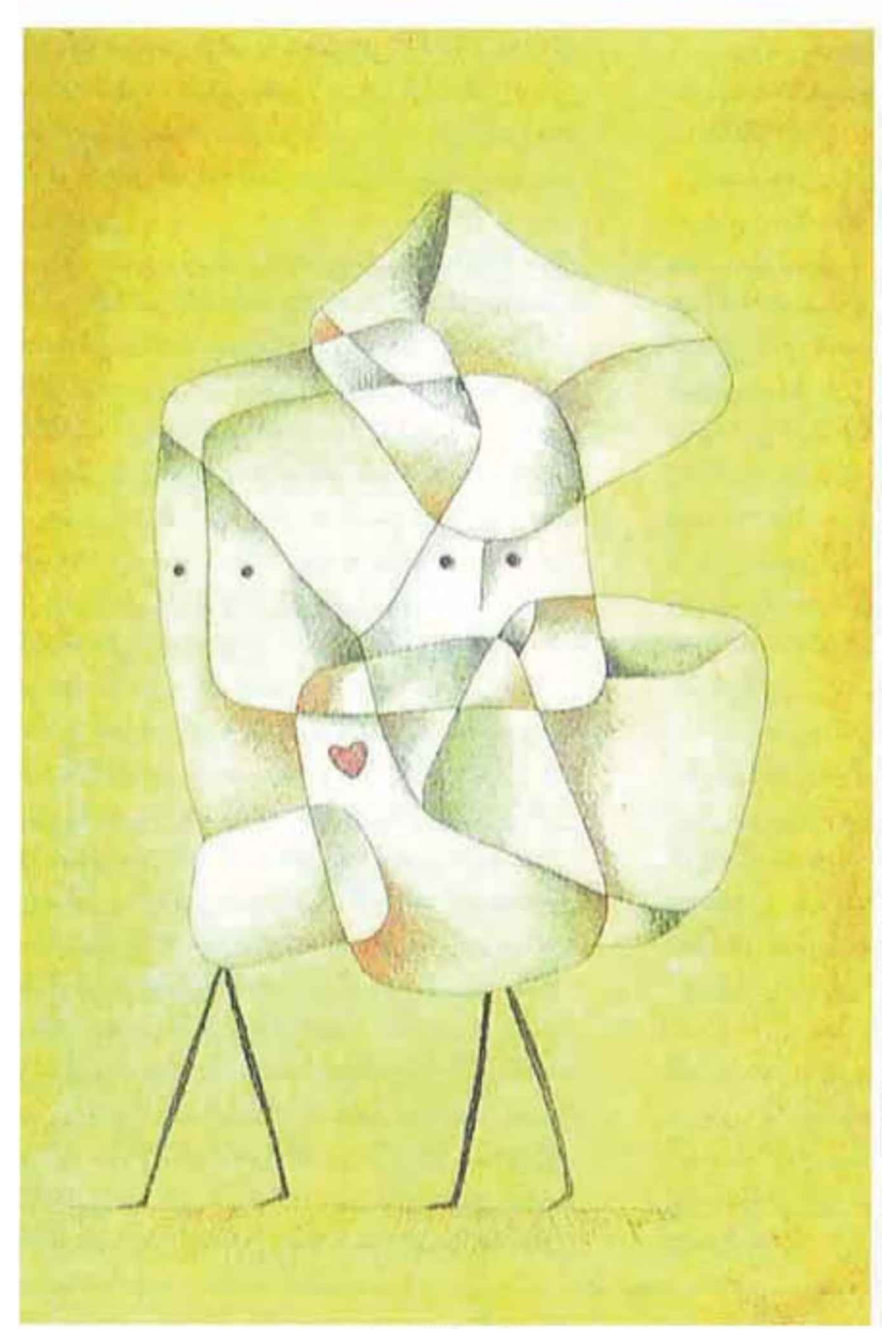
لم تضع الحرب (١٩١٤ ـ ١٩١٨) حداً للتعبيرية غير أنه، ومن المؤكّد، أنّ جماعاتها قد تفرقت في ألمانيا على الرغم من أن المنتمين إليها لم يغيروا أسلوبهم. لقد دفع الجيشان الذي أعقب الحرب فناناً، مثل بيكمان، إلى نوع مغاير من الفن بعيد عن فن«كرشنر»، أو فن نولده، ولكنّه كان لم يزل تعبيرياً، وانبثقت مراكز فنيّة مماثلة في مناطق أخرى، ولاسيما في بلجيكا، في فلاندرز، حيث اتخذ الرسم التعبيري واحداً من أهم مظاهره المقنعة. وفي الواقع، كانت التعبيرية قد عرفت هناك قبل مايقرب من ثلاثين عاماً

الرسامون الذين أسّسوا «اتحاد الفنانين الجدُد» في عام ١٩٠٩م، في ميونيخ والذي صار يُعرف، بعد مرور عامين من ذلك التاريخ، باسم جماعة «الفارس الأزرق». وفي استطاعتنا أن نضمّ إليهم أيضاً الرسامَين الروسيَين جاولينسكي، وكاندنسكي، اللذين كانت إيقاعاتهما، في بعض الفترات،

بفضل جيمز إينسور (١٨٦٠ـ ١٩٤٩م) أحد روّاد الحركة في نطاقها العالمي. وأولئك الذين عاصروا العشرينيات من القرن العشرين كانوا أهم عناصر التعبيرية الفلمنكية وهم « فرنز فان دين بيرغ، و«كونستانت بيرميكه، وغوستاف دي سميث. لم يكونوا يملكون الألوان الخفية الفاتحة التي ملكها إينسور، ولم

يملكوا موهبته الساحرة، ولكنَّهم كانوا يتكلمون لغة أكثر خشونة، وطغى اللون البنِّي على ملونتهم، وعكفوا على استغلال التضادّ الدرامي بين الضوء والعتمة، ولجؤوا إلى التعبير عن قلقهم وتشاؤمهم، ولكنهم كانوا أقل تمزُّقًا من التعبيريين الألمان(٦).

يقول هربرت ريد، في كتابه «الفنّ الآن»: إنه يقترب من جماعة «الجسر»، أولئك الفنانين الذين تجمع مابينهم تقاليد روحية كانت تشيع في كل الفنون التي كانت في ألمانيا. ولم يكن هؤلاء يشكّلون فئة واحدة بالمعنى النظامي الواعي، وإنما هي كانت تضم ثلاثة أو أربعة من الفنانين الذين كانوا يتصفون بنوع معين من واقعية عنيدة - أو كلبيّة سخرية وتهكُّم - كانت بمنزلة احتجاج اجتماعي أدَّت تجربة الحروب إلى جعله احتجاجًا شديدًا. وكان الفنانون الذين أشير إليهم - وهم ماكس نجمان، وأوتوديكس، وجورج غروز- قد ولدوا جميعهم في عام ١٨٩٠م، تقريبًا. وقاموا كلّهم بوضع رسوم عن الحرب تتضمن اشمئزازًا من الحرب لايضاهيه أيُ اشمئزاز في أيّ قطر. وكانت عبارة «الموضوعية الجديدة» قد صيغت لوصف هؤلاء الفنانين، وكان صاحب تلك العبارة هو الدكتورهارتلوب مدير صالة الفن في «مانهايم» والذي شرح ذلك الاتجاه بالطريقة التالية: «يجب استخدام هذا التعبير في وصف ذلك النوع من الواقعية الحديثة التي تحمل نكهة اشتراكية. ويرتبط هذا التعبير بالشعور العام السائد في ألمانيا والمتمثّل بالاستسلام والكلبيّة «السخرية والتهكُّم» بعد فترة من آمال عريضة وجدت لها متنفساً في «المذهب التعبيري».



بول كلي: «أقرباء»، ١٩٣٠م

وتشكل السخرية والتهكُّم والإذعان الجانب السلبي في «الموضوعية الجديدة». ويعبُر الجانب الإيجابي عن نفسه في الحماسة إلى الوصول إلى الحقيقة المباشرة أي نتيجة الرغبة في أخذَ الأمور بشكل موضوعي تماماً وعلى أساس مادي دون استثمارها استثماراً مباشراً وبمضمونات مثالية. وهذا الشرح يوضح تمام التوضيح اتجاه تلك الجماعة من الفنانين. ولكن

مثل هذا النوع من الواقعية - والتي هي تهكّمية ساخرة في جوهرها سوف لا يكون مقبولاً من قبل أولئك الذين يريدون للفن أنْ يكون عذبًا أو جميلاً وبالمعنى الكلاسيكي. وليس هناك ماهو أبدع من الفكاهة الساخرة التي يمارسها سويفت، أو رولاندسون.

ولكنْ عندما يقوم الرسام جورج غروز بمهاجمة أشكال الرياء والتظاهر الكاذب بالفضيلة، وهي الأشكال المستقرة عميقًا في حياتنا الاجتماعية فسوف لا يلقى ذلك قبولاً إلاّ في إطار مزاج من تقشّف روحي ولو أنّ تقنيته المفعمة بالحس تملك جمال الجرّاح الرفيع المستوى وفي كل مكان.

وعلى الرغم من أن «الموضوعية الجديدة» لم تعدُ صيحة من صيحات الحرب، وعلى الرغم من أنّ «التعبيرية» عمومًا كانت، فترة من الزمن، بدعة سياسية في ألمانيا، غير أنّ الحركتينْ كانتا تشكّلان إغراء عظيم القوة للمزاج الإسكندنافي بحيث لايمكن عدها مرحلة من المراحل العابرة في الفن الحديث. وقد كانتا حركتينْ متشابهتين جداً في التاريخ الفني في أوربا الشمالية. ولم تكن قيم «الموضوعية الجديدة» ذات جماليّة صرف، ولم تكن كذلك قيم فان آيك، وبروجل، ورامبرانت وفنانين شماليين آخرين كثيرين الذين هم يستخدمون تقنية الرسم ليس بهدف خلْق شيء جمالي، وإنما ليكون الرسم وسيلة لإيصال العواطف التي يشعرون بها وبشدّة طاغية. وهناك مالايقلّ عن طرازين من الفن: طراز الرؤية الفكرية الذي يتمثل هدفه بالجمال المطلق، وطراز التعبير العاطفي الذي يتمثّل هدفُهُ بإيصال الشعور بالمشاركة الوجدانية وهو طراز روبنز ولكنّه أكثر انطباقًا على رافائيل، وأساتذة الرسم العالميين الإيطاليين بصورة عامة. وطراز فان آيك وكذلك هو طراز بيكاسو، وبراك، ونولده، وروو. حتى حركة العصيان الكامل المعروفة باسم «السريالية» في فرنسا هي حركة تدخل ضمن هذا الطراز لأنها نوع من تعبيرية عاطفية حتى عند وجوب وصف هدفها بأنه الشعور بعدم التعاطف، وليس الشعور بالتعاطف(٧).

ويتحدّث هربرت ريد كذلك، في كتابه «الفن الآن»، عن الفنان أميل نولده. فيقول :إنّ أعماله تتصف بخصائص خاصة جداً بحيث لا يمكن شمولها بالوصف العام الذي ينطبق على جماعة «الجسر». وأميل نولده هو واحد من أهم الفنانين الحديثين الألمان إذْ هو رسام ذو فاعليّة، وهو مصممٌ ذو قوة في تصاميمه، وهو بارز جداً في استخدام الالوان. وفي السيرة الذاتية التي كتبها نولده، قام بتحديد موقفه من الفن في جمل قليلة لكنّها ذات دلالة على المدرسة الألمانية بصورة عامة فقد كَتَبَ نولده يقول: «يجب أنْ يكون فن الفنان نابعاً منه، ويجب أنْ يكون المظهر الخارجي لهذا الفن، وكما أعتقد، سلسلة مستمرة دائماً من قليل من الابتكارات، وقليل من الإكتشافات التقنية لقدرات الفنان نفسه فيما يتصل بعلاقة الفنان بالوسيلة والمواد والألوان. والشيء الذي يتعلّمه الفنان هو أمر قليل الأهمية. والشيء الذي يكتشفه هو بنفسه سيكون هو ذا القيمة الحقيقية للفنان وهو الذي سيزوّده بالدافع اللازم الذي سيدفعه إلى العمل. وعندما يتوقف مثل هذا النشاط الخلاق، وعندما لا تكون هناك صعوبات أو مشكلات أخرى خارجية أو داخلية محتاجة إلى حلّ، عندئذ سرعان ماستخمد الحماسة، ولم تكن القدرة على التعلّم من علامات العبقرية في يوم من الأيام».

وعندما برزت إلى الوجود جماعة «الجسر»، أخلصَ لها نولده لمدة سنتين فقط. وفي عام ١٩١٣م، قام برحلة إلى البحار الجنوبية «جاوه، وبيرما». ومن المؤكد أنْ تلك التجربة قد أثرت في تطوره اللاحق. وقد تمثّل تأثير تلك التجربة بشحذ حساسية نولده تجاه الألوان ومنحته إحساسًا بسحر غريب جداً، ووجد الإشبـاع في النور الطاغي والروعة البربرية في المناطق الاستوائية(٨).

المراجع

1 - William Fleming, Arts & Ideas, 6 th edition, 1980, Holt/ Rinehart and Winston, U.S.A.

٢. المصدر نفسه.

2 - Sam Hunter & John Jacobus Modern Art, Second Editon, Harry Nf Abrams, Newyork, 1985.

٤. المصدر نفسه.

٥. جه. تي. مولر / فرانك ألفر. «مئة عام من الرسم الحديث»، ترجمة فخري خليل ومراجعة جبرا إبراهيم جبرا، دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد، عام١٩٨٨م، الصفحات(٩٩،١٠٤).

٦. المصدر نفسه.

٧. هربت ريد، « الفن الآن»، ترجمة فاضل كمال الدين دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، عام٢٠٠١م، الصفحات (٧٥،٧٦).

٨. المصدر نفسه ، الصفحات(٧٣،٧٤).



أسماء الفائزين في مسابقة العدد (٣١١)

جمادى الأولى ١٤٢٣هـ - يوليو / أغسطس ٢٠٠٢م

الفائز الأول: **فتحي يوسف محمد حسن - الأقصر - مصر.**

الفائز الثاني: **نبيل بديع دالاتي طرابلس - لبنان.**

الفائز الثالث: **نائل سليمان جبارة - عمان - الأردن.**

الفائز الرابع: **محمد علي عزيز النائب - صنعاء - اليمن.**

الفائز الخامس: **رشيدة ناضر - الدار البيضاء - المغرب.**

الفائز السادس: **الهادي بن الطاهر إبراهيم - أريانة - تونس.**

الفائز السابع: **عزة محمد عماد محمد - القاهرة - مصر.**

الفائز الثامن: **عبدالحفيظ إسماعيل أحمد الجرادي - صنعاء - اليمن.**

حل مسابقة العدد (٣١١)

١- رأى شبحًا وسط الظلام فراعهُ
فلما بدا ضيفًا تشمّر واهتمّا

قائل البيت هو: الحطيئة.

٢- التروبوسفير: الطبقة السفلى من الغلاف الجوي.

٣- بديع الزمان الهمذاني: **كاتب عربي مؤسس فن المقامة في الأدب العربي.**

٤- حجر الفلاسفة: **حجر خيالي اعتقد أصحاب الكيمياء القدامى أنه قادر على تحويل المعادن الخسيسة إلى ذهب أو فضة.**

٥- تريم: مدينة قديمة من أشهر مدن حضرموت في اليمن.

أسئلة مسابقة العدد (٣١٤)

ضع علامة ✓ أمام الإجابة الصحيحة:

(١) من قائل هذا البيت: **هبطت إليك من المحل الأرفع ورقاء ذات تعزّز وتمنّع**

- ابن سينا
- النابغة الذبياني.

(٢) ذهب الراين:
- أوبرا من شعر وموسيقى ريتشارد فاجنر
- فيلم سينمائي بطولة صوفيا لورين.

(٣) ستراتيغرافيا:
- علم يدرس الصخور الرسوبية
- علم يدرس تأثير التلوث البيئي.

(٤) بجاية:
- مدينة جزائرية على البحر المتوسط
- قبيلة في شرق السودان.

(٥) السميدع:
- من أسماء السيف
- الرجل الشجاع.

الاسم: **المدينة:** **ص.ب:** **هاتف:**

العنوان: **الدولة:** **الرمز البريدي:** **ناسوخ:**

■ نأمل من الإخوة الذين يشاركون في المسابقة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني حسب أوراقهم الثبوتية ليسهل على الفائزين صرف مكافآتهم.



شروط المسابقة

- الإجابة عن جميع الأسئلة بشكل صحيح.
- لا تقبل إلا الإجابات المدونة على هذه القسيمة.
- إرسالها خلال ٤٥ يوماً من بداية الشهر العربي الذي صدر فيه العدد.
- أن يكتب المتسابق اسمه وعنوانه كاملاً داخل القسيمة.
- أن يكتب على الظرف (مسابقة العدد .....).

طريقة اختيار الفائزين

- تفرز جميع القسائم التي ترد من القراء.
- يتم استبعاد القسائم التي تكون ناقصة الإجابات.
- تجمع الإجابات الصحيحة، وتعمل قرعة بينها للفائز الأول، وقرعة أخرى للفائز الثاني، ثم قرعة للفائز الثالث، وهكذا إلى الفائز الثامن.
- ترسل الجوائز إلى أصحابها فور الوصول إلى النتيجة، وتدفع بالريال السعودي أو ما يعادله بالدولار الأمريكي.

مضاعفة جوائز المسابقة

استجابة لرغبات عدد كبير من الإخوة القراء المتابعين للمسابقة والتي عبروا عنها من خلال الرسائل الكثيرة التي ظلت ترد إلى المجلة، ولإتاحة فرص الفوز بالجوائز لعدد أكبر منهم، فقد تمت مضاعفة عدد هذه الجوائز ابتداءً من العدد ٢٩٦ لتصبح على النحو الآتي:

الجائزة الأولى: ١٠٠٠ ريال.
الجائزة الثانية: ٧٠٠ ريال.
الجائزة الثالثة: ٥٠٠ ريال.
الجائزة الرابعة: ٤٠٠ ريال.
الجائزة الخامسة: ٢٥٠ ريالاً.
الجائزة السادسة: ١٥٠ ريالاً.
الجائزة السابعة: (اشتراك لمدة عام في مجلة الفيصل).
الجائزة الثامنة: مجموعة من أعداد الفيصل وبعض إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

ولا يخفى على القارئ المتابع أن الجوائز المستحدثة هي الرابعة والخامسة والسادسة والثامنة.
والفيصل، مع شكرها لكل الإخوة الذين يشاركونها الرأي في تطوير أبوابها، تأمل أن تكون عند حسن ظنهم دوماً، مع تمنياتنا حظاً وافراً لجميع القراء الأعزاء.

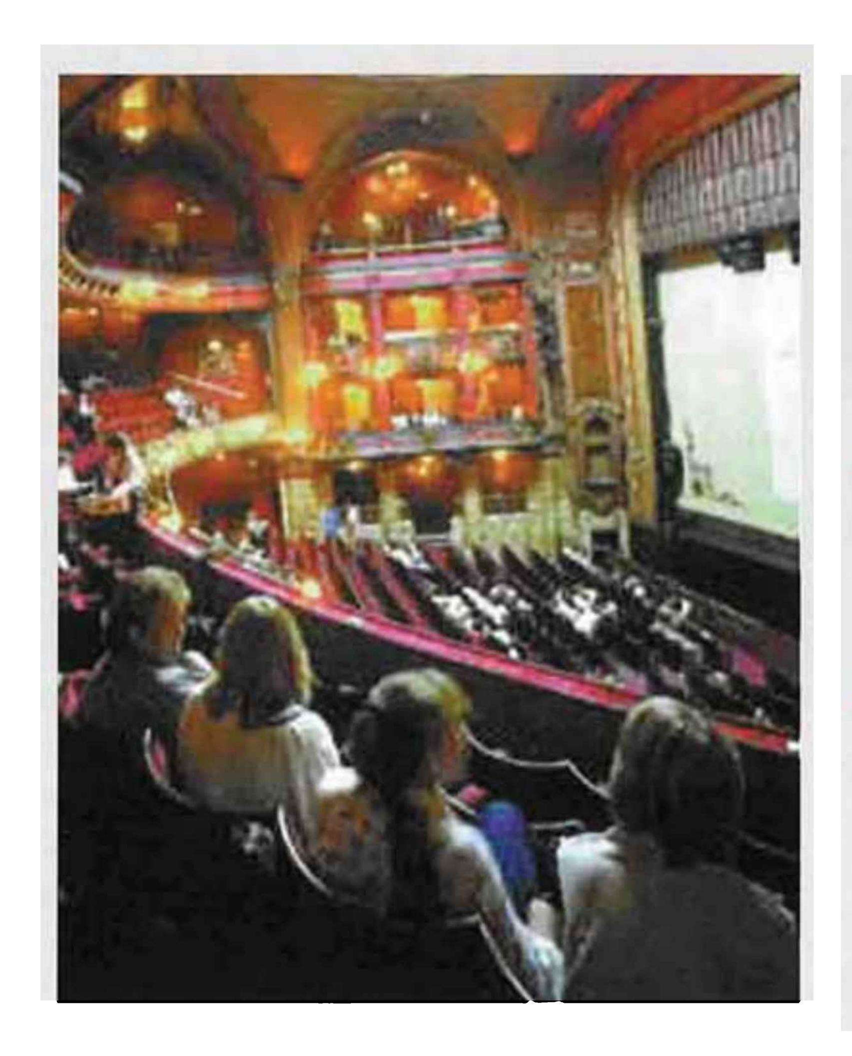
عنوان المجلة:

ص.ب(٣) ـ الرياض ١١٤١١ ــ المملكة العربية السعودية. هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ / ٤٦٥٣٠٢٧ ــ ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١



انشطار

عبدالله سعد اللحيدان
الرياض ـ السعودية



غنّتْ لـ «زمانٍ»
فاشتعلتْ
في الجوقةِ
شمعتُها
شاطرها الجمهورُ
القاعةَ
تضبط إيقاعَ الأنفاسِ
الليلُ خفيفٌ
في آخر كُرسيّين
انشطرا
يدها شاطرت المسندَ
لا يستمعان
وداعًا للناسِ
وكأسُ العتمةِ
مسكوبٌ
في الإحساس

رشا

عبدالله رمضان عيادة

البصرة - العراق

(١)
بنيتي
«رشا ...»
أمنحها حبي،
أسكنها قلبي،
تتخطى مثلي،
الأيام اللاتنسى
... أياما
تأكل فيها الأنثى
من ثدييها جوعا،
.. بؤسا،
.. حرمانا،

(٢)
أياما.. كانت خضرا
مرابعنا،
لاتسقط منا دمعة حزن
لانقطف زهرات الحب،
لانعرف لونا للحزن ..
بالفرحة نحيا
بالسؤدد والبشر
زمنا .. يجعلني أكتم
.. غيظي،
.. سري،
.. نجواي،
.. همومي،
.. بوحي
.. أمري:!
أتجمرُ في مجمرة
الجمر!
رمادا ..رفاتا،
.. وفي البدء،
جئتَ سليما،
معافى !!
لأفتح نافذتي إلى
البحر،
والريح
في غبش الصبح ..
عندَ إطلالة أول
نور بهيٍّ،
أشمّ عبيرَ الندى
من البحر، يأتي
إليّ
نديّا هواهُ
لتغمرني نسائمهُ
أريج،
الصبا،
أمسحُ فيه عذابات
.. روحي،
.. أساها،
وتملؤني فرحا
أساريره،
وابتهاجا،
لنفسي وانشراح
النفوس،

(٣)
- وها أنّي ..
يطربُني صوتٌ،
ناطورنا
يغني من القلب
للقلب،
ليلاهُ،
.. أشواقهُ،
.. يبثُّ
.. جواهُ،
.. وآلامهُ
ينشرُ أسرارهُ ...
إلى النهر، والنخل،
والطير، بدء الخرير،
تعالى ببستاننا
.. عند أرض «كمال»
هوَ الآن ..
مملكة من الغابات،
تكتضُ بالقصب،
الوسيم !!
على الضفتين،
سهارى
عند ابتهاج الطيور

(٤)
.. لكن رشا،
تهمس في أذني
أبتي:!
لا تحمل همّا، حزنا،
لاتلوي للريح ذراعا
لا تهزمْ .. أو تهرمْ
لا أن تبقى في
القلب تشيخ !!

معذرة

أعشى همْدان*

طلبتَ الصِّبـا إذ علا المَكْبَرُ،
وشابَ القَذالُ وما تُقْصِرُ(١)
وبانَ الشَّبابُ ولذّاتُه،
ومثلُكَ في الجهلِ لا يُعْذَرُ
وفي أربعينَ تَوَفَّيْتَها
وعَشْرٍ مَضَتْ ليَ مُسْتَبْصَرُ
وموعظةٌ لامرئٍ حازمٍ
إذا كانَ يَسْمعُ أو يُبْصِرُ
فلا تأسَفَنَّ على ما مضى،
ولا يَحْزُنَنْكَ ما يُدبِرُ
فإنّ الحوادثَ تُبْلي الفتى،
وإنّ الزمانَ به يَعْثُرُ
فيوماً يُساءُ بما نابَهُ،
ويوماً يُسَرُّ فمُسْتَبْشِرُ
فإن أمسِ قد لاحَ فيَّ المشيـ
ـبُ، أمَّ البنينَ، فقد أذكُرُ
رَخاءً من العيشِ كنّا به
إذِ الدهرُ خالٍ لنا مُصْحِرُ(٢)
وإذا أنا في عُنْفُوانِ الشبا
ب يُعْجِبُني اللهوُ والسُّمَّرُ(٣)
أصيدُ الحِسانَ ويَصطَدْنَني،
وتُعْجِبُني الكاعبُ المُعْصِرُ.
وبيضاءَ مثلَ مَهاةِ الكثيـ
ـبِ لا عَيْبَ فيها لمن ينظرُ(٤)



كأنَّ جَنَى النحلِ والزنجبيـ
ـلَ والفارسيةِ(٥) إذ تُعصَرُ
يُصَبُّ، على بَرْدِ أنيابها
مُخالِطَه المسكُ والعنبرُ
فَتُورُ القيامِ، رخيمُ الكلا
مِ يُفْزِعُها الصوتُ إذ تُزْجَرُ
فتلكَ التي شَفَّني حُبُّها
وحَمَّلَني فوقَ ما أقْدِرُ
فلا تَعْذُلاني في حُبِّها
فإنّي بمعذرةٍ أجدرُ

الهوامش

* هو عبدالرحمن بن عبدالله بن الحارث الهَمْداني: شاعر اليمانيين بالكوفة، وفارسهم في عصره. ويعد من شعراء الدولة الأموية. كان أحد الفقهاء القرّاء، وقال الشعر فعرف به. وكان من الغزاة في أيام الحجاج، غزا الديلم، وله شعر كثير في وصف بلادهم ووقائع المسلمين معهم. ولما خرج عبد الرحمن بن الأشعث انحاز الأعشى إليه، واستولى على سجستان معه، وقاتل رجال الحجاج الثقفي، ثم جيء به إلى الحجاج أسيراً بعد مقتل ابن الأشعث، فأمر به الحجاج فضربت عنقه.

١. كبر كبراً ومكبراً: طعن في السن وشاخ. القذال: مؤخر الرأس، وهو آخر ما يشيب من شعر الرأس. أقصر: رجع عن الجهل وأفعال الصبا.
٢. مصحر: متسع وبعيد عن الناس (الرقباء).
٣. السُّمَّر: (بتشديد الميم) جمع سامر: الساهر بالليل.
٤. المهاة: الظبية. الكثيب: تلة الرمل.
٥. الفارسية: الخمر.

[تاريخ الأدب العربي لعمر فروخ
دار العلم للملايين - بيروت، ط٤، ١٩٨١م].



أنطون تشيخوف

ترجمها عن الروسية: عبدالله بن أحمد باوزير
الرياض - السعودية

فيودر بتروفتش مدير المدارس الأهلية بمحافظة «ن» يعدّ نفسه عادلاً وكريماً وذا أريحيه، قابل بمكتبه ذات مرة المدرس فريمنسكي.

- لا، يا سيد فريمنسكي، قالها هو، الاستقالة لا محالة منها. بمثل هذا الصوت الذي معك مستحيل مواصلة مهنة التدريس. ولكن قل لي كيف فقدته؟

- جعة باردة، تتصبب رشحًا شربتها. قالها المدرس همسًا.

- يا للأسف! خدم الإنسان أربعة عشر عامًا، وفجأة هذه المصيبة! الشيطان وحده يدري بسبب شيء تافه.. يحطم الإنسان مستقبله. والآن ماذا تنوي أن تفعل؟

ولم يرد المدرس بشيء.

- أأنت متزوج؟ سأل المدير.

- زوجة وطفلين يا صاحب السعادة.. همس المدرس، وساد الصمت، ونهض المدير من كرسيه، وأخذ يذرع المكان بقلق من زاوية إلى زاوية..

- حيرتني، لا أدري ماذا أفعل لك؟ مدرسًا لا تستطيع أن تكون، أغنيتك لم تستطع أن تكملها بعد.. وقذفك إلى مصير مجهول حيث لا أحد يعلمه أمر غير لائق. أنت بالنسبة لنا من ناسنا. خدمت أربعة عشر عامًا، وهذا يعني أننا يجب أن نساعدك، ولكن كيف؟ ماذا أستطيع أن أقدم لك؟ فلتكن في مكاني ماذا أستطيع أن أقدم لك؟

وساد الصمت والمدير يتحرك، جيئة وذهابًا، وهو يفكر، أما فريمنسكي وقد هده الحزن من مصيبته، جلس على طرف الكرسي، يفكر أيضًا وفجأة ابتهج المدير، ومن فرحه بأصابعه طرْطق.

- عجبي! لماذا لم أتذكر هذا من قبل! بدأ المدير بالحديث بسرعة. اسمع ما أعرضه عليك.. عندنا في الملجأ في الأسبوع القادم سيتقاعد الكاتب، وبإمكانك أن تتقدم لها.

لقد ابتهج فريمنسكي، فلم يكن يتوقع هذه المنة.

- عظيم، قال المدير - اليوم إذًا عليك بكتابة الطلب.

وبعد أن سمح لفريمنسكي بالذهاب، شعر فيورد بتروفتش بالارتياح وحتى بالرضاء، إذْ لم تعد أمامه تلك القامة المنحنية للمربي الهامس.

ولكم هو مفرح الإحساس بعرضه الوظيفة الشاغرة على فريمنسكي، فلقد أحس حينها بأنه تصرف بعدل، وكما أملى عليه ضميره، كإنسان مستقيم وطيب. ولكن هذا الابتهاج لم يستمر طويلاً. فعندما عاد إلى منزله وجلس لتناول غذائه، فجأة تذكرت زوجته ناتاسيا إيفا نوفنا:

- آه، كدت أنسى، البارحة مرت عليّ نينا سيرجيفنا، وطلبت خدمة لشاب. يقولون، عندنا في الملجأ وظيفة شاغرة..

- نعم، ولكن هذه الوظيفة موعود بها شخص آخر، تحدث المدير وهو عابس - وبالمناسبة أنت تعرفين مبدئي، أنني لا أعطي مكانًا لأحد بالمحسوبية.

- أدري، ولكن لنينا سيرجيتنا يفترض أن نعمل لها استثناء. إنها تحبنا كأهلها. ونحن حتى الآن لم نفعل شيئًا طيبًا، ولا تفكر يا فيديا أن ترفض! بتصرفاتك هذه ستجرحها وتجرحني.

- وهي توصي بمن؟

- بلزوخين.

- أي بلزوخين هذا؟ أليس ذلك الذي عزف مجموعة تشاسكي في حفلة رأس السنة، ذلك السيد؟! لا، مستحيل.

وامتنع المدير عن الأكل.

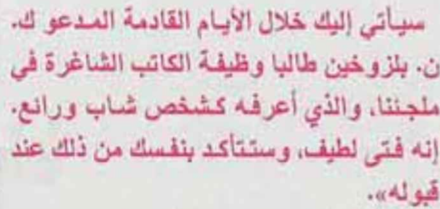
- لا مستحيل - أعادها ثانية، احفظني يارب!

- ولكن لماذا؟

- إفهمي يا عزيزتي، ماذا يعني تصرف إنسان شاب عبر النساء، وليس مباشرة، يعني أنه حقير، لماذا لم يأت إليّ هو بنفسه؟

وبعد الغذاء تمدد المدير على الأريكة في غرفته وبدأ بقراءة الجرائد والرسائل المستلمة:

«عزيزي فيودر بتروفتش! - هكذا بدأت خطابها زوجة رئيس مجلس المدينة - لقد قلت ذات مرة بأنني خبيرة بالنفس البشرية وعالمة بالناس، والآن جاء دورك لتحقق من ذلك عمليًا.



سيأتي إليك خلال الأيام القادمة المدعو ك. ن. بلزوخين طالبا وظيفة الكاتب الشاغرة في ملجئنا، والذي أعرفه كشخص شاب ورائع. إنه فتى لطيف، وستتأكد بنفسك من ذلك عند قبوله».

لن أقبله ! قالها المدير - احفظني يا إلهي.

وبعد ذلك لم يمض يوم دون تسلم المدير رسائل توصي ببلزوخين وذات صباح جميل تشرف بلزوخين بنفسه، شخص شاب ممتلئ بوجه فارس، حليق وببذلة سوداء جديدة.

- بكل مايتعلق بالعمل أنا لا أقابل أحداً هنا، بل في المكتب قالها بجفاء بعد سماعه طلبه.

- عفواً ياصاحب السعادة ولكن معارفنا نصحوني أن اتجه لمقابلتكم هنا بالذات.

- هـ.....م.

تمتم المدير وبسخط وبكره نظر إلى حذائه المدبب:

- حسب علمي أن عند أبويك ثروة، وأنت غير ذي حاجة ، فلأي شيء؟ تطلب هذا المكان؟ فالأجر هنا بضع دريهمات .

- أنا لا أبحث عن المرتب ... ولكن هكذا وبالمناسبة الوظيفة حكومية .

- هكذا ... إذا أظن، أنه بعد شهر ستمل هذه الوظيفة وتتركها وبالمناسبة هناك مرشحون تعني الوظيفة لهم وظيفة العمر ... هناك فقراء بالنسبة لهم ...

- لا لن أملّ، يا صاحب الفخامة - قاطعه بلزوخين - كلمة شرف سأبذل كل جهدي.

وانفجر المدير غاضباً:

- اسمع، قالها وهو يبتسم باستخفاف - لماذا لم تتجه إليّ مباشرة ووجدت من الضروري أن تزعج الهوانم.

- لم أكن أعرف أن هذا سيضايقك - أجاب بلزوخين - وارتبك، ولكن ياصاحب الفخامة إذا لم تعيروا أي اهتمام رسائل التزكية فبمقدوري أن أعرض عليكم شهادة تقديرية...

وسحب من جيبه ورقة وقدمها للمدير على الشهادة المكتوبة وبخط نمطي مكتبي كان توقيع المحافظ، ويبدو أن المحافظ وقع على الشهادة دون قراءة لها، ولكن للتخلص فقط من سيدة لجوجة قدمتها له...

- ليس هناك مفر! حاضر ... قال المدير بعد قراءته للشهادة وتنهد - غداً قدم طلب ... ليس هناك مفر.

وعندما غاب بلزوخين انتاب المدير إحساس كلي بالقرف.

- ياللدناءة والسخف - هراء - أنّ المدير وهو يذرع المكان جيئة وذهابا - حصل على مبتغاه هذا النذل الحقير، مُرضي النساء، وبصق بقوة على الباب الذي اختفى وراءه بلزوخين.. وفجأة ارتبك المدير واضطرب لأنه في تلك اللحظة دخلت عليه زوجة مسؤول خزينة الدولة.

- أنا للحظة، للحظة فقط، بدأت السيدة حديثها.. اجلس أيها الأب واسمعني جيداً.. أس س س .. يقولون: إن عندكم وظيفة شاغرة فغداً، أو بعد غد سيأتيكم شخص شاب يدعى بلزوخين...

شقشقت السيدة بكلامها، أما المدير فقد نظر إليها بعيون زائغة كمن سيفقد وعيه، وللمجاملة فقد ارتسمت على محياه ابتسامة.

وفي صباح اليوم التالي عندما استقبل المدير الموظف فريمنسكي في إمارته، تردد كثيراً في قول الحقيقة له بشأن توظيفه، فاعتراه تخبط وزادته حيرة، بماذا يبدأ؟ وماذا يقول؟ لقد أراد الاعتذار للمدرس وقول الحقيقة كاملة له، ولكن لسانه انقبض وتعثرت وثقلت كلسان المخمور - واحمَر صيوان أذنه، وتصبب عرقًا وصار في وضع لا يحسد عليه، وضع مؤلم ومحزن يمثل فيه دور أخرق أمام موظفيه.. وفجأة انتصب واقفًا لا يلوي على شيء، صائحًا بحنق وغيظ:

- لا.. ليس عندي مكان لك - لا، وألف لا... دعوني وشأني لا تعذبوني. أغربوا بوجوهكم.. اعملوا معروفًا!!!

وخرج من مبنى إدارته.

الهوامش

• نشرت هذه القصة ضمن «الأعمال المختارة» لأنطون تشيخوف في لينينجراد عام ١٩٨٣م عن دار نشر «لن. إزدات» صفحة ١١٢. وعلى حد علمي أنها لم تترجم بعد إلى اللغة العربية، وفضلت ترجمة عنوان القصة «الهوانم» بدلاً عن السيدات لأنها أقرب إلى المعنى باللغة الروسية وإن كانت تركية الأصل. [المترجم].

الموت في الحياة

بندر الدوخي
الرياض - السعودية

الطائف..
والزمن صيف..
منطقة «الشفا» لونان من المشاعر...
صخب المصطافين بين الرذاذ والاخضرار..
وصخب في مصحّة الأمراض النفسية...
خطوة واحدة بين الفرح والحزن..
بين الصحة والمرض ...
وذلك المبتسم على القمّة الخضراء مات ولده اليوم في المصحة النفسيّة..
عندما يكون الموت دمعة..
نكون في أقصى حالات الحب..
وعندما يكون ابتسامة...
نكون في أقصى حالات اليأس..
والطفلة الصغيرة تسقط على بعد عشرة أمتار منه..
يركض إليها الأهل في ذعر...
هي أيضًا مصابة بالصرع ...
مسكينة..
حملت العذاب في بذور الطفولة...
وتلوّن خدّه بدموع صادقة..
الطفلة تفسد على الأهل ابتسامة صيف...
وتذكّر البدايات...
كان عمر ولده سنتين يوم تعثّر.. وسقط.. وأغمي عليه...
كانت عثرته في حفل زواج...
صرخة الأم اخترقت بحار العطر والبخور والدفوف والغناء.. والأضواء...
ما أقسى أن يبدأ الحزن من قمّة الفرح ...
حاول الهرب من مخلب الذكريات..
الطفلة..
وحضن الأم..
ودموع كثيرة اختلطت بمطر «الشفا»...
الحب هو الاختبار الحقيقي لمشاعرنا...
ومشاعره في الزواية الحرجة من العذاب واليأس والحب..
عندما سقط الولد قبل عشرين سنة ...
كان شهادة جمال وذكاء...
ويوم انتهى في المصحة النفسيّة...
كان حفنة من العظام والخرافات...
ليتني أنسى مابين البداية والنهاية ...
قالها بإحساس المعاناة الكبيرة...
عشرون سنة...
علّمته الكثير حتى أوشك أن يصبح طبيبًا نفسيًا.. أو فيلسوفًا...
صرخات خمسة قرون تدوّي في سمعه بوجع شديد...
الحياة هي العقل ...
والصرع هو التشوش في الحياة «الموت في الحياة»..



انكسرت يد الولد على عتبة الباب يوم تعثر بالصرع...

فقد عينه اليسرى يوم سقط من السلّم مع الصرع...

لايستطيع أن يواصل الذكريات..

كل ذكرى: مأساة سقوط وإغماء وضرر...

هل هي محاولة تبرير ابتسامة ..؟

أم هي الطفلة بداية الذكرى..؟

ياهذا العمر المسجون في قفص المرض منذ الطفولة حتى الموت..

قدر الله أن تكون عبرة (المعتبر)...

أن تكون ضحيَة ..

أن تكون مصدر عذاب الأهل..

ما لذّة العيش إلا للمجانين...

أكذوبة..

الجنون خلط في المشاعر..

انتفاء التمييز بين مايضر وما ينفع..

وهذه اللّذة..

افتراض شعري شديد الهرب والجبن..

والصرع ليس جنونًا..

إنه لحظات اختلاط تشبه التوقف عند إشارة المرور..

خطورته في مفاجأته..

فيما يترتب عليها من أضرار..

والطفلة تتحرك في أيدي الأهل..

مرهقة من أثر الصرع..

النوم هو الحدّ الفاصل بين الإحساس والألم..

تنتظم أنفاسها..

ينتظم نبض الأهل..

تستعيد ملامحهم بعد البشاشة..

سقوط طفلة يقتل فرحة أسرة..

إنه الحب..

ذلك الذي جعل هذا الإنسان يبتسم في يوم موت ولده..

عندما يكون الموت هو الحياة.. في زمن الموت في الحياة ..



الألوان تقول كلمتها





يسعدني كثيراً أن أمسك قلمي وأخط إليكم؛ لأن التواصل بيني وبينكم يعني لي الكثير، وأقصد ذلك حرفياً؛ لأنه لي الفخر في نشر ما أكتبه على صفحات مجلتي العزيزة.

ولدي ملاحظات وتعقيب على موضوع «الألوان تقول كلمتها» الذي نشر في المجلة في عددها (٣٠١) ولقد تأخرت رسالتي لظروف خارج إرادتي.

فالمقالة التي ترجمها الأخ سعد بساطة تتناول موضوعاً رائعاً، تجعلنا ننتبه لأشياء هي جزء لا يتجزأ من حياتنا يدركها الجميع، ولكن القليل جداً من يلتفت إليها، ويرى إبداع الله فيها.

حيوانات لا ترى الألوان

تناولت المقالة الألوان من جوانب متعددة، واستكمالاً لفائدة القارئ وجدت من الضرورة أن ألقي الضوء على بعض المعلومات حتى تتم الفائدة لمن يرجوها.

فقد ترجم الأستاذ سعد الفقرة التي عنوانها (لعبة الاستغماء)، وبدأها «ليس جديداً القول: إن لدى الكائنات الحية القدرة على التلون بقصد الاختفاء، والقدرة على الرؤية بالألوان..»، كان من الأفضل لو أوضح أن هذه الحقيقة لا تعم جميع الكائنات الحية، وأنه توجد كائنات حية لا ترى الألوان، على الرغم من أنها تفتن في تغيير ألوانها (كالضفادع) والاختفاء عن أنظار صائديها من الكائنات الأخرى؛ وهذا ما أثبته علماء الحيوان.

كذلك من الاعتقادات الخاطئة بين الناس أن الثور يثار عند رؤية اللون الأحمر على قطعة القماش، ولكن الثور لا يرى الألوان. ومن ثم فإنه لا يرى اللون الأحمر في حلقات مصارعة الثيران فهو يثور ويهيج من حركة المصارع بقطعة القماش وتحديه له، وليس من اللون الأحمر.

وعندما تسير ليلاً في الشوارع الرئيسة في مدينة ما تشاهد مختلف أنواع الأضواء الملونة على واجهات المحلات والشارات الإعلانية، والأغلبية من الناس يعتقدون أن الغاز المستعمل فيها هو النيون، ولكن الحقيقة أن لون الضوء المنبعث يختلف تبعاً لأمور كثيرة كالحرارة، والضغط والفولت الكهربائي. فالنيون يبعث ضوءاً أحمر برتقالياً، والأرجون يعطي ضوءاً أزرق محمراً. أما الضوء المنبعث من الهيليوم فهو أبيض أو أصفر.. وأحياناً بنفسجي.

والضوء الصادر عن الكريبتون هو إما أصفر وإما أخضر وإما بنفسجي شاحب. ومن الزينون يكون الضوء إما أزرق وإما أخضر مزرقاً. وتبعث الذرات في هذه الغازات عندما تمرر الكهرباء غبرها(١).

ألوان في البر والبحر

الألوان لها تأثير في حياتنا حتى إن البحار أصبح بعضها لها أسماء تتميز بها.. فهناك بحران يسمى كل منهما بالبحر الأبيض؛ الأول في شمال أوربا وسمي بهذا الاسم لأن مياهه متجمدة وبيضاء معظم أيام السنة، والثاني هو البحر الأبيض المتوسط وسمي بهذا الاسم لأن السحب البيضاء تتكثف في سمائه، ومتوسط لأنه يتوسط قارات العالم القديم الثلاث (آسيا وإفريقية وأوربا).

وأيضاً البحر الأسود سمي بذلك بسبب الغيوم السوداء المتلبدة في سمائه. ولا ننسى أبداً البحر الذي هو جزء من شبه الجزيرة العربية البحر الأحمر الذي أطلق عليه هذا اللون بسبب وجود المرجان الأحمر في مياهه.

وللعلم أن هناك أماكن وأشياء التصقت بأسمائها بعض الألوان فأصبحت تعرف بها دون غيرها، على سبيل المثال لا الحصر؛ البيت الأبيض فقد كان من قبل رمادياً وهو مسكن الرئيس الأمريكي وقد احترق في الحرب البريطانية عام ١٨١٤م، وعند ترميمه وإصلاحه دهنوه باللون الأبيض فاشتهر باسم البيت الأبيض White House.

والحجارة أشكال وأنواع ولكن هناك حجراً متميزاً بلونه.. متميزاً بتاريخه ألا وهو الحجر الأسود الذي في البيت الحرام بمكة المكرمة.

ومن العجيب أن تلقب بعض الأمراض بالألوان مثل (الموت الأسود) وهو الطاعون أطلق عليه هذا الاسم لأن من يصاب به يتحول جلده إلى اللون الأسود، ومن أهم الشخصيات الجليلة التي راحت ضحيته أبو عبيدة بن الجراح وكان في مدينة الرملة في فلسطين.

أما الحمى الصفراء فهي من أمراض الحجر الصحي وبسبب الحمى الصفراء نوع من الجراثيم التي يحملها البعوض، وإذا أصيب الإنسان بهذه الجراثيم فإنها تؤثر في كبده فيدمر الخلايا فيصاب الإنسان بالاصفرار. وبسبب هذه الحمى توقف العمل في شق قناة بنما، ولكن تم شقها بعد فترة من الزمن.

وبما أن (الألوان تقول كلمتها) مقالة عن كاتب غير مسلم فإننا نجد اللمسة الإيمانية مفقودة وأن هذا الإبداع في الكون يعود إلى الله سبحانه وتعالى لذا كان من الحق علي توضيح (بما يسمح لي المقام هنا) كيف أن القرآن يقول كلمته في الألوان.

تناول القرآن الكريم الألوان في آياته وخصوصاً اللونين الأبيض والأسود في عقد موازنة بين حالتي المؤمن والكافر يوم القيامة: يوم تبيض وجوه وتسود وجوه. *فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون. وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون*. آل عمران: ١٠٥ - ١٠٦.

أما كلمة ألوان ذاتها فقد تكررت في القرآن ست مرات في سور مختلفة ولكن سأكتفي الآن بذكر آية واحدة وتوضيحها؛ لأنها - من وجهة نظري - أشمل في المعنى وأدق تعبيراً والله أعلم: *ألم تر أنَّ الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها ومن الجبال جُدَدٌ بيضٌ وحمرٌ مختلفٌ ألوانها وغرابيبُ سود. ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانهُ كذلك إنَّما يخشى الله من عباده العلماءُ إن الله عزيز غفور*. فاطر: ٢٧ - ٢٨.

قال سيد قطب في تفسيرها(٢): إنها لفتة كونية عجيبة من اللفتات على مصدر القرآن الكريم. لفتة تطوف في الأرض كلها تتبع فيها الألوان والأصباغ في كل عوالمها في الثمرات، وفي الجبال، وفي الناس، وفي الدواب والأنعام. لفتة تجمع في كلمات قلائل، بين الأحياء وغير الأحياء في هذه الأرض جميعاً.

ونبدأ بإنزال الماء من السماء، وإخراج الثمرات المختلفات الألوان. ولأن العرض معرض أصباغ فإنه لا يذكر هنا من الثمرات إلا ألوانها وألوان الثمار معرض بديع للألوان يعجز عن إبداع جانب منه جميع الرسامين في جميع الأجيال. فما من نوع من الثمار يماثل لونه لون نوع آخر بل ما من ثمرة واحدة يماثل لونها لون أخواتها من النوع الواحد.

وينتقل من ألوان الثمار إلى ألوان الجبال نقلة عجيبة في ظاهرها، ولكنها من ناحية دراسة الألوان تبدو طبيعية. ففي ألوان الصخور شبه عجيب بألوان الثمار وتنوعها وتعددها. (ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود) والجدد الطرائق والشعاب وهنا لفتة في النص تبين اختلافاً حتى في اللون الواحد. فالجدد البيض مختلف ألوانها فيما بينها. والجدد الحمر مختلف ألوانها فيما بينها، مختلف في درجة اللون والتظليل والألوان الأخرى المتداخلة فيه. وهناك غرابيب سود، حالكة شديدة السواد.

ثم ألوان الناس وهي لا تقف عند الألوان المتميزة العامة لأجناس البشر. فكل فرد بعد ذلك متميز اللون بين بني جنسه. بل متميز من توأمه الذي شاركه حملاً واحداً في بطن واحدة.

وكذلك ألوان الدواب والأنعام. والدواب أشمل، والأنعام أخص. فالدابة كل حيوان، والأنعام هي الإبل والبقر والغنم والماعز. خصصها من الدواب لقربها من الإنسان. والألوان والأصباغ فيها معرض كذلك جميل كمعرض الثمار والصخور والبشر سواء.

والعلماء هم الذين يتدبرون آيات الله ومن ثم يعرفون الله معرفة حقيقية.

إن عنصر الجمال يبدو مقصوداً قصداً في تصميم هذا الكون وتنسيقه. ونأتي على نهاية الآية (إن الله عزيز غفور) عزيز قادر على الإبداع وعلى الجزاء. غفور يتدارك بمغفرته من يقصرون في خشيته، وهم يرون بدائع صنعته.

فايزة حسن باحسن
الحديدة - اليمن - ص.ب ٤٧٣٤

الهوامش والمراجع

١. تعدّ العناصر الآتية (النيون - الأرجون - الهيليوم - الكريبتون - الزينون) غازات خاملة، أي: لا تدخل في التفاعلات الكيماوية لا في ظروف خاصة.. ولذلك فهي مستقرة، وتسمى بالعناصر النبيلة. والمصدر الرئيس لهذه الغازات هو الهواء العادي (باستثناء الهيليوم الذي يتم الحصول عليه من الغاز الطبيعي).
٢. في ظلال القرآن، سيد قطب، المجلد الخامس، ص ٢٩٤٢.

الحرب الباردة الثقافية

المخابرات المركزية الأمريكية وعالم الفنون والآداب

مراجعة: أحمد فضل شبلول
الإسكندرية - مصر

كتابٌ من أخطر الكتب التي صدرت عن المخابرات المركزية الأمريكية CIA ودورها في مجال الآداب والفنون على مستوى العالم بأسره، وفي أوربا على وجه الخصوص، حيث قامت الولايات المتحدة الأمريكية بتسييس الثقافة، واستغلالها لإحكام قبضتها على العالم.

قامت بتأليف الكتاب الكاتبة الإنجليزية فرانسيس ستونر سوندرز، وترجمه إلى العربية طلعت الشايب، وقدمه عاصم الدسوقي، وصدر مؤخراً عن المشروع القومي للترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة (العدد ٢٧٩)، ووقع في أكثر من خمسمئة صفحة من القطع الكبير. العنوان الأصلي هو The Cultural Cold war وصدرت طبعته الإنجليزية الأولى عام ١٩٩٩م بعنوان «من الذي دفع للزمار؟» وصدرت الطبعة الثانية في نيويورك عام ٢٠٠٠م.

السلاح السري

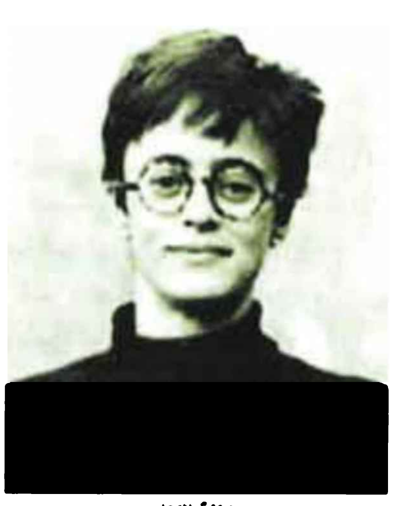
بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، وانتصار الحلفاء على دول المحور، وخروج ألمانيا وإيطاليا ورومانيا وبلغاريا والمجر واليابان من المنافسة، لم يعد أمام الولايات المتحدة الأمريكية من منافس لالتهام أوربا الجريحة، سوى الاتحاد السوفييتي،

فبدأت مسيرة الحرب الباردة، وخاصة في المجال الثقافي أو في مجال الفنون والآداب، لانتزاع أكبر جزء من العالم لأمركته، أو لإخضاعه لها. ومن هنا، فإن النظام العالمي الجديد الذي تحلم به الولايات المتحدة الأمريكية، بُدئ العمل على تحقيقه بالفعل بعد أقل من عامين على عناق الجنود الروس والأمريكيين على ضفاف نهر ألبي، ولكن لم يلبث أن تحول العناق إلى زمجرة وإلى غضب مكبوت، ولم يلبث أن سعى الأمريكان إلى الألمان ليصبحوا الأصدقاء الجدد، ويصبح الروس هم الأعداء ولم يكن هناك جهاز أمريكي تستطيع الولايات الأمريكية توجيهه لتحويل الغضب المكبوت إلى سيطرة حقيقية على أوربا، سوى جهاز المخابرات المركزية CIA، الذي



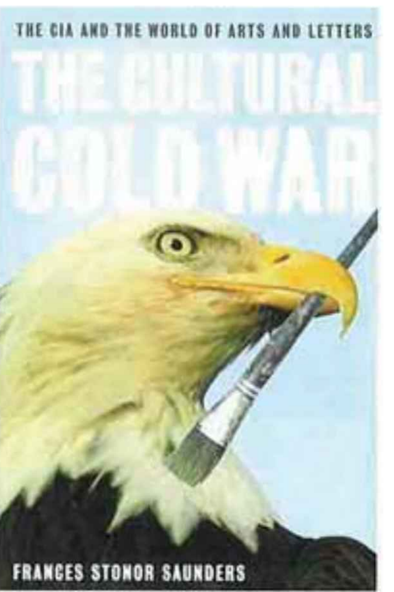
الحرب الباردة الثقافية
فرانسيس ستونر سوندرز
ترجمة: طلعت الشايب
القاهرة:
المجلس الأعلى للثقافة،
٢٠٠٢م

أنشئ في يوليو / تموز عام ١٩٤٧م والذي كـان بالفـعل بمنزلة وزارة ثقافة لأمريكا، والذي أسس في عام ١٩٥١م منظمة الحرية الثقافية. حيث كان «الكونسورتيوم» هو السلاح السري في الصراع الأمريكي في أثناء الحرب الباردة، وهو سلاح له نتائج واسعة في ميدان الثقافة، فكان قلة فقط من الكتّاب والشعراء والفنانين والمؤرخين والعلماء والنقاد في أوربا، لم تكن أسماؤهم مرتبطة على نحو أو آخر، بتلك المؤسسة السرية للتجسس التي ظلت تعمل، دون أن يُكشف أمرها، ودون منافسة، على مدى يزيد على عشرين عاماً، وظلت منظمة الحرية الثقافية تدير جبهة ثقافية معقدة، مدعومة على نحو كبير باسم حرية التعبير، بغرض الاستيلاء على عقول البشر، وقد قامت تلك الجبهة بترسيخ ترسانة من الأسلحة الثقافية: صحف، ومجلات، وكتب، ومؤتمرات، وندوات، وزيارات، ومعارض، وحفلات موسيقية، وفنون تشكيلية، وأفلام ، وجوائز، ومنح علمية، ودرجة زمالة أدبية، وسيطرة على أصحاب المواهب الشعرية ..إلخ. مع الاهتمام بشكل خاص بالكتاب؛ فكتابٌ واحد يمكن أن يغيّر توجهات قارئ وسلوكه بشكل لايتحقق عن طريق أي وسيلة أخرى، وهذا يجعل الكتب أهم سلاح في إستراتيجية الدعاية البعيدة المدى.



[redacted]

مؤلفة الكتاب



غلاف الكتاب الصادر بالإنجليزية

استنجار المثقفين

من أجل ذلك جندت المنظمة يساريين سابقين، وهو أمر قد يبدو غير قابل للتصديق، إذ كانت هناك مصلحة مشتركة حقيقية، وكان هناك اقتناع بين الوكالة وأولئك المثقفين الذين استؤجروا لكي يخوضوا الحرب الثقافية، والذين تم وضعهم وأعمالهم مثل قطع الشطرنج في اللعبة الكبرى، حتى وإن لم يعرفوا ذلك فبأي كيمياء غريبة استطاعت المخابرات المركزية CIA أن تقدم نفسها لمثقفين كبار على أنها وعاء ذهبي لليبرالية المأمولة؟. ويعتقد المثقفون أنهم يتصرفون بحرية، بينما هم في الواقع مكبلون بقوى لا سيطرة لهم عليها. وقد وجدت الكتب ولاسيما الكتب السياسية، حافزاً خاصاً بواسطة مؤلفين أجانب غير معروفين إما عن طريق دعم الكاتب مباشرة، إذا توفرت إمكانات الاتصال السري، وإما بشكل غير مباشر عن طريق الوكلاء أو الناشرين. غير أن المسألة لم تكن مجرد شراء ذمم وإفساد كتّاب وباحثين، وإنما كانت إرساء نظام قيم كيفي مصطنع، يُقدم من خلاله الأكاديميون، ويُعين محررو المجلات، ويُدعم الدارسون وتنشر أعمالهم، وليس بالضرورة لأنهم جديرون بذلك - كان ذلك يراعى أحيانا - وإنما بسبب ولائهم.

إن العمل السري في تلك الحرب الباردة هو أي نشاط سرى يهدف إلى التأثير في الحكومات الأجنبية أو الأحداث أو المنظمات أو الأفراد لمساعدة سياسة الولايات المتحدة الخارجية، ويتم بطريقة لاتُظهر تورط حكومة الولايات المتحدة، لأن قدر أمريكا هو الاضطلاع بمسؤولية القرن

بدلاً من أوربا الممزقة، السيئة السمعة. وهذا الرأي الأخير عدّه بعضهم من الأساطير المركزية للحرب الباردة.

تقوية اليسار غير الشيوعي

ويأتي كتاب الحرب الباردة الثقافية ليضع أمام القارئ قصة صعود منظمة الحرية الثقافية الأمريكية وهبوطها، وهي في الوقت نفسه قصة الهيمنة الأمريكية، وقصة الجاسوسية الأمريكية في مجال الثقافة، أو في مجال الآداب والفنون، من خلال جهود جوسلسون العقل المدبر لحملة الدعاية الثقافية الأمريكية المضادة للسوفيت، ومعه فريق من العمل يتكون من: ملفن لاسكي، وفلاديمير نابوكوف، وجان كوكتو، وغيرهم، الذين أسسوا مجلة «ديرمونات» الشهرية التي رسخت بناء جسر أيديولوجي بين المثقفين الألمان والأمريكيين، واجتذابهم بعيدا عن التأثير الشيوعي، كما عملت على كسب النخبة الثقافية الغربية لحساب الطرح الأمريكي، واستخدام الشيوعيين السابقين لمكافحة الشيوعية. وبالفعل تصبح إستراتيجية تقوية اليسار غير الشيوعي هي الأساس النظري للعمليات السياسية لوكالة المخابرات المركزية CIA ضد الشيوعية على مدى العقدين التاليين. وتصبح عملية شراء الحرية أولاً، ثم تقييدها بعد ذلك، باسم حرية التعبير، من أهم إستراتيجيات العمل في الوكالة.

كتاب عالميون

سنفاجأ، ونحن على صفحات الكتاب، بكتّاب عالميين، كانوا أداة طيعة في يد الحرية الثقافية التي تديرها المخابرات الأمريكية ـ سواء عرفوا ذلك أم لم يعرفوا ـ سنفاجأ بأسماء مثل: أرنست همنجواي، وآرثر ميللر، وإيليا تولستوي (حفيد الروائي الروسي الشهير)، وروبرت لويل، وأندريه مالرو، وجون ديوي، وكارل ياسبرز، وإلبرتو موارفيا، وهربرت ريد، وستيفن سبندر، وأودن نارايان (الهندي)، وألن تيت، وإيتالو كالفينو، وفاسكو براتوليني، فضلا عن الفنانين تشارلي شابلن، ومارلون براندو، ورونالد ريجان (الذي أصبح فيما بعد رئيسا للولايات المتحدة) وغيرهم.


رونالد ريجان

لقد أصبح عشرات من المثقفين الغربيين مرتبطين بـ:CIA عن طريق حبل الذهب السري.

كما عملت المنظمة على تغيير بعض أحداث روايات جورج أورويل ونهاياتها: «مزرعة الحيوانات»، و«الإله الذي فشل»، ورواية ١٩٨٤ لتخدم مصالحها، وبذلك تصبح مثل هذه الروايات التي تحولت إلى أعمال درامية من نتاج عمل المخابرات. وعلى سبيل المثال قامت CIA بتمويل الفيلم الكرتوني مزرعة الحيوانات، المأخوذ عن رواية أورويل ووزعته في أنحاء العالم. كما قامت بوضع نهايتين مختلفتين للفيلم المأخوذ عن رواية ١٩٨٤: واحدة للجمهور الأمريكي، وأخرى للجمهور البريطاني.


مورافيا

كما عملت المنظمة على إعداد مؤتمر الحرية الثقافية الذي عقد في ألمانيا، وتلقى كثيراً من المعونات السرية، وقد أثنى ممثل وزارة الدفاع الأمريكية على هذا المؤتمر لكونه عملية بارعة تم تنفيذها على أعلى

مستوى فكري، كما أفادت التقارير أن الرئيس الأمريكي ترومان كان سعيداً جداً بالمؤتمر، الذي أجبر عدداً من القيادات الثقافية البارزة على التخلي عن عزلتهم التأملية لمصلحة وقفة حاسمة ضد الشمولية. لقد كان الطرح الأساسي للحرب الباردة الثقافية التي كان يقوم بها هذا المؤتمر هو أن على الكتّاب والفنانين أن ينهمكوا في الصراع الأيديولوجي.



أرثر ميللر



مارلون براندو

الجمعيات الثقافية، ومجلتا «شعر» و«حوار» العربيتان

كما أسس أكثر من جمعية للحرية الثقافية في أوربا، ففي بريطانيا تكونت «الجمعية البريطانية للحرية الثقافية» عام ١٩٥١م، وفي أواخر العام نفسه أنشئ الاتحاد الإيطالي للحرية الثقافية، بالإضافة إلى مجلة «ديرمونات» كانت هناك مجلة « بريف» الثقافية التي صدرت في فرنسا في شهر أكتوبر /تشرين الأول عام ١٩٥١م، وكانت تهدف إلى ترسيخ إجماع أطلنطي غير محايد، وموال لأمريكا. ومجلة «إنكاونتر» التي صدرت في إنجلترا من عام ١٩٥٣م إلى عام ١٩٩٠م، وكانت شديدة الارتباط بعالم المخابرات، وكانت تخفي دعاية أمريكية تحت قشرة خارجية من الثقافة البريطانية، لدرجة أن مجلة صنداي تايمز أشارت إلى «إنكاونتر» على أنها المجلة البوليسية للدول التي تحتلها أمريكا، ووصفها بعضهم بأنها مجلة دعاية سياسية ذات ديكور ثقافي. فضلا عن مجلة «تيمبو برزنت» التي صدر في إيطاليا في شهر أبريل / نيسان عام ١٩٥٦م، ومجلة «كويست» التي صدرت في الهند في أغسطس / آب عام ١٩٥٥م، ومجلة «كوادرانت» التي صدرت في أستراليا ومازالت موجودة حتى الآن. وبحلول منتصف الستينيات كانت المنظمة قد وسعت من برنامج مطبوعاتها ليشمل مناطق أخرى ذات أهمية إستراتيجية في إفريقية والعالم العربي والصين، وعلى سبيل المثال كان من المجلات الصادرة في الوطن العربي التي تتلقى إعانات من مؤسسات تابعة لـ CIA تحت مظلة «مجلس المجلات الأدبية»، مجلة «شعر» التي كانت منظمة الحرية الثقافية تشتري منها ١٥٠٠ نسخة، ومجلة « حوار»، وهي مجلة المنظمة الصادرة باللغة العربية، والتي ظهرت في أكتوبر / تشرين الأول عام ١٩٦٢م، وعلى صفحات عددها الأول مقابلة مع ت. س. إليوت.

كل هذه الجهود التي دعمتها وكالة المخابرات المركزية CIA أسكتت أصوات أعضاء الكونجرس الأمريكي، فلم يكن أحد في الكونجرس يستطيع أن يقف ليقول : «انظر ماذا يفعلون بأموال دافعي الضرائب». بالإضافة إلى أن ٩٩٪ من الدعم المالي كان عن طريق إعانات ومنح من دون أي مستندات.

متحف الفن الحديث

لقد استغلت المهرجانات والحفلات الموسيقية في أوربا، وجندت المحطات الإذاعية، واستخدمت المؤسسات الخيرية، وبعض دور النشر، واستثمر متحف الفن الحديث في نيويورك، ودعمت فكرة أن الفن التجريدي مرادف للديمقراطية، وبفضل التعاون مع منظمة الحرية الثقافية أصبح متحف

الفن الحديث يستطيع الوصول إلى أرقى المؤسسات الفنية في أوربا، بل أصبح له التأثير الواسع في الذائقة الفنية هناك، فصعقت الحركة الفنية بكاملها، فقد أصبحت مشروعًا تجاريًا ضخمًا. وفي ذلك يقول أحد النقاد - تعليقا على ماوصلت إليه الحركة الفنية في متحف الفن الحديث - : «كان أكثر أشكال

ظلت منظمة الحرية الثقافية تدير جبهة ثقافية معقدة، مدعومة على نحو كبير باسم حرية التعبير، بغرض الاستيلاء على عقول البشر



همنجواي

الفن حرية، يفتقر إلى الحرية. فنانون أكثر فأكثر، أصبحوا ينتجون أكثر فأكثر، أعمالاً أكبر فأكبر، خاوية أكثر فأكثر».

وبمناسبة ذكر متحف الفن الحديث، يذكر المترجم طلعت الشايب في نهاية الكتاب، أن المؤلفة فرانسيس قرأت مقالاً يزعم أن وكالة المخابرات المركزية الأمريكية كانت وراء نجاح مدرسة نيويورك في الفن، فقضت عامًا في بحث القصة الكاملة وتتبعها، وأثمر البحث برنامجًا تلفازيًا - عملت فيه مخرجة أفلام تسجيلية - بعنوان «الأيدي الخفية: الفن والمخابرات المركزية»، عرضته القناة الرابعة، وكان مادة أولية لكتابها الأول، وبعد ثلاث سنوات، وبعد توافر مادة أرشيفية ثرية، وبعد لقاءات عدة مع مسؤولين وعملاء سابقين لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية، تجمعت لديها مادة هذا الكتاب الذي بين أيدينا.

إعدام الكتب وحرقها والموقف من سارتر ونيرودا

ومن ناحية أخرى أحرقت وأعدمت بعض الكتب «وصل عددها إلى ٣٠ ألف كتاب»، وأزيلت - على سبيل المثال - جميع مؤلفات سارتر من مجموعات أفرع البيت الأمريكي «وتم تحقيرسارتر ونبذه مرارًا وتكرارًا على صفحات مجلتي إنكاونتر وبريف، ووصفه بأنه خادم الشيوعية الذليل، والانتهازي البائس الذي رسخت كتاباته الإبداعية والسياسية الوهم الشيوعي».

ومن ناحية أخرى وقفت المنظمة ضد ترشيح بابلو نيرودا لجائزة نوبل للآداب في عام ١٩٦٤م، مع أنه من المفترض أن تكون مداولات لجنة نوبل في غاية السرية، ومع ذلك انطلقت حملة تجريح وشائعات ضد نيرودا في ديسمبر / كانون الأول ١٩٦٣م، وكان عليه أن ينتظر حتى عام ١٩٧١م، لكي يحظى بتكريم الأكاديمية السويدية، حين كان سفيرًا في فرنسا لحكومة سلفادور الليندي الموالية للديمقراطية، ومع هذا قتلته المخابرات الأمريكية بعد فوزه بعامين.

الخرافة صنعت إلهًا أمريكيًا والإله قد فشل

وتم التخلص من كتب عدد من المؤلفين من أمثال: داشيل هاميت، ومكسيم جوركي، وهيرمان ميلفيل، وغيرهم. لقد كانت عملية التطهير الثقافي التي تقوم بها «حملة مكارثي» التي بدت كأنها لن تتوقف، تقضي على مزاعم أمريكا بأنها حاملة

لواء حرية التعبير. وكان معظم الكتّاب الأحياء الذين كانت أعمالهم محظورة بتوجيهات من وزارة الخارجية الأمريكية، لهم ملفات ضخمة وغريبة. كان الجو يشبه ذلك الذي كان سائداً في أثناء الثورة الفرنسية عندما كانت الاتهامات والمحاكمات تؤدي إلى المقصلة، بينما لم تكن هناك مقصلة في واشنطن، إلا أن المصير كان أكثر سوءا بتدمير عمل الفرد وتدمير حياته كلها، وهذا بلاشك يكشف زيف فكرة أن أمريكا مجتمع ديمقراطي متقدم يمكن أن يستوعب جدلاً سياسياً عقلانياً. وبذا يتضح أن السياسة في أميركا بدأت تقرر مصير الثقافة، وأن أمريكا ذات ماض متقلب، ولاشك في أنه سيكون لها مستقبل متقلب أيضاً، وعلى حد تعبير الكاتب البريطاني بيرجرين وورسثورن: «الخرافة صنعت إلهاً أمريكياً، والإله قد فشل».

وبيد أن أجهزة المخابرات في الدول الأوربية التي كانت تتعامل مع جهاز المخابرات الأمريكية، قدأحست بخطورة الموقف واتساع المجال الذي نقل فيه الشريك الأمريكي الحرب البادرة الثقافية ويتضح ذلك من خلال تلك العبارة التي رددتها المخابرات البريطانية: «لقد تفوقت شبكة مكتب الخدمات الإستراتيجية / وكالة المخابرات المركزية»، بما لها من أفرع وشعب حول العالم، على جهاز مخابراتنا الأسطوري، الذي أصبح يبدو مثل مركبة قديمة بعجلتين أمام كاديلاك فخمة»

لقد بذلت المؤلفة الإنجليزية فرانسيس ستونر سوندرز- المولودة عام ١٩٦٦، وتعيش في لندن - جهداً خارقاً في سبيل خروج هذا الكتاب إلى النور، ورجعت إلى شخصيات كثيرة منها ديانا جوسلسون زوجة جوسلسون أحد مؤسسي منظمة الحرية الثقافية، التي كانت شاهدة على أحداث كثيرة في حياة المنظمة، وفي حياة المخابرات المركزية، كما رجعت فرانسيس إلى كم هائل من الوثائق والمستندات، ووقعت إشاراتها وحواشيها وأسماء


شارلي شابلن

مراجعها ومصادرها، في ثمان وأربعين صفحة، وفي خمس صفحات أخرى قدمت ببليوجرافية مختارة لأعمال تتصل بموضوع الكتاب.

وهي تستحق الشكر على صبرها وشجاعتها وغوصها في عالم مملوء بالمشكلات الدولية، والقضايا العالمية، والإثارة القاتلة، وخاصة فيما يتعلق بالمشهد الثقافي العالمي الذي مازلنا نعاني - نحن الكتّاب والمثقفين العرب - آثاره السلبية الفادحة. ويستحق مترجم الكتاب طلعت الشايب التحية على وعيه بأهمية ترجمة هذا الكتاب، وتحليه بالصبر على هذه الترجمة المواكبة لصدوره، والتي جاءت سهلة ميسورة واضحة دقيقة، فضلاً عن تدخله بشرح بعض المصطلحات التي قد تخفي على القارئ العربي، في بعض الأحيان.

كيسنجر بالفعل

ترجمة: صلاح يحياوي

ماديسون - أمريكا

صدر كتاب «محاكمة هنري كيسنجر» لكريستوفر هيتشنز Christopher Hitchens الذي استنتج فيه المؤلف أن الزمن قد حان لتوجيه الاتهامات على نحو جدي إلى هنري كيسنجر بصفته مجرم حرب.

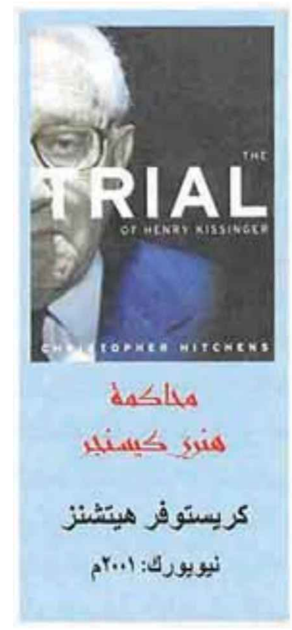
من الأسلوب الذي يندفع به كريستوفر هيتشنز في تجريح سمعة جوفاء يسهل تخيل كم كان قد يصرف - في عصر آخر - من الساعات الطوال ليُحضّر للمبارزة على نحو موافق لمقتضى الحال. أما وقد اندفع بقوة متحدياً هنري كيسنجر الرجل الذي أحب عموماً استخدام الطائرات B -12 في مجابهات ما قبل الفجر، مع أنه كان يستطيع أيضاً إرسال قوى أرضية، وحتى إرسال سفاح في مناسبات خاصة.

عُرف في السابق الكثير عن قصة كيسنجر (ولا بأس من التذكير بها)، وهكذا فإن السؤال الذي قد يتبادر إلى الذهن فيما يتعلق بمحاكمة هنري كيسنجر هو: لماذا الآن؟.

لماذا هذا المقت في هذا الوقت!!

هذا ما يثيره الكتاب الذي هو نسخة معدلة طويلة لمقالين كتبهما هيتشنز في الشتاء الماضي، ولنا أن نتساءل أيضاً ما الذي دعا هيتشنز في هذا الوقت إلى أن يُسدد المقت الهائل الذي يكنه لكيسنجر؟ لقد رأت الوقائع الجديدة النور في غضون ذلك، غير أن الدعوى ضد وزير خارجية ريتشارد نيكسون Nixon هي في فحواها ونتائجها مماثلة جداً لما حدث عام ١٩٦٧م عندما قامت إحدى الشخصيات في رواية جوزيف هلر Joseph Heller التي عنوانها «نفيس كالذهب» Gold As Gold بدور كيسنجر كغبي بغيض شنّ حرباً وهو مبتهج، وقد استهل هيتشنز كتابه بهذا الاقتباس.

إن الزمن والشهرة، و الـ ٢٥٠٠٠ دولار التي كان يتقاضاها كيسنجر مقابل كل محاضرة يلقيها - وما أكثرها - لم تكن لتغسله، وتطهره، بل العكس.. إن ما يُقدّمُ المُقوّم الجوهري لشهرته هو كونه مُلطّخاً بالدماء. وكما سجل هيتشنز فإن دعوة أمثال كيسنجر إلى مائدتك هو للتمتع بالملذات الآثمة بالاقتراب من وقائع الحالة الموضوعية الفجة والمجهولة من قبل المحكمة الدولية في لاهاي The Hague، ومن ثم لتمنع - على الأقل - بعض مجرمي الحرب من أن يبعثوا من جديد كأشخاص مشهورين.



فبسبب من محكمة لاهاي، ونتيجة لجهود محاكم إسبانية لتقديم الجنرال التشيليني أوغست بينوشيه August Pinochet إلى المحاكمة يستنتج هيتشنز أن الزمن قد حان لتوجيه الاتهامات على نحو جدي إلى هنري كيسنجر. إن الدعاوي القضائية ضد سلوبدان ميلو سفيتش Slobodan Milosevic تُظهر أنه لم يعد هناك زعماء حكومات يتمتعون بحصانة ضد المقاضاة على جرائم ضد الإنسانية؛ يريد هيتشنز أن تطبق على قوة عظمى أيضاً القواعدُ التي طُبقت على تشيلي وصربيا. فهو يكتب: «تعتقد الولايات المتحدة أنها وحدها تُلاحق وتقاضي مجرمي الحرب والإرهابيين الدوليين، وليس هناك شيء في ثقافتها السياسية أو الصحافية ما يتيح لفكرة

أن تكون هناك إمكانية لتكريم وإجلاء رجل عالي المقام ككيسنجر».

مع أن تحدي هيتشنز لثقافتنا السياسية والصحافية تحد قابل للتعليل، إلا أن هناك في كتابه عيوباً جدية. إن قوة الشخصية - بين أمور أخرى - هي التي تجعل هيتشنز ينخرط في معركة مع أمثال كيسنجر. ومع ذلك فإن شخصية المؤلف في كتابه هذا تدخل الطريق. فهو مثلاً يصف عنوان سيرة كيسنجر «سنوات التجديد Years Of Renewal» بأنه أربد (أفسد) على نحو لا يحتمل، وهو يهتم بالمصلحة الذاتية. إن هذا النوع من اللغة فيما يتعلق بمجرد عنوان لا يقوم بشيء سوى الشهادة على غنى ازدراء هيتشنز في الوقت الذي يقرر فيه شكوكاً حول جدارة مسؤوليته. كما أن الكتاب خال من الحواشي - مشكلة نص قصد بها إضفاء القانونية على محاجة جدلية صرف - لقد أدخل هيتشنز - بدلاً من الحواشي التي قد تكون المكان المناسب لاستشهادات هادية طويلة - استشهادات في النص مرة بعد أخرى معترضاً بذلك دفق الحكاية. إن هيتشنز هو عادة صاحب أسلوب نثري وفترة جيدة للمطالعة. إن كتاب محاكمة هنري كيسنجر هو فترة رديئة للمطالعة. هذا لا يعني أنه يتناول قضية خاسرة، إنه يوحي فقط بأن هيتشنز إذا ما أراد أن يبلغ بالكتاب مجموعة من القراء أوسع مما بلغه في المقالين الصحافيين فهذا قد لا يكون الكتاب المطلوب.

ستة اتهامات

يورد هيتشنز ستة اتهامات ضد كيسنجر. اتهامات تمتد من تصادم متعمد بقتل جماعي، ثم باغتيال في بنغلاديش، إلى «تورط شخصي في مخطط لخطف وقتل صحافي يعيش في واشنطن العاصمة». وعلى الرغم من كون الجرائم تخص مباشرة حرب فيتنام إلا أنه متذرع بها في التهمة الأولى فقط. إن القتل الجماعي المتعمد للسكان المدنيين في الهند الصينية، تلك الحرب التي أعدت المسرح - بطريقة أو بأخرى - لجميع الانتهاكات الأخرى.

ما إن أوضح هيتشنز شروع ووترجيت Watergate، وإسقاط حكومة سالفادور اللندي Salvador Allendi المنتخب حسب الأصول في التشيلي، بالإضافة إلى اغتيال الجنرال رونه شنايدر Rene Schneider الزعيم التشيليني الوحيد الذي كان بإمكانه منع انقلاب بينوشيه، حتى تبين أنها كلها عينة من النوع نفسه. وهكذا كان اغتيال الياس ب - ديمتراكوبولوس Elias P. Demerocopovlos المنتقد للمجلس العسكري الحاكم لليونان حيث كان لنيكسون وكيسنجر عدد من الأصدقاء المخلصين بما في ذلك من أمكن الاعتماد عليهم من أجل تمويلات في عجز. كما أن



نيكسون وكيسنجر

مذبحة شرق تيمور كانت تتعلق أيضاً بالفيتنام. وكان الزعيم الأندونيسي سوهارتو Suharto، على الرغم من كل شيء، حليفاً، فلإبقائه قوياً وآمناً من العدوى بمرض سقوط القناع ما خامر كيسنجر شخصياً ندمٌ أو وخز ضمير عند إعطائه الضوء الأخضر لاجتياح دولة شرق تيمور، الدولة المستقلة حديثاً. كان هناك في بنغلاديش البعيدة أحداث تدور حول الفيتنام، ومع أن الهند الأكثر بعداً كانت تجاهد للحياد في الحرب الباردة رافضة لمّ الشمل حول القضية الأمريكية في الهند الصينية. وكانت الباكستان من جهة أخرى محكومة دائماً بنوع من جنرالات أحب كيسنجر أن يراهم في مراكز عالية؛ وهكذا أطلقت يدهم لقلب

الانتخابات في بنغلادش التي كانت تعرف باسم باكستان الشرقية.

يرى هيتشنز أن حرب الفيتنام، إلى جانب تأثيرها في سياسة أمريكا بالمعنى العلمي السياسي الطبيعي Geo Political(١)، قد بدلت أيضاً السياسة بإفساد القيادة الأمريكية. لقد شجعت المراهنات العالية على تصعيد الحرب كلاً من كيسنجر ونيكسون على الاعتقاد أن هناك بعض القوانين القليلة التي عليها احترامها، وذلك بإيصال النزاع إلى نوع من خاتمة وإيقافه. فأي نوع من خاتمة أمكن أن تكون؟

مهما كانت الخاتمة التي اختاراها ليحدثا ذلك فإن الشيء المهم هو أن يكونا هما ـ بأي ثمن ـ الوحيدين لإنجاز ذلك. لقد كان شعار «بأية وسيلة ضرورية» الشعار الذي استخدم مرة وأسيء استخدامه في بعض قطاعات الحركات المضادة للحرب.

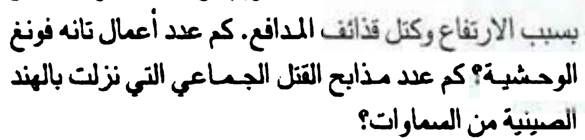

هيتشنز

تثبتُ قراءة محاكمة هنري كيسنجر مرةً أخرى كيف يعكس الإسراف في حركة السلام على نحو مُنمنَم ذهنية قياديي الولايات المتحدة انعكاساً جيداً.

طبق نيكسون وكيسنجر ـ مصممين على مواصلة الحرب في فيتنام حتى النهاية بأي وسيلة ضرورية ـ المنطق نفسه لبلوغ السلطة وامتلاكها. يؤكد هيتشنز بإيراد الدليل أنه كانت هناك حتى قبل ووترغيت محاولة غير شرعية من قبل الجمهوريين لضمان الرئاسة ـ وقد نجحت هذه المرة بنجاح جورج بوش الابن عام ٢٠٠٠م، ومن الصعب عدم كشف نموذج يحتذى، يكتب هيتشنز أن هنري كيسنجر ـ وهو أحد مرؤوسي نيكسون الكبار ـ أقنع عام ١٩٦٨م القيادة الفيتنامية الجنوبية بالانسحاب من محادثات باريس للسلام، مضعفاً بذلك موقف هوبرت همفري Hubert Humphrey المرشح الديمقراطي للرئاسة، ومسهماً بذلك في انتصار نيكسون.

وعَدَ نيكسون وكيسنجر الفيتناميين بصفقة أجود من الصفقة التي قد يحصلون عليها من الديمقراطيين. وفي النهاية حصل الفيتناميون الجنوبيون على الصفقة نفسها تقريباً باستثناء عدد من ضروب الرعب التي ما أمكن تفاديها فيما بعد.

أعاد هيتشنز إنشاء ما يدعوه جوّ الجزء المنتسب «المافيا» وجزء جمهورية الموز Banana Republic الذي ساد في البيت الأبيض في بواكير السبعينيات من القرن الماضي في الوقت الذي كانت جُملٌ بغيضة من مثل «إحصاء الجثث» لا تزال رائجة. لقد صرح بوب كيري Bob Kerrey حديثاً أن كل ما قام به هو ورجاله في قرية ثانة فونغ Thanh Phong عام ١٩٦٩م لم يكن شيئاً بالموازنة بنوع الوحشية التي كان يمكن للفيتغونغ إنزالها بالمدنيين. ربما يتوجب على كيري قراءة روايات هيتشنز عن الغارات الجوية والقذف الجماعي للاوس وكامبوديا الذي قامت به طائرات B - 52 دون تحذير من الاقتراب، والتي كانت غير قادرة على دقة التصويب والتمديد أو التمييز



بسبب الارتفاع وكتل قذائف المدافع. كم عدد أعمال تانه فونغ الوحشية؟ كم عدد مذابح القتل الجماعي التي نزلت بالهند الصينية من المماوات؟

إن لم يكن هناك شيء، آخر فإن هذا الكتاب يضرم من جديد رغبتنا في رواية كاملة عن الحرب. لندع محاكمة هنري كيسنجر تأخذ مجراها تماماً كما يطلب هيتشنز. قد يكون من المؤلم على نحو شديد الارتداد إلى الوراء، إلى ذلك العالم، عالم الحيل والذرائع والتدمير، ولكن على الأقل سيجد فيه اليمين صعوبة في الاستمرار في الادعاء بأن الحرب في فيتنام كانت قضية مجيدة خاسرة. وسيتجنب الباقون منا المباغتة عند تذكيرهم البغيض بما كانت عليه الحرب في الحقيقة، كبروز قصة ثانه فونغ للعيان.



الهوامش

- قدم هارفي بلوم Harvey Blume المحرر في مجلة The American Prospect، عرضاً لكتاب «محاكمة كيسنجر» The Trial of Henry Kissinger تحت عنوان «كيسنجر بالفعل» Kissinger Indeed.

١. Geopolitics: علم دراسة تأثر العوامل الجغرافية والاقتصادية والبشرية من حيث كثافة السكان وتوزعهم في سياسة الدولة الخارجية خاصة. [المترجم]

فرانشيسكو غابرييلي
ألمع المستشرقين الإيطاليين

محمد القاضي
طنجة ـ المغرب

توفي المستشرق الإيطالي الكبير فرانشيسكو غابرييلي عام ١٩٩٦م، وهو واحد من ألمع خبراء القضايا العربية والإسلامية، وأحد أعلام الثقافة الإيطالية في القرن العشرين، تمكن من نيل شرف عضوية أكثر من مجمع علمي في وقت واحد: المجمع العلمي العربي في دمشق عام ١٩٤٨م. ثم المجمع اللغوي في القاهرة، وبغداد، وعمان. وهو رئيس المعهد الشرقي منذ عام ١٩٦٩م.

شارك بجدّ في نشر التراث العربي والإسلامي والاهتمام به حفظاً وتحقيقاً وترجمة. ألف ما يزيد على مئة وخمسين بحثاً وكتاباً من أبرزها: «ألف ليلة وليلة في الثقافة الأوربية» نشر عام ١٩٤٤م، و«تاريخ الأدب العربي» نشر عام ١٩٥١م، و«عالم الإسلام» عام ١٩٥٣م، و«خصائص الحضارة العربية الإسلامية» عام ١٩٥٦م، و«محمد والفاتحون العرب الكبار» عام ١٩٦٧م، و«اليوميات العربية للحروب الصليبية» عام ١٩٦٩م. وغيرها من المؤلفات التي كتبها هو، أو بالاشتراك مع غيره من المستشرقين، أو التي ترجمها من العربية إلى الإيطالية.

لقد جمع غابرييلي في دراساته وأبحاثه ومؤلفاته كنزاً غنياً سخّره في خدمة الجميع. أسّس مدرسة قائمة بذاتها في عالم الاستشراق الإيطالي، وكوّن أجيالاً من الدارسين المهتمين بالعالمين العربي والإسلامي. مستشرق وابن مستشرق سار على خطا أبيه الذي كان من كبار المستشرقين الإيطاليين في زمانه.

من هو فرانشيسكو غابرييلي؟

ولد فرانشسكو غابرييلي في روما عام ١٩٠٤م، ودرس في جامعة روما على كبار المستعربين أمثال: ناللينو، وجويدي، ولافي دللافيدا. وتخرج عام ١٩٢٥م، وبدأ تعليم العلوم الإسلامية والأدب العربي في المعهد بجامعة نابولي عام ١٩٣٨م، وبعد أشهر قليلة كان قد حصل على كرسي جامعي في جامعة المعرفة في روما، وحينذاك أخذ دفق عطائه يغمر مكتبات إيطاليا، وأصبح خير معين لساسة إيطاليا في فهم العالمين الإسلامي والعربي وتحليلهما.

وفي عام ١٩٥٥م درّس في جامعة الجزائر أستاذاً زائراً، ونال في تلك السنة جائزة (فلتريناللي) التي تمنحها أكاديمية «لنشياي» وكان منذ عام ١٩٤٧م مراسلاً لهذه الأكاديمية، ثم سكرتيراً مشاركاً لها منذ عام ١٩٥٨م، وقد تبوأ عدة مراكز علمية في عدد من المؤسسات الإيطالية. ومنح لقب دكتوراه فخرية من جامعة السوربون الجديدة بباريس٣.

اختص منذ وجوده على مقاعد الجامعة بالآداب

العربية، فعني بدراسة الشعر العربي منذ الجاهلية حتى يومنا هذا.

كما عني بالتاريخ والحضارة الإسلاميين. واعتمد في دراساته على أساليب البحث الدقيق، والتنقيب الأمين، وهو مترجم دقيق وفعال.

يتميز فكره بالتحرر والصدق والاطلاع الواسع، والفهم السليم للعرب، وتقدير مقامهم في الماضي والحاضر. قدم للقارئ الإيطالي عدداً من فرائد الأدب العربي والإسلامي، نشر كثيراً من المقالات في الصحف اليومية التي تخاطب الناس مباشرة، وله الكثير من المداخلات الإذاعية والتلفازية، فقد شرح ببساطة طبيعة الإسلام، وتعاليم القرآن الكريم، ورفض بوقار العالم أي إشارة أو ربط بين الإسلام والعنف، ودفع بالعقول قبل العواطف إلى ضرورة فهم حياة المسلم وتفكيره، وحياة العربي وعقليته، وتلك الأواصر التي تربط بين الحضارتين العربية والإسلامية والحضارات العالمية الكبرى التي أغنت الإنسانية بمناهل المعرفة والإرشاد.

ظل طوال عمره مثالاً للعطاء الفكري، والاتزان العلمي، والتواضع الإنساني، وحظي باحترام وتقدير كبيرين من طرف الأدباء والمفكرين الإيطاليين والعرب. وتوفي في عام ١٩٩٦م.

الاستشراق الإيطالي بين الإنصاف والإجحاف

إن الاستشراق الإيطالي - أو كما يسميه فرانشيسكو غابرييلي «الاستعراب»؛ لأنه وُجِّه لدراسة اللغة العربية وآدابها، وحضارة المسلمين وعلومهم، فلا يكاد يوجد له أثر واضح في غير الدائرة العربية - قد ركز جهده في دراسة العربية الفصحى والإسلام. ولإيطاليا علاقة خاصة بالعالم العربي، وبالأدب والثقافة العربيين.

ولا تأتي هذه الخصوصية في العلاقة من خلال السيطرة الاستعمارية التي تمتعت بها كل من فرنسا وإنجلترا مثلاً في أجزاء شاسعة من المنطقة العربية، بل جاءت نتيجة علاقة تاريخية تمتد عدة قرون بسبب وجود العرب في صقلية وجنوب إيطاليا في القرنين الحادي عشر والثاني عشر بعد الميلاد. وكان لوجود الفاتيكان في إيطاليا أثر كبير في توطيد الصلة بينها وبين البلاد الشرقية، وذلك لما يوليه هذا الأخير من أهمية كبيرة جداً في التبشير بالدين المسيحي، ومحاولة تنصير الشرقيين في كل مكان؛ فكان له أثر كبير كذلك في ظهور الاستشراق الإيطالي وتطوره، وللدافع الديني الذي غلب عليه، فقد تركزت دراساته وأبحاثه في الإسلام والمسلمين، ولاسيما العرب منهم، إلى جانب الاهتمام باللغة العربية، وتأليف الكتب فيها وفي بعض لهجاتها.

> لابد من إنصاف بعض المستشرقين الذين أدوا للتراث العربي والإسلامي خدمات جليلة، سواء بأبحاثهم العلمية أو تحقيقاتهم للتراث واكتشاف مصادره، ووضع فهارس مهمة يستفيد منها القارئ العربي في أبحاثه ودراساته

ولعل أقدم ما نعرفه عنهم مخطوطة محفوظة الآن بمكتبة فلورانسا من القرن الثالث عشر، وهي معجم بالعربية واللاتينية لا يُعرف مؤلفه. ولهذا المعجم أهمية خاصة. فقد شكل الألفاظ العربية كما كانت تنطق في القرن الثالث عشر، وهو بذلك يفيد في دراسة اللهجات العربية في ذلك القرن.

وأظهر العالم الإيطالي أنطونيو جيجاي اهتماماً بتأليف المعجمات، فنشر عام ١٦٣٢م في مدينة ميلانو معجماً باللغة العربية واللاتينية في أربعة أجزاء ضخمة. واعتمد فيه على القاموس المحيط للفيروز آبادي اعتماداً كبيراً، وبذلك كان له السبق في تعريف الغرب بالمعجمات العربية والاهتمام بها.

وفي عام ١٥٨٤م أسست مطبعة بفضل الكاردينال فردينانودي مديشي عرفت بمطبعة «ميديكيا» طبع فيها الكثير من المؤلفات العربية، وأشرف عليها الإيطالي الشاب «ريموندي»، وكان قد أمضى مدة في

الشرق، وأتقن العربية، فعمل على قطع حروف عربية جديدة للمطبعة ملتصقة غير متفرقة كما كانت من قبل، وطبع بالحروف الجديدة «قانون ابن سينا» عام ١٥٨٦م، و«الأناجيل» عام ١٥٩١م، و«الكافية» لابن الحاجب، و«الآجرومية» لابن آجروم عام ١٥٩٢م، وكتاب «نزهة المشتاق» للإدريسي، وكتاب «النجاة» لابن سينا عام ١٥٩٣م.

وكان السلطان مراد الثالث (١٥٧٤ ـ ١٥٩٥م) قد سمح منذ عام ١٥٨٨م ببيع مطبوعات هذه المطبعة في أنحاء الدولة العثمانية، وكان أولها كتاب «تحرير أصول إقليدس» لنصير الدين الطوسي (طبع عام ١٥٩٤م)، وكانت المطبعة العربية في إيطاليا حافزاً للهولندي رافيلينجيوس (١٥٣٩ ـ ١٥٩٧م) إلى إنشاء مطبعة في هولندا، ولكنها لم تصل في شكل حروفها إلى المستوى الراقي الذي وصلت إليه المطبعة الإيطالية. كما كانت أساس تفكير الطبيب الألماني «كيرسكن» (١٥٧٥ ـ ١٦٤٠م) في إنشاء مطبعة عربية في ألمانيا. ولكنه لم يجد من يشجعه من حكام ألمانيا على الاستمرار في مطبعته، فحملها معه إلى السويد حيث توفي هناك.

لكن ماذا عن الإسلام نفسه، وتحديداً ماذا عن القرآن في القرن السادس عشر؟ ذكر شنورو في مراجعة الكتب العربية نشرة للقرآن صدرت عام ١٥٣٠م في البندقية، وأمر البابا بولس الثاني بإتلاف جميع نسخها عام ١٥٤٧م. جرى في البندقية طبع (قرآن محمد) لأندريا إريفابن وهو تجميع فاسد وعجيب، يخلط أجزاء من التهافتات السلفية الطابع، مع مسرد للأسماء وأجزاء مترجمة من القرآن.

وفي عام ١٥٨٤م أسس البابا غريغوريوس الثالث عشر الكلية المارونية في روما التي لاتزال قائمة حتى اليوم، والتي تخرج فيها على مدى قرنين من الزمن نخبة من المتخصصين باللغات الشرقية انتشروا في حواضر البلدان الأوروبية أمثال: روما، وباريس، وفلورانسا، والأسكوريال، ومدريد، ولشبونة، يترجمون للملوك والأمراء، إلى جانب التدريس في الجامعات، والاهتمام بجمع المخطوطات. ثم بدأ تأسيس مراكز للغات الشرقية في روما، وبدأت المدارس اللاهوتية تعنى بتدريس اللغة العربية والعبرية والسريالية. بعد ذلك أنشئت مدارس للغات الشرقية في فلورانسا، وميلانو، وبادوفا. وهكذا يلاحظ أن أبرز دواعي اهتمام إيطاليا بالثقافة العربية منذ القرون الوسطى كان دافعاً دينياً، ثم ما لبث أن تحول إلى دافع تجاري، ثم إلى دافع سياسي، وخاصة عندما احتلت إيطاليا ليبيا عام ١٩١٢م. وكان من بين المعارضين الأقلاء في البرلمان الإيطالي لهذا الاحتلال المستشرق الكبير ليوني كايتاني (مؤرخ ومستشرق اهتم بالتراث الإسلامي) وقد تعرض لكثير من النقد اللاذع إبان معركة انتخابية عام ١٩١٣م فكانت ملصقات منافسيه ترسمه وهو يرتدي الطربوش التركي. لقد كانت المؤثرات التي دعت هذا المستشرق إلى أن يقف موقف المعارضة عظيمة الأثر في نفسه، فقد ألف هذا المستشرق الحوليات العشر التي تنتهي عند القرن الرابع الهجري، وتتعلق بدراسة تراث الإسلام، لقد كان كايتاني مكروهاً من طرف القوميين الطليان، ولأنه كان معارضاً للفاشية معتداً برأيه نفي إلى كندا بعد أن حرمه موسوليني من الجنسية، فتوفي هناك عام ١٩٣٥م. يقول عنه فرانشيسكو غابرييلي: يبقى موقف «كايتاني» البعيد الدال على اقتناع سياسي وإنساني، الذي تحدى به رأي مواطنيه. فبودنا أن تقوم ليبيا اليوم المستقلة ـ من بين عدد من الذكريات غير السارة للاحتلال الإيطالي ـ بإحياء ذكرى «كايتاني» لأنه سبق الزمن، ونادى بالتخلص من كل سيطرة أجنبية.

المستشرق، حسب وجهة نظر فرانشيسكو، هو إما مكتشف طليعي يسبق الاستعمار، ويمهد له الطريق، وإما حليف ومستشار تقني للتاجر الأوروبي أو للسياسي الأوروبي أو للمشتغل الغربي

ولا ننسى الموقف النبيل الذي وقفه المستشرق يوجينيو غريفيني الذي أنقذ المخطوطات التركية التي كاد الإيطاليون يحرقونها في طرابلس في الأيام الأولى للاحتلال. وقد عرفته مصر مديراً لدار الكتب من عام ١٩٢٠ ـ ١٩٢٥م، وقام بنشر الموسوعة القانونية لزيد بن علي، ووضع فهرس المخطوطات العربية المحفوظة بمكتبة (الأمبروزيانا) بميلانو.

لقد تمكن بعض المستشرقين الإيطاليين من الرحيل إلى المشرق والعيش فيه والتدريس في جامعاته وخاصة مصر، وقد تلمذ لهم عدد من قادة الفكر العربي، وأذكر منهم ـ على سبيل المثال ـ الدكتور طه حسين الذي درس على المستشرق نللينو.

تمكن بعض المستشرقين الإيطاليين من الرحيل إلى المشرق والعيش فيه والتدريس في جامعاته وخاصة مصر، وقد تلمذ لهم عدد من قادة الفكر العربي

يتميز الاستشراق الإيطالي من غيره أيضاً بوجود الكثير من المستشرقات اللاتي أسهمن بجهدٍ وافر في مجال الدراسات الشرقية، إضافة إلى وجود ما يسمى بالوراثة العلمية، ففي مجال الاهتمام بالدراسات الشرقية نجد الأبناء يسيرون على خطا آبائهم، ويكملون ما بدؤوه، ويجمعون ما أنجزوه، وكمثال على ذلك: جويدي وابنه ميكلنجلوا، ونللينو وابنته ماريا، وغابرييلي وابنه فرانشيسكو.

فرانشيسكو غابرييلي ومجهوده الاستشراقي

تشعّبت تيارات الدارسين للشرق، وتعددت آراؤهم فيه، فمنهم من كان مأخوذاً بأفكار مسبقة يخدمون في كتاباتهم الحركة الاستعمارية للفكر الأوربي سراً وعلانية ولكن مهما وجهت من تهم للاستشراق والمستشرقين فلابد من إنصاف بعض المستشرقين الذين أدوا للتراث العربي والإسلامي خدمات جليلة، سواء بأبحاثهم العلمية أو تحقيقاتهم للتراث واكتشاف مصادره، ووضع فهارس مهمة يستفيد منها القارئ العربي في أبحاثه ودراساته. ويرى فرانشيسكو غابرييلي أنه: حتى وقت قريب لم تكن تبدو دراسة شعوب الشرق وحضاراتهم من قبل الغربيين بحاجة إلى من يدافع عنها، أو يثني عليها؛ وذلك لأنها كانت معدودة أحد فروع العلم الأكثر مسالمة ووداعة. كان المستشرق يعدّ باحثاً اختار بمحض إرادته أن يركز همه العلمي في أحد قطاعات المعرفة الأبعد من حيث المكان والزمان (وهو لا يزال كذلك في بعض القطاعات الأقل اطلاعاً من الرأي العام الأوربي). لقد اختار هذا القطاع المملوء بالعراقيل والعقبات: أقصد اللغة الوعرة، والكتابات المتعذرة على الفهم ثم الأديان والفلسفات والآداب الأكثر بعداً عن الخط الرئيس للتراث الكلاسيكي والغربي، أقصد الخط اليوناني والروماني.

إذا ما تجاوزنا هذه النظرة المتواضعة جداً وارتفعنا إلى مستوى أعلى، أي إلى مستوى الاعتبارات الأكثر تاريخية، وجدنا أن الاهتمام بالحضارات الشرقية يشكل بحد ذاته أحد الفصول المشرقة للثقافة والحضارات الأوربية في العصر الحديث.

والمستشرق، حسب وجهة نظره، هو إما مكتشف طليعي يسبق الاستعمار، ويمهد له الطريق، وإما حليف ومستشار تقني للتاجر الأوربي أو للسياسي الأوربي أو للمشتغل الغربي، إنه أحد المسؤولين، إن لم يكن المسؤول الأول عن الشرور التي أصابت الشعوب الشرقية من جراء الاستعمار. ولكن من العدل والإنصاف والشرف أيضاً ألا نعمم هذه الحالات والأحداث الخاصة، ونشمل بإدانتنا كل البحث الاستشراقي. فهذه الإدانة قائمة على خلط الأمور؛ ذلك أنه من الخطأ والمغالطة أن نؤكد أن الباعث الوحيد والأساسي لاهتمام أوربا بالعالم الشرقي من النواحي التاريخية واللغوية والأدبية والدينية كان مرتبطاً بالمخططات السياسية والاقتصادية للاستعمار.

ويجب ألا ننسى - كما يقول - أسماء مهمة كالمستشرق إدوارد براون الذي قضى حياته وهو يناضل من أجل استقلال «فارس» وحريتها. ثم لويس ماسينيون الذي ضربه الفاشيون الفرنسيون ورجال البوليس مرة؛ لأنه أراد أن يفي بالوعد الذي قطعه تجاه العالم العربي. ثم ليوني كايتاني الذي أصبح مدعاة للسخرية والهزء في إيطاليا، ولقبوه بالتركي؛ لأنه عارض احتلال ليبيا. وغيرهم كثير.

لقد انتهى عهد الاستعمار، ودفن، ولقي المصير الذي يستحقه، ولكن هذه النهاية لا تؤثر إطلاقًا في المنجزات العلمية لكبار المستشرقين الأوروبيين، فقد كانوا يريدون في أعمالهم منجزات مفعمة بحب العلم والبحث عن الحقيقة. لقد أمضى فرانشيسكو غابرييلي حياته كلها في الدراسة المفعمة بالحماسة لواحدة من الحضارات الشرقية، وهي الحضارة العربية الإسلامية «وعلى الرغم من أني كنت دائمًا أشعر بمدى عظمة هذه الحضارة العربية الإسلامية، ومدى شرفها وكرامتها بصفتها أحد المكونات الشرقية لتاريخ البشرية، ومن ثم فإني عالم بالأمور، وأستطيع أن أحكم فيها أو عليها. إني أرفض قطعيًا هذا التقييم الظالم لأعمال الأجيال المتتالية من المستشرقين أو المختصين بمعرفة الشرق والذين لا يهدفون إلى (خدمة العلم) مصلحة شخصية من وراء هذه المعرفة. إنهم يهدفون إلى خدمة العلم والفضول العلمي الذي يشكل إحدى خصائص الإنسان. وليس لي إلا أمنية واحدة: هي أن يخترع الشرق قيمًا جديدة ومبتكرة قادرة على إغناء ميراث البشرية على هذه الأرض» (انظر هامش رقم١).

يتميز فكر فرانشيسكو بالتحرر والصدق والاطلاع الواسع، والفهم السليم للعرب، وتقدير مقامهم في الماضي والحاضر وقدّم للقارئ الإيطالي عددًا من فرائد الأدب العربي والإسلامي

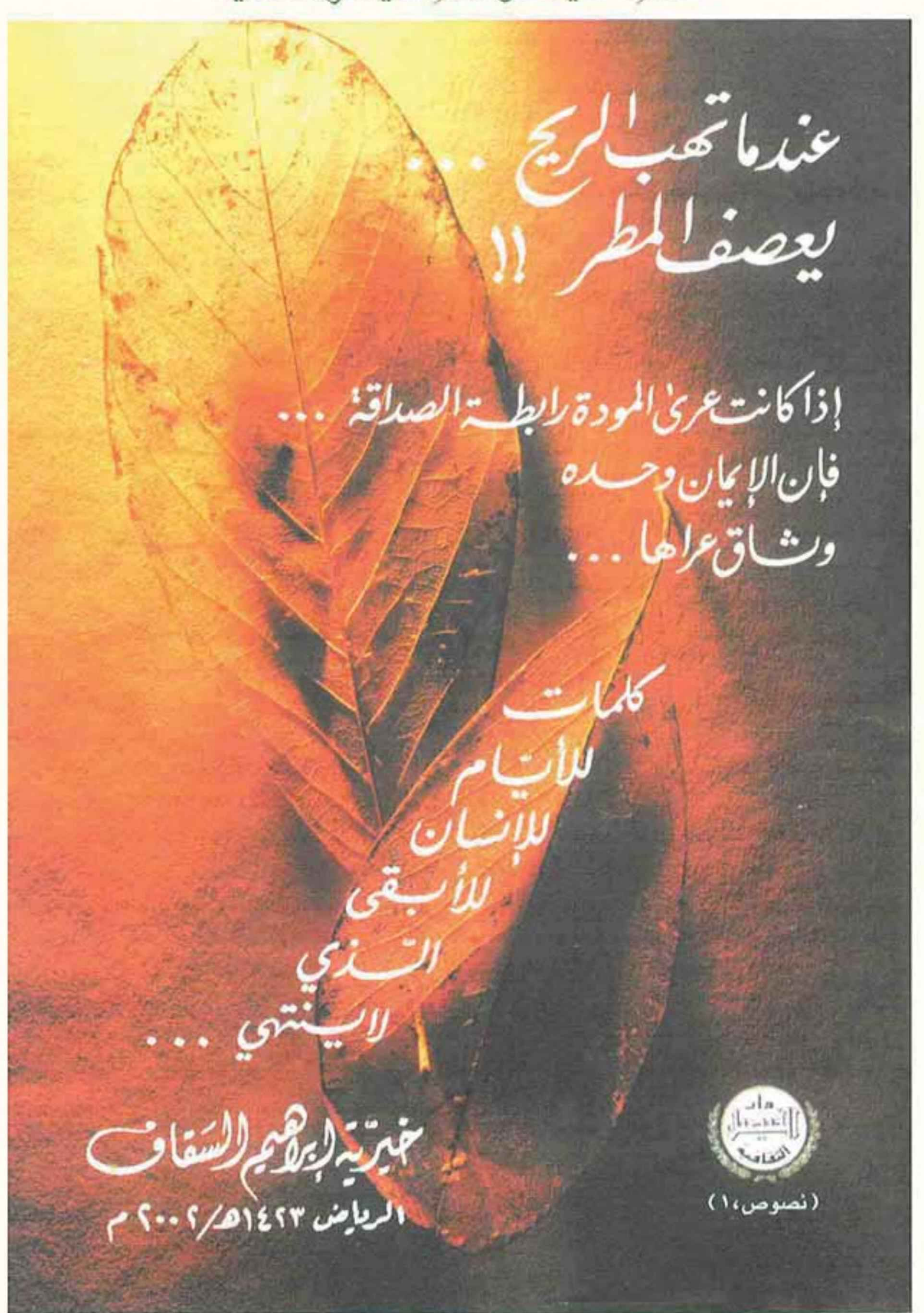
لقد كان للحضارة الإسلامية أثر بعيد وتراث حافل في العالم الغربي، وبخاصة ما يطل منه على البحر المتوسط حيث كانت تقوم الإمبراطورية الرومانية التي أصبح بعض ممتلكاتها أرضًا إسلامية حتى اليوم، أو أرضًا إسلامية فترة من الزمن (الأندلس وصقلية) أو أرضًا دخلت في نطاق حضارة الإسلام بحكم مجاورتها للأولى أو للثانية.

وهكذا سيطر المسلمون على البحر الأبيض المتوسط وجعلوه بحيرة إسلامية، مما اضطر الغرب الأوربي إلى الاعتماد في اقتصاده على دواخل القارة الأوربية فقط، بدلاً من البحر بسبب هيمنة المسلمين عليه إلى حد كبير. وكان لهذا أثره في التدهور الاقتصادي لبلاد الغرب.

ونجد خلاصة التأثيرات العربية في الحضارة الإيطالية في الكلمات العربية التي دخلت اللغة الإيطالية، وتتركز في المبادلات التجارية والجمركية، وأسماء الواردات والمهن، يضاف إليها بعض العلوم، كالفلك أو التنجيم، والرياضيات، والكيمياء والصيدلة، والطب، والفلسفة.

المراجع

١. كتاب الاستشراق بين دعاته ومعارضيه، ترجمة وإعداد: هاشم صالح، دار الساقي، ص٣١ - ٣٩.
٢. كتاب الاستشراق السياسي في النصف الأول من القرن العشرين، مصطفى نصر المسلاتي، دار اقرأ، ص٢١١ - ٢١٢.
٣. كتاب الدراسات العربية والإسلامية في أوربا، د. ميشال جحا، معهد الإنماء العربي، ص ١٠ - ١٠٥.
٤. مجلة كلية الدعوة الإسلامية الليبية، العدد الثالث، ١٩٨٦م، ص٢٨٨.
٥. مجلة الفكر العربي، عدد ٣١، ص٢١٨.
٦. مجلة المجلة المصرية، عدد ٧٩، ١٩٦٣م، ص٤٠ - ٤١.
٧. صحيفة الشرق الأوسط، عدد ١٢/ ١٥، ١٩٩٦م، ص٢٤.


عندما تهب الريح ...
يعصف المطر !!
إذا كانت عرى المودة رابطة الصداقة ...
فإن الإيمان وحده
وثاق عراها ...
كلمات
للأيام
للإنسان
للأبقى
الذي
لا ينتهي ...
خيرية إبراهيم السقاف
الرياض ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م
(نصوص،١)



سمو النائب الثاني يدشن
موسوعة الأدب العربي السعودي

الأمير خالد الفيصل
يحاضر عن مؤسسة الفكر العربي
في مركز الملك فهد الثقافي

التأمين بين الإباحة والحظر
في مركز الملك فيصل

«الشباب والانفتاح العالمي»
في مؤتمر الندوة العالمية التاسع

عودة كليوباترا،
ونصب تذكاري للوركا

جائزة زفزاف للطيب صالح،
وجائزة الكتاب لزوبيل

«الآداب» في الممنوع، واللورد سجيناً



خاتمة المطاف

الجهل
والتخلف

الأدب العربي السعودي في موسوعة


الأمير سلطان بن عبد العزيز

دشن صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء وزير الدفاع والطيران والمفتش العام في مساء يوم ٢ رجب الماضي في قصر الخالدية في جدة، موسوعة الأدب العربي الحديث التي حظيت بدعم سموه، وقامت بإصدارها دار المفردات في الرياض، وتقع الموسوعة في تسعة أجزاء وعشرة مجلدات في أكثر من ٦ آلاف صفحة، وتترجم للأدباء السعوديين المعاصرين خلال قرن (الفترة من ١٣١٩ - ١٤١٩هـ)، إذ تترجم لـ ٤٩٨ كاتباً وأديباً، وتتضمن ٥٩٣ نصاً، وحضرت حفل التدشين اللجنة العلمية للموسوعة برئاسة د.منصور الحازمي.

ويتضمن الجزء الأول من الموسوعة مقدمة عامة عن الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية في السعودية، وملحقات باللوائح والنظم التأسيسية والتنظيمية للمؤسسات الثقافية والأدبية، ويشتمل الجزء التاسع من الموسوعة على تراجم الكُتّاب الذين اختيرت نصوصهم في الموسوعة، فضلاً عن كشاف بالأعلام والمصادر والمراجع، وتختص الأجزاء السبعة الأخرى بجنس أدبي محدد كالشعر والمقالة والقصة القصيرة والرواية والسيرة الذاتية، وجزء للدراسات النقدية مكون من مجلدين، وقد تم تقسيم كل جنس أدبي إلى أربع مراحل هي البدايات (١٩٠٢ - ١٩٢٣م)، والتأسيس (١٩٢٤ - ١٩٥٣م)، والتجديد (١٩٥٤ - ١٩٧٠م)، والتحديث (١٩٧١ - ١٩٩٩م).

وقد تحدث رئيس اللجنة العلمية للموسوعة عن أهمية الموسوعة الحديثة قائلاً: «إنها مفيدة للقارئ بوجه عام، فهي تتتبع بدايات الأجناس الأدبية بالسعودية، وبدايات الدراسات النقدية بحيث يتمثل القارئ عند قراءتها النواحي الفكرية والسياسية والاجتماعية والثقافية والفنية من خلال الترجمات والنصوص المختارة».

في افتتاح الموسم الثقافي لمركز الملك فهد
الأمير خالد الفيصل: «مؤسسة الفكر العربي» مبادرة تضامنية بين الفكر والمال للنهوض بالأمة


الأمير خالد الفيصل

استضاف مركز الملك فهد الثقافي في أول نشاطاته الثقافية لهذا العام صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل بن عبدالعزيز أمير منطقة عسير ورئيس مؤسسة الفكر العربي في محاضرة بعنوان «مؤسسة الفكر العربي: أهدافها ودورها في خدمة الوطن العربي»، وذلك مساء الأربعاء ١٨ رجب الماضي (الموافق ٢٥ سبتمبر/أيلول ٢٠٠٢م)، وأدار الأمسية الأستاذ محمد رضا نصرالله الكاتب بصحيفة الرياض، وقد شهد المحاضرة عدد كبير من الأدباء والمفكرين.

وبدأت الأمسية بكلمة صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن فهد بن عبدالعزيز الرئيس العام لرعاية الشباب الذي رحب فيها بالأمير خالد الفيصل.

وقد جه الأمير خالد الفيصل في مستهل محاضرته الشكر إلى القائمين على أمر المركز، ووعد بأن يطرح مشروع مؤسسة الفكر العربي منذ أن كانت في خاطره مجرد هاجس وفكرة، وبدأ ذلك باستعراض حال الأمة العربية، وقال: إنها في سباق غير متكافئ في ظل النظام العالمي الجديد، وهو عالم لا يفسح المجال إلا للكيانات الكبيرة التي توظف إمكاناتها من أجل تحقيق السبق في مضمار التفوق الحضاري.

ثم تعرض سموه لتكالب دول الغرب على المنطقة العربية، والغزو الفكري والثقافي الذي تتعرض له الأمة، مبيناً تأثير ذلك فيها. وقال: إن «مهمة النجاة بالأمة تقع على عاتق أرباب الفكر، فهم الأقدر على تأسيس المفاهيم السلوكية التي تربط بين الناس وتشكل لحمة النسيج لكل أمة، وإذا كانت أبرز عوامل الربط تتمثل في اللغة والدين والتاريخ والأصل المشترك، فجميعها في أمة العرب أشد وضوحاً وفاعلية منها عند الأوربيين الذين اتحدوا على الرغم من اختلافهم على تفصيلات كثيرة، بينما لايزال حلم العرب دمعة تترقرق في

مآقي العيون انتظاراً لخطوة فاعلة».

وقال الأمير خالد الفيصل إن التضامن الذي تنشده الأمة لابد أن يبدأ بدايته الصحيحة بوحدة الهدف في الفكر والثقافة الفاعلة لكل الأنشطة الإنسانية، وإن هذا يحتم بالضرورة مساهمة أرباب الفكر العرب - في كل المجالات - في مؤسسة عربية أهلية، تعنى بالعلوم والآداب والفنون، وتشجع الإبداع وتكرم المبدعين، وبخاصة أولئك الذين يتجهون بنشاطهم إلى خدمة فكرة التضامن العربي ولم شتات الأمة.

وأضاف أن فكرة المؤسسة أعلنت أول مرة في مايو/أيار عام ٢٠٠٠م في بيروت عندما دعي لإلقاء الكلمة الرئيسة في احتفالية في لبنان بمناسبة اختياره عاصمة للثقافة العربية ذلك العام، وقال: «ثم كاتبت بعد عودتي إلى قواعدي في أبها نخبة من الشخصيات العربية المهتمة بالفكر والثقافة، وشرحت لهم فكرة المشروع وأهدافه والآليات المقترحة لتنفيذه، فتلقيت موافقة أكثر من عشرين ممن خاطبتهم، ثم اجتمعوا في القاهرة لاحقاً حيث أعلنوا في الثالث من يونيو/حزيران عام ٢٠٠١م عن تأسيس مشروع «مؤسسة الفكر العربي» مبادرة تضامنية بين الفكر والمال للنهوض بالأمة العربية، وحددوا مساهمة العضو المؤسس بمليون دولار، والعضو المشارك من عشرة إلى مئة ألف دولار».

وذكر سموه أهداف المؤسسة التي منها تنمية الاعتزاز بثوابت الأمة، وقيمها وهويتها من خلال البرامج الثقافية الملائمة، وترسيخ الأفكار والفعاليات التي تعمل على نبذ دواعي الفرقة، وتحقق تضامن الأمة، وتوحد جهودها، لتصب في المصلحة العربية العليا، والعناية بمختلف المعارف والعلوم، وتعميق الاهتمام بالدراسات المستقبلية، والاستغلال الأمثل للتقنيات الحديثة المتاحة. وتطرق سموه إلى المشروعات التي يجري تنفيذها الآن، ومنها تنظيم مؤتمر سنوي يطرح أهم القضايا العربية الداخلية والخارجية لنقاش حضاري موضوعي هادئ، تقدم نتائجه إلى مراكز صناعة القرار العربي، وللدوائر العالمية ذات العلاقة، وغير ذلك من المشروعات.

وأشار إلى أن القاهرة سوف تشهد في نهاية شهر أكتوبر/تشرين الأول الحالي - إن شاء الله - فعاليات المؤتمر الأول للفكر العربي، الذي تنظمه المؤسسة تحت رعاية الرئيس المصري حسني مبارك، ويحضره نخبة من المفكرين العرب والأجانب ويناقش عدداً من المحاور، هي: «نحو علاقة عادلة بين العرب والغرب» و«ماذا لو فشل خيار السلام؟»، و«تكامل الاقتصاد العربي وأسباب الفشل»، و«التعليم العربي: الواقع والمستقبل»، و«الشورى والديمقراطية: رؤية عصرية»، و«الديانات السماوية والهوية العربية»، و«المعالجات الإعلامية للمشكلات العربية»، و«متى يصبح العرب منتجين للتقنية»، و«إسهام المرأة في الفكر العربي»، و«اللغة العربية وروح العصر».

وأكد سموه أن هذه المؤسسة لا تخضع لأي توجهات أو توجيهات من أي نوع، وليست منافسة لمؤسسات قائمة، ولا بديلة، كما أنها لم تقم نتيجة رد فعل على أحداث سبتمبر/أيلول ٢٠٠١م، إذ سبق أن أعلنت فكرتها قبل ذلك بأكثر من عام، وجرى تأسيسها قبل خمسة أشهر من تلك الأحداث، وإن كان ذلك لا ينفي أن المؤسسة أعادت ترتيب أولوياتها تأثراً بتلك الأحداث، وأعلن أن النظام الأساسي للمؤسسة ينص على أن الصرف على نشاطات المؤسسة يتم من عائد رأس المال «الوديعة» فقط ضماناً لاستمرارية المشروع.

وأعقبت المحاضرة مجموعة من المداخلات شارك فيها عدد من المفكرين والأدباء منهم الأمير خالد بن فهد بن خالد، والأستاذ عبدالله الشهيل، والدكتور عبدالعزيز بن سلمة، بالإضافة إلى قراءة عدد من الأسئلة التي أرسلت إلى سموه، وفي ختام المحاضرة تسلم سموه هدية تذكارية من مركز الملك فهد الثقافي.

افتتاح مركز آل زلفة الثقافي

افتتح صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل أمير منطقة عسير مساء الجمعة ٢١ جمادى الآخرة الماضي، مركز آل زلفة الحضاري والثقافي بقرية المراغة في أحد رفيدة التابعة لمنطقة عسير، وتحدث سموه في الاحتفال الذي أقيم بهذه المناسبة مبدياً سعادته بمشاركة أبناء هذه القرية بانطلاق هذا المشروع الأثري والحضاري، وهنأ سموه آل زلفة وجميع أهالي قرية المراغة باهتمامهم بالآثار وبهذه المشروعات الثقافية والحضارية التي سيكون لها آثارها الإيجابية في مشروع السياحة في هذه المنطقة وجميع أنحاء السعودية، ودعا سموه أبناء المنطقة إلى المحافظة على التراث والتاريخ والإرث الحضاري مؤكداً أن ذلك يشكل رافداً كبيراً ومهماً للسياحة الداخلية.

ورحب صاحب القصر وعضو مجلس الشورى الدكتور محمد بن عبدالله آل زلفة بسموه، ومشيداً برعايته لهذا

المشروع الذي يحكي قصة الإنسان والأرض حضارة وثقافة ضاربة في أعماق التاريخ.

التأمين بين الإباحة والحظر

نظم مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية في ١٧ جمادى الآخرة الماضي محاضرة بعنوان «التأمين بين الإباحة والحظر»، ألقاها الشيخ عبدالله بن سليمان المنيع عضو هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية، وقدم المحاضرة الأستاذ فهد بن عبدالعزيز السنيدي.

الشيخ
عبدالله المنيع

بدأ المحاضر بالقول: إن التأمين على الأموال والمنافع وغيرها وسيلة من وسائل حفظ المال ورعايته والتعويض عنه في حالة تلفه أو ضياعه، وإن الحديث عن التأمين من هذا المنطلق والتصور يقتضي التمهيد له بما يعطي العلم عن مفهوم الإسلام للمال ونظرته إليه من حيث: قيمة المال في نظر الإسلام، والعناية بالمال وحفظه، ونظرة الإسلام نحو كسب المال وتحصيله، ونظرة الإسلام إلى المال: هل هو غاية أو وسيلة؟، ونظرة الإسلام إلى تكدس الثروات في أيدي الملاك، وعناية الإسلام بحفظ المال عن طريق وسائل الإثبات.

ثم عرّف بعد ذلك التأمين لغة واصطلاحًا، وقال عن التأمين: إنه من المسائل المستجدة التي لم يكن لفقهائنا السابقين ذكر له لعدم وجوده في عصورهم، وذكر أن أول من ذكره من الفقهاء ابن عابدين، رحمه الله، وقد أجاب عندما سئل عنه بجواب خلاصته الكراهة.

وتعرض المحاضر بعد ذلك لأهم المؤتمرات والندوات والمجالس العلمية التي عقدت لبحث هذه النازلة الجديدة، وأورد الفتاوي التي أصدرها العلماء، فمنهم من حرمه مطلقًا، ومنهم من أجازه مطلقًا، ومنهم من فصّل في ذلك، فأجاز التأمين التعاوني، وحرّم التأمين التجاري.

ثم تناول «التأمين التعاوني ومستند القول بجوازه لدى القائلين به»، وأوضح الفرق بين التأمين التعاوني والتأمين التجاري، واستعرض حجج الذين سوغوا القول بجواز التأمين التعاوني وحرمة التأمين التجاري، وناقش ذلك في عدة وقفات:

الوقفة الأولى فيما يتعلق بدعوى التعاون المحمود في التأمين التعاوني وانتفائه عن التأمين التجاري، والوقفة الثانية مع القول بأن القسط التأميني في التأمين التعاوني تم تقديمه من قبل المؤمن له على سبيل التبرع، والثالثة مع القول: إن توزيع الفائض في الصندوق بعد دفع المستحقات عليه يخرج التأمين التعاوني من أن يكون طريقًا من طرق المتاجرة وطلب الربح، والرابعة مع القول بأن التأمين التجاري يشتمل على الربا والقمار والغرر والجهالة، وأن التأمين التعاوني لا يشتمل على ذلك، وإنما هو ضرب من ضروب التعاون والتسامح والتبرعات.

وخلص المحاضر في نهاية الندوة إلى أن:

- الإسلام ينظر إلى المال نظرة تقدير واعتبار، وأنه وسيلة لتحصيل مرضاة الله، وتحقيق حكمة خلق الله عباده، وأنه ضد تكدس الأموال في أيدي قلة من الناس، وله في سبيل ذلك مجموعة تشريعات وترغيبات لتفتيت الثروات، وإعادة توزيعها بعد الممات.
- الإسلام يضع القيود والضوابط في سبيل تحصيل المال حتى تكون كافية لمنع الظلم والعدوان في اكتسابه على الأفراد والجماعات.
- الإسلام يوجه إلى ضرورة حفظ المال وأخذ الوسائل الكفيلة لذلك، ومن وسائل حفظ المال التأمين على الأموال لضمان سلامتها، بالتعويض عنها في حالة ضياعها أو تلفها.
- التأمين نازلة اقتصادية من نوازل العصر اقتضتها حماية المال وحفظه.
- التأمين موضوع جديد لا عهد لفقهائنا الأقدمين به، وقد جرى بحثه والنظر في حكمه من حيث الجواز أو المنع لدى مجموعة من المجالس والمجامع الفقهية والندوات والحلقات العلمية، ولدى مجموعة من الفقهاء، ومن مجموعة من الهيئات الرقابية للمؤسسات المالية الإسلامية.
- اختلف العلماء في حكمه فمنهم من حرمه مطلقًا، ومنهم من أجازه مطلقًا، ومنهم من فصّل في ذلك، فأجاز بعضه، وحرّم بعضه الآخر.
- ذهب جمهور فقهاء العصر إلى تقسيم التأمين إلى تأمين تعاوني جائز وتأمين تجاري محظور، وذكر القائلون بهذا التقسيم جواز التأمين التعاوني، وحرمة التأمين التجاري، وممن قال بهذا هيئة كبار العلماء، ومجمع الفقه الإسلامي بمكة المكرمة، ومجمع الفقه الإسلامي بجدة.

ـ قال بجواز التأمين مطلقًا الشيخ مصطفى الزرقا، رحمه الله، وصدر قرار الهيئة الشرعية لشركة الراجحي المصرفية بذلك.

ـ استند القائلون بإجازة التأمين التعاوني على أنه تبرع وتعاون، وليس من عقود المعاوضات، فهو تأمين خال من الربا والقمار والغرر والجهالة، وجرى نقاش ذلك بما أزال جسور التفريق بينه وبين التأمين التجاري.

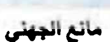
ـ جاء في المحاضرة تعيين محل العقد وأنه ضمان الأمن والسلامة للمؤمن له، وليس معاوضة نقود بنقود حيث انتفى بهذا التوجيه القول بأن التأمين يشتمل على الربا والقمار والغرر والجهالة.

ـ الجواب عن الإيرادات بالقول بضمان الأمن من حيث إن الأمن أمر معنوي ليس محل معاوضة وفي الأمر نفسه لا يملكه المؤمن كما لا يجوز أخذ الأجرة على الضمان، وضمان المجهول وما لم يقع محل خلاف بين أهل العلم.

ويرى المحاضر في ختام المحاضرة أن موضوع التأمين ذو أهمية بالغة من حيث حصول البلوى به في غالب مجالات حياتنا، ويدعو إلى الاهتمام به وبحثه، ويختم بالقول: إنه يحتفظ برأيه في «إعطاء الحكم على التأمين من حيث الإباحة أو التحريم حتى وقته المناسب».

وأعقب ذلك مناقشات ومداخلات من جانب الحضور.

وفاة الجهني ومؤتمر الندوة في شعبان


مانع الجهني

توفي في الخامس والعشرين من جمادى الأولى الماضي الدكتور مانع بن حماد الجهني عضو مجلس الشورى السعودي، والأمين العام للندوة العالمية للشباب الإسلامي على أثر حادث مروري.

وكان الجهني قد ولد في مدينة العيص عام ١٣٦١هـ/١٩٤٢م، وحصل على شهادة الثانوية العامة من مدرسة ليلية بالطائف، ثم انتقل إلى مدينة الرياض فدرس في جامعة الرياض (الملك سعود حاليًا) منتسبًا، وحصل على البكالوريوس في الأدب الإنجليزي، ونال الماجستير والدكتوراه من جامعة إنديانا سنة ١٩٨٢م في اللغة الإنجليزية وتاريخها.

وكان الدكتور الجهني نشيطًا في أثناء فترة الدراسة، إذ شارك في نشاط اتحاد الطلاب المسلمين في الولايات المتحدة وكندا، وشغل منصب رئيس فرع اتحاد الطلاب في جامعة إنديانا فترتين، وكان رئيس لجنة التربية والتعليم وعضو اللجنة الفقهية في الاتحاد الإسلامي لأمريكا الشمالية، كما كان أحد المؤسسين وأول أمين عام لرابطة الشباب المسلم العربي التي كانت من أنشط الجمعيات الإسلامية في أمريكا الشمالية.

شغل الراحل في أول حياته العملية وظيفة مساعد فني في وزارة المواصلات سنة ١٣٨٠هـ، ثم أستاذًا مشاركًا في قسم اللغة الإنجليزية في جامعة الملك سعود، كما عمل متطوعاً في الفترة المسائية في الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ثم أصبح أميناً عاماً مساعداً لها، ثم أمينًا لها، وقد تم التجديد له في ثلاث دورات متتالية حتى وفاته، واختير عضواً في مجلس الشورى سنة ١٤١٨هـ، وأعيد اختياره لدورة ثانية سنة ١٤٢٢هـ، كما شغل الفقيد عضوية عدد من المنظمات والهيئات الدعوية والخيرية والجامعات الإسلامية في أنحاء العالم.

وللدكتور الجهني الكثير من المؤلفات في مجال العمل الإسلامي باللغتين العربية والإنجليزية، بالإضافة إلى بعض المؤلفات الأدبية، ومشاركات في تلفازات الخليج وإذاعاته في مجال التعريف بالإسلام والدعوة الإسلامية باللغتين العربية والإنجليزية.

وقد عين الدكتور صالح بن سليمان الوهيبي أمينًا عامًا للندوة العالمية للشباب الإسلامي خلفًا للأمين العام الراحل الدكتور مانع بن حماد الجهني ـ يرحمه الله، وكان الدكتور صالح الوهيبي يشغل منصب الأمين العام المساعد للشؤون التنفيذية بالندوة منذ سنة ١٤٠٦هـ، وعضو مجلس أمناء الندوة منذ سنة ١٤١٩هـ، كما هو معروف في الوسط الدعوي والخيري .. ويعمل، بالإضافة إلى ذلك، أستاذًا مشاركًا بكلية الآداب بجامعة الملك سعود بالرياض، وهو حاصل على درجة الدكتوراه من جامعة إنديانا بالولايات المتحدة الأمريكية.


صالح الوهيبي

وقد أوضح الوهيبي أن هذا التكليف إنما لفترة قليلة إلى حين انعقاد الجمعية العمومية في المؤتمر التاسع للندوة العالمية

للشباب الإسلامي والذي سوف يعقد في الرياض في شهر شعبان القادم، ومن ثم سيجري اختيار أمين عام للندوة، ويتم من خلالها اختيار أعضاء مجلس الأمناء.

ويتضمن المؤتمر المعنون «الشباب والانفتاح العالمي» خمسة محاور رئيسة هي: «الشباب والانفتاح الاقتصادي»، و«الشباب والانفتاح الإعلامي والثقافي»، و«الشباب والانفتاح السياسي»، و«الشباب والانفتاح الاجتماعي والتربوي»، و«الدعوة والانفتاح العالمي».

جمعية علوم الاتصال

أصدرت وزارة التعليم العالي في المملكة العربية السعودية مؤخراً قراراً بتأسيس جمعية علمية متخصصة في علوم الاتصال والإعلام، كأول جمعية في هذا المجال، وقد تقرر أن يكون مقرها في جامعة الملك سعود في مدينة الرياض.

و ترمي هذه الجمعية - التي ستبدأ فعالياتها قريباً - إلى تنمية الفكر العلمي في مجال الإعلام والاتصال من خلال الدراسات والبحوث والندوات المتخصصة، وسوف تشكل منبراً للتواصل بين الأكاديميين والمهنيين من القائمين على شؤون الإعلام في المملكة، ليتم من خلال هذا التواصل تطوير الأداء المهني وتبادل الخبرات المتخصصة في هذا المجال.

وتشمل أنشطة الجمعية إقامة الندوات والمؤتمرات والبحوث والتأليف والنشر العلمي والتوثيق الإعلامي والاستشارات المتخصصة والتدريب الإعلامي، وسوف تصدر الجمعية مجلة علمية نصف سنوية محكّمة متخصصة في الدراسات الإعلامية وبحوث الاتصال الإنساني بمختلف فروعه، تحت اسم «المجلة العربية لعلوم الاتصال»، كما ستصدر دورياً عن الجمعية نشرة (إعلام) بهدف التعريف بأخبار الجمعية وأنشطتها وأعضائها للتواصل فيما بينهم للوقوف على ما يستجد من برامج وفعاليات إعلامية، كذلك تم تكوين لجنة نسائية تابعة للجمعية تضطلع بتفعيل النشاط الثقافي والمشاركة النسائية في أعمال الجمعية وفعالياتها، ذلك للجهود التي تبذلها المرأة في دعم المؤسسات الإعلامية المرئية والمسموعة والمقروءة ومساعدتها، وتجري حالياً التجهيزات الفنية والتحريرية لتدشين موقع الجمعية على الإنترنت.

وقد وجه رئيس مجلس إدارة الجمعية الدكتور علي بن شويل القرني الدعوة إلى رؤساء تحرير الصحف السعودية ومسؤولي إدارات الإعلام للانضمام إلى الجمعية.

أكبر كنوز اليمن في كهف

عثر مواطنان يمنيان بالمصادفة على ٨٠ كيلوجراماً من الذهب الخالص، فيما وصف بأنه أكبر كنز أثري من الذهب في تاريخ اليمن. وكان اثنان من رعاة الأغنام لجأا إلى أحد الكهوف الجبلية المطلة على قرية المصبار، حيث يقطن الراعيان اتقاء للمطر، لكنهما فوجئا وهما في طريقهما إلى الكهف بتجويف صخري مربع الشكل، وبداخله كميات كبيرة من القطع الذهبية.

وذكرت صحيفة «١٤ أكتوبر» اليمنية أن السلطات الأمنية تحفظت على الكنز.

بيروت تودع نبيل خوري


نبيل خوري

توفي في الثالث عشر من سبتمبر/أيلول الماضي الصحافي اللبناني نبيل خوري بعد غيبوبة استمرت نحو سنتين وثلاثة أشهر، وقد رثاه رئيس الوزراء اللبناني رفيق الحريري في كلمة بعنوان «نبيل رحل»، كما نعته نقابة الصحافيين اللبنانيين على لساني نقيبي الصحافة والمحررين، محمد بعلبكي وملحم كرم.

ويعد نبيل خوري من الرعيل الأول للصحافيين والكتّاب العرب الذين لمعوا في أواخر الخمسينيات والستينيات، إذ أصدر مجلة «المستقبل» الأسبوعية عام ١٩٧٧م التي انتقلت ملكيتها فيما بعد إلى الرئيس رفيق الحريري لتصدر صحيفة يومية، وقد تنقل نبيل في عدة مواقع صحافية بدأها في رحلة طويلة مع «دار الصياد»، وكتب سلسلة روايات في شبابه منها: «المصباح الأزرق» ١٩٥٧م، و«راقصة على الزجاج» ١٩٥٨م، و«الإمبراطورة الحزينة» ١٩٥٩م، و«مجتمع بلا رتوش»، كما عمل مديراً للبرامج في الإذاعة اللبنانية في عهد الرئيس فؤاد شهاب، وكتب عن فلسطين «حارة النصارى» ١٩٦٨م، و«ثلاثية فلسطين» ١٩٧٤م، و«المقالات الغاضبة» ١٩٨٨م.

وفي غربته في باريس كتب رواية «الغربتان» عام ١٩٩٥م، و«أوراق الشتاء» و«الرقم الصغير»، و«ليلة القبض على الصحافي» ١٩٩٧م، وصدر له كتاب ضخم عام

١٩٩٨م عن دار الريس في بيروت عنوانه «المرافئ القديمة .. من دفاتر الصحافة»، وهو مجموعة مقالات مختارة كتبها في جريدة النهار، ومجلة المستقبل ومجلة الحوادث، ومجلة ياسمين.

عمل خوري في جميع مجالات الإعلام وكتب في مجلاتها سواء أكانت سياسية مثل «الصياد» و«الأنوار» و«الحوادث» و«المستقبل»، أم اجتماعية مثل «الخنساء»، وهي أول مجلة نسائية يصدرها، كما قدم في إذاعة صوت أمريكا، وإذاعة الشرق، والإذاعة اللبنانية عدداً من البرامج المسلية والماتعة.

وقد شيعت بيروت نبيل الخوري في مأتم رسمي وشعبي حاشد، ومنحه الرئيس اللبناني أميل لحود وسام الاستحقاق الفضي ذا السعفة.

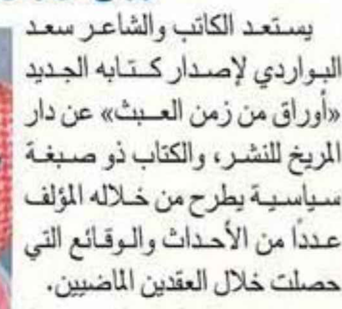
مخطوطة نادرة
عن تاريخ جزيرة العرب

اقتنت مكتبة الملك فهد الوطنية مؤخراً مخطوطة نادرة من كتاب «اللامع اليماني في تاريخ اليمن والمخلاف السليماني» لمؤلفه القاضي عبدالله بن علي العمودي. وهذا الكتاب من أهم الكتب التاريخية، وتعد النسخة التي حصلت عليها المكتبة واحدة من أهم نسخه لكونها كُتبت بخط يد المؤلف.

ويؤرخ الكتاب، الذي يتألف من مجلدين من الحجم الكبير، للمنطقة الجنوبية للجزيرة العربية والتحولات التي مرت بها بما فيها الفترة الأخيرة، بعد أن وحّد الملك عبدالعزيز أرجاء الجزيرة، إذ اعتمد المؤلف في مصادره على الكتب والمراجع إضافة إلى الرواية عن الثقات، والمشاهدات الشخصية للمؤلف.

و من الطريف ذكره أن المؤلف بعد أن بيّض الكتاب في المرة الأولى وذلك سنة ١٣٥٨هـ عرضه على الوجيه محمد نصيف في مكة المكرمة لينظر في أمر طباعته، ولكن ظروف الحرب العالمية الثانية وما تبعها من ارتفاع أسعار الورق حالت دون طبع الكتاب، وفي سنة ١٣٧١هـ أعاد المؤلف تبييض الكتاب وزاد فيه زيادات وهي النسخة التي اقتنتها المكتبة حاليًا. واستمر المؤلف في كتابة الحواشي والزيادات على هوامش النسخة إلى ما بعد وفاة الملك عبدالعزيز، رحمه الله.

أوراق من زمن العبث





سعد البواردي

يستعد الكاتب والشاعر سعد البواردي لإصدار كتابه الجديد «أوراق من زمن العبث» عن دار المريخ للنشر، والكتاب ذو صبغة سياسية يطرح من خلاله المؤلف عدداً من الأحداث والوقائع التي حصلت خلال العقدين الماضيين.

وكشف البواردي لصحيفة «الوطن» السعودية أنه أورد في الكتاب تصوراته ووجهة نظره في ما يتعلق بأحداث ١١ سبتمبر، كذلك ناقش المؤلف الحرب المعلنة على الإسلام والجاليات الإسلامية في أنحاء العالم، كما تعرض لبعض الوقائع التي حدثت في دول العالم العربي والإسلامي، مثل: كوسوفو، والجزائر، والسودان، مع توضيح المطامع الدولية فيها.

وذكر المؤلف أنه اعتمد في تأليف كتابه على رصد الأحداث العالمية ذات العلاقة في العالم الإسلامي والعربي من خلال تنظير مجرد لمسلسل تلك الأحداث وربطها برؤيته الخاصة وبكل الشواهد والأدلة التاريخية ذات الصلة، كما أورد في جزء من كتابه آراء بعض المستشرقين في الصحافة الأمريكية والغربية عموماً من ذوي النظرة السياسية المستقبلية، واستنكر التناقض بين الشعارات التي ترفعها أمريكا والممارسات التي تقدمها، وأوضح موقفه الكامل عما يثار حول المملكة العربية السعودية من موضوعات حقوق الإنسان والعدل والإرهاب.

حجاب البنا



غلاف الكتاب

صدر مؤخراً عن دار الفكر الإسلامي في القاهرة كتاب «الحجاب» للأستاذ جمال البنّا، ويتناول هذا الكتاب موضوع الحجاب من عدة زوايا، وبروح جديدة، فهو يعالج قضية الحجاب بالنسبة إلى المرأة بوصفها إنساناً له حقوق ثابتة مقررة، وكشف الكتاب، في فصل طويل، أن

الحجاب كان موجوداً ومقرراً في كل الحضارات القديمة في الهند والصين والعراق أيام حمورابي وأثينا وروما وبيزنطة، وأن الشريعة اليهودية عمقت الأخذ به حتى كأن الحجاب فرض على الإسلام، ولم يفرض الإسلام الحجاب.

وعالج الكتاب في فصل آخر تحت عنوان «عن أي حجاب تتكلمون؟» الحجاب في القرآن، والحجاب أيام الرسول «صلى الله عليه وسلم» ـ عندما كان النساء والرجال يتوضؤون من إناء واحد، وتناول بتفصيل تاريخي واجتماعي كيف تحول الحجاب أيام الرسول «صلى الله عليه وسلم» إلى النقاب الكثيف وإلى احتباس النساء في البيوت الذي حدث في العهود اللاحقة.

كذلك عرض الكتاب للحجاب الحديث الذي يكشف الوجه والكفين. وعالج المساواة بين الرجل والمرأة في فصل بعنوان «مساواة مع إيقاف التنفيذ»، وعرض الزواج: وكيف تحول من سكينة ورحمة إلى مُلك واحتباس، وختم بفصل عنوانه «دستور المرأة المسلمة».

والميزة التي ينفرد بها هذا الكتاب ـ كما يقول الناشر ـ «هي أنه أثبت أن الإسلام يمكن أن يحقق فعلاً مطالب المرأة الحديثة بتخريجات أصولية إسلامية لا تعسف فيها، ولا تطويع، ولكنها تعود إلى القرآن الكريم والصحيح الثابت من السنة دون التزام ضرورة أقوال الفقهاء والمفسرين والمحدثين الذين خضعوا لروح عصرهم، فجاءت أحكامهم مجافية لمتطلبات العصر الحديث».

«حقول» النادي الأدبي

يعتزم النادي الأدبي بالرياض إصدار دورية جديدة محكّمة تحمل اسم «حقول» تعنى بالثقافة في الجزيرة العربية، وتهتم بنشر البحوث العلمية والمقالات، إضافة إلى مراجعات الكتب، وتقارير المؤتمرات العلمية، وغيرها من المواد الثقافية ، ويرأس تحريرها الأستاذ الدكتور سعد البازعي من جامعة الملك سعود، وتتكون هيئة التحرير من الأستاذ الدكتور محمد الهدلق من جامعة الملك سعود، والأستاذ الدكتور حمد الدخيل من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ويأتي هذا الإصدار الجديد ضمن خطة تطويرية شاملة أنشطة النادي الأدبي بالرياض بغية تحقيق طموح المثقفين والأدباء والباحثين على حد سواء، وإسهاماً من النادي في دعم الحركة الثقافية والعلمية التي تشهدها بلادنا على مختلف الأصعدة.

الموت يغيب عبدالرحمن بدوي


عبدالرحمن بدوي

يعد الدكتور عبدالرحمن بدوي المفكر المصري الذي رحل في الخامس والعشرين من يوليو/ حزيران الماضي آخر الوجوديين في الوطن العربي، وأكبر المشتغلين بالفلسفة من العرب، وصاحب معارك فكرية كبرى شغلت الحياة الفكرية العربية على مدى نصف قرن، ليس بكتبه التي أصبحت مراجع فحسب، بل بمواقفه السياسية والأكاديمية، وقد أسهم الفيلسوف الراحل بجهد وافر في مشروعات النهضة الثقافية العربية المعاصرة، وساهمت مؤلفاته المتعددة في شتى ميادين الفكر الفلسفي والأدبي في تشكيل الوعي الفكري والنقدي لدى كثير من أجيال الكتّاب والمفكرين في مصر والعالم العربي.

وولد الدكتور بدوي في قرية شرباص في مدينة دمياط عام ١٩١٧م، وحصل على ليسانس الآداب قسم الفلسفة عام ١٩٣٨م، وعمل معيداً بجامعة القاهرة، ونال درجتي الماجستير والدكتوراه عام ١٩٤٤م، وكان الدكتور طه حسين أحد أعضاء لجنة التحكيم على الرسالة، وقد علق قائلاً: «إن عبدالرحمن بدوي هو أول فيلسوف مصري»، وأنشأ الدكتور بدوي قسم الفلسفة بكلية الآداب جامعة عين شمس، وتولى رئاسته حتى عام ١٩٧١م، ثم عمل أستاذاً للفلسفة في عدد من الجامعات العربية، منها جامعتا طرابلس والكويت، كما عمل أستاذاً زائراً بجامعة السوربون الفرنسية منذ عام ١٩٦٨م.

وقد زود الفيلسوف الراحل المكتبة بعدد وافر من الكتب والبحوث والمقالات، وشكل عطاؤه الفكري والفلسفي مكتبة متكاملة، إذ طرق كل أنواع الإبداع، فألّف في السياسة والفكر الفلسفي والأدبي والتاريخ والتراجم والتحقيق، وكتب الشعر وبلغت مؤلفاته أكثر من ١٢٠ كتاباً، منها خمسة مجلدات بالفرنسية، وترجم نحو ١٠٠ كتاب لكبار الفلاسفة، خصوصاً عن الألمانية «لغوته» والإسبانية «لسرفانتس»، بالإضافة إلى مئات المقالات والأبحاث التي قدمها في مؤتمرات دولية باللغات العربية والفرنسية والإنجليزية والألمانية والإسبانية، ومن مؤلفاته: «الإنسانية والوجودية في الفكر العربي»،

و«التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية»، و«شخصيات قلقة في الإسلام»، و«شهيدة العشق الإلهي رابعة العدوية»، و«خريف الفكر اليوناني»، و«ربيع الفكر اليوناني»، بالإضافة إلى كتاباته عن إفلاطون وشوبنهاور وغيرهما من أعلام الفكر الغربي، وكان آخر كتبه «سيرة حياتي» الصادر عام ٢٠٠٠م.

وقد أوقف بدوي جهده الفكري والفلسفي في أواخر أيامه للدفاع عن الإسلام والرد على منتقديه، وألف في هذا الصدد عدة كتب باللغة الفرنسية، كما أصدر كتاباً خصصه للدفاع عن الرسول صلى الله عليه وسلم، فنّد فيه بالأسانيد العلمية والفكرية دعاوى المنتقصين من قدره، وكذلك فنّد افتراءات المستشرقين الذين وصفهم بالجهل والتعصب، حتى أطلق عليه أحد كتاب سيرته «فيلسوف الوجودية الهارب إلى الإسلام».

قضى الفيلسوف الراحل حياته عازباً، وقد أمضى السنوات العشرين الأخيرة من عمره مقيماً في فندق «لينيسيا» في باريس، قبل أن يتعرض لإغماءة في أحد شوارعها ليعود إلى القاهرة، ويمكث في أحد مستشفياتها مدة ثلاثة أشهر قبل أن يرحل.

نصب تذكاري للوركا



لوركا

قررت سلطات بلدة بيثنار الإسبانية إقامة نصب تذكاري، تخليداً لذكرى الشاعر والكاتب الإسباني فدريكو غارثيا لوركا أحد أهم الرموز الثقافية الإسبانية في العصر الحديث، ولكل الذين أعدموا معه بالقرب من هذه القرية إبان الحرب الأهلية في إسبانيا في عهد الجنرال فرانكو.

وكان غارثيا قد رحل من العاصمة مدريد إلى غرناطة (جنوب إسبانيا)، وهناك قبض عليه ومعه آخرون، واقتيدوا إلى مكان قريب من غرناطة (منطقة تقع بين قريتي الفكار وبيثنار)، حيث أعدم هو ومن معه، وكان ذلك في أغسطس/آب عام ١٩٣٦م وهو ابن ٣٨ عاماً، وقد أثار موته في ذلك الوقت ضجة كبرى داخل إسبانيا وخارجها.

والنصب التذكاري الذي تنوي القرية إنشاءه هو برج بارتفاع ثمانية أمتار ونصف المتر، وسيقوم بتنفيذه الفنان إلفونسو ماسو الأستاذ في معهد الفنون الجميلة في غرناطة، الذي عبر عن رغبته في تخليد هذه الحادثة، قائلاً: «لقد وضعت فتحات في البرج تستقبل أشعة الشمس وتعكسها على المكان بأشكال تختلف حسب ساعات النهار، وهي دعوة للكشف عن كل ما تم إخفاؤه من الحقائق حول هذه الحوادث منذ زمن طويل».

مؤتمر دولي حول الفنون والحرف الإسلامية

ينظم مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية إرسيكا، التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي، ووزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، ورابطة الثقافة والعلاقات الإسلامية في الجمهورية الإسلامية الإيرانية، مؤتمراً دولياً حول الفنون والحرف الإسلامية في مدينة أصفهان خلال الفترة من ٤ إلى ٩ أكتوبر/تشرين الأول الحالي.

غلاف الكتيب التعريفي

ويسعى هذا المؤتمر إلى إثارة الانتباه للفنون والحرف الإسلامية في العالم، ويهدف إلى تحقيق تقويم الوضع الراهن للفنون والحرف الإسلامية في العالم الإسلامي، وتحديد المعايير الاقتصادية والاجتماعية والثقافية الواجب مراعاتها للتطوير المستقبلي لهذا الميدان، ومناقشة الإجراءات التي يمكن اتخاذها، لتفادي فقدان القيم والتقاليد الإسلامية بهدف المحافظة على الطبيعة المميزة والخاصة لتراث الفنون والحرف الإسلامية، وحث الشباب الحرفي على إنتاج أعمال جديدة، وتطوير إستراتيجية للتعاون الدولي في هذا الصدد.

وتشارك في هذا المؤتمر الدول الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي، والمنظمات والهيئات الدولية العاملة في هذا المجال، والجامعات، والأكاديميون، وعلماء تاريخ الفنون والحرف اليدوية، وراسمو السياسة والمخططون والإداريون القائمون على مهنة الحرف التقليدية، والفنانون والمتخصصون في هذه الفنون، والحرفيون الذين سيعرضون أعمالهم.

وينشر كتاب بحوث المؤتمر باللغات الإنجليزية والعربية والفارسية، وتقدم أعمال المؤتمر أيضاً بهذه اللغات، وسوف

تدور بحوث المؤتمر حول ما يقارب سبعين موضوعاً، منها: «دور الفنون الإسلامية في الحوار الثقافي العالمي»، و«المبادئ العرفانية للفن والجمالية في الإسلام مع الإشارة إلى ديوان (مثنوي معنوي)»، و«الفنون والحرف الإسلامية في إندونيسيا»، و«التصوف وفن الخط»، و«الرسومات الدينية في الإسلام»، و«تأثير الفنون والحرف الإسلامية في الفن الأوربي»، و«مكانة الفنون في الحضارة الإسلامية»، و«فنان غربي تأثر بالفن الإسلامي والأفكار الشرقية»، و«جمالية أختام العهد السلجوقي»، و«تقاليد النسيج الإسلامي»، و«التذهيب والتجليد عبر التاريخ»، و«الفن السنغالي لرسم الزجاج»، وغير ذلك من الموضوعات المرتبطة بالفنون والحرف الإسلامية.

الجدير بالذكر أن مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية قد تم تأسيسه في مدينة إستانبول عام ١٩٨٠م، كأول جهاز تابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي يعمل في ميدان الثقافة، تطبيقاً للقرار الصادر عن المؤتمر الإسلامي السابع لوزراء الخارجية الذي انعقد في مدينة إستانبول عام ١٩٧٦م، ويقوم المركز بمهام البحث والنشر والتوثيق وغيرها من الأنشطة التوثيقية والإعلامية بهدف التعريف الأفضل بالثقافة والحضارة الإسلامية.

عودة كليوباترا


كليوباترا

بعد غياب دام قرابة خمسة قرون عادت لوحة «كليوباترا» التي رسمها الفنان الإيطالي مايكل أنجلو (١٤٧٥ـ ١٥٦٤م) في عصر النهضة، إلى روما لتتصدر معرضاً يستمر حتى السادس من أكتوبر/تشرين الأول المقبل. وتتميز اللوحة بإبراز التفاصيل الدقيقة تلك المتعلقة برأس الملكة الفرعونية التي تمتزج ضفيرة شعرها بثعبان.

وكان مالكها الأول توماسو كافاليري صديق الفنان تخلى عن اللوحة على مضض لعائلة ميديتشي النافذة والمشجعة للفنون في فلورنسا خلال القرن السادس عشر.

وقد حصل هذا النبيل الروماني على «كليوباترا» هدية من مايكل أنجلو الذي عمل فترة طويلة في روما، وكان تخليه عن التحفة الفنية لكوسمي الأول دو ميديتشي بالنسبة إليه كما لو أنه فقد ابناً، بحسب رسالة أرفقها آنذاك باللوحة خلال نقلها إلى فلورنسا.

وبقيت «كليوباترا» منذ ذلك الحين في عاصمة توسكانا حيث حفظت مع مجموعة كاملة لمخطوطات مايكل أنجلو لدى كاسا بيوناروتي (منزل بيوناروتي نسبة إلى عائلة الفنان) في فلورنسا.

ويتضمن المعرض الذي يجري في قصر فينيسيا تحت عنوان « مايكل أنجلو، خطوط وسيرة ذاتية»، عدة مخطوطات للفنان الإيطالي وكذلك رسائل وقصائد وكتابات، وجميعها من مجموعة بيوناروتي.

زفزاف والطيب صالح


الطيب صالح

فاز الروائي السوداني الطيب صالح بجائزة محمد زفزاف للرواية العربية، وتسلم الجائزة في حفل بهيج أقامته مؤسسة منتدى أصيلة، وحضره عدد كبير من المثقفين والمهتمين بالشأن الأدبي، وجمهور كبير من مرتادي أصيلة، وسلم الجائزة محمد بن عيسى، الأمين العام لمؤسسة منتدى أصيلة.

وجاء في حيثيات منح الجائزة: «بعد قراءة متأنية للمشهد الروائي العربي، واطلاع معمق على معظم نتاج الروائيين الأعلام من مختلف أقطار العالم العربي، وجدت لجنة تحكيم جائزة محمد زفزاف للرواية العربية المكونة من كل من (محمد الهرادي، وتوفيق بكار، ومحمد بن عيسى، ومحيى الدين اللاذقاني، وأحمد توفيق، وصلاح فضل، ومحسن جاسم الموسوي) أن أقوى المرشحين لهذه الجائزة التي يمنحها موسم أصيلة الثقافي الدولي للمرة الأولى عام ٢٠٠٢م هو الروائي السوداني الطيب صالح. واستندت لجنة التحكيم في هذا القرار إلى مجموعة من المعطيات الفنية الفكرية التي تحظى بالإجماع النقدي في مختلف الثقافات والفنون وأهمها نجاح الطيب صالح بمعظم رواياته في ترسيخ الهوية المحلية المنفتحة على آفاق كونية رحبة، ودفاع الكاتب الضمني والمباشر عن التعددية وقيم الحرية والعدالة الإنسانية، وتمثل الروائي لروح

العمل الفني ورسالته وإتقانه المتفوق لأدواته وفق المقاييس والإمكانات التي تضعه في مصاف كبار الروائيين العالميين، وغير ذلك من المعطيات الفنية الفكرية.

والجدير بالذكر أن هذه الجائزة أنشئت تخليداً لذكرى الروائي المغربي الراحل محمد زفزاف، وتمنح مرة كل ثلاث سنوات بهدف حفز العمل الإبداعي، وتكريم بعض رموز السرد العربي.

حفل وداع الزميل جمال بكر


جمال بكر

أقام مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ومجلة الفيصل في يوم ٢٥ رجب الماضي حفل وداع للأستاذ جمال محمد أحمد بكر الموظف بمركز المعلومات في المجلة بمناسبة انتهاء عقده وعودته إلى وظيفته في الشركة المصرية للاتصالات، بعد أن أسهم مع زملائه مدى أكثر من عشر سنوات في تطوير العمل بهذا القسم.

وقد أشاد به سعادة الأمين العام للمركز الدكتور يحيى محمود بن جنيد وزملاؤه في كلماتهم، وأهدي إليه درع المركز والمجلة مع بعض الهدايا التذكارية.

وداعاً شييدا

توفي في الشهر الماضي النحات الإسباني إدواردو شييدا عن عمر يناهز ٧٨عاماً بعد صراع طويل مع مرضي السل والزهايمر اللذين ألما به في السنوات الأخيرة، ويعد شييدا أهم مثّالي إسبانيا المعاصرين، وقد ذاع صيته بأعمال تجريدية ضخمة من الحديد، حتى عرف برجل الحديد.

وتوفي شييدا في منزله في مدينة سان سيباستيان بإقليم الباسك، وقال ابنه لويس شييدا لمحطة الإذاعة الرسمية: «لقد توقعنا ذلك .. لم يكن يعاني، ولكنه نام ولم يعد».

وأحرق جثمان شييدا، وهو أب لثمانية أبناء، وسيدفن الرماد في متحف شييدا في هيرناني بريف الباسك شمال إسبانيا.

وقد عبر الملك خوان كارلوس وقرينته الملكة صوفيا، في رسالة إلى أرملته بيلار بيلزونسي، عن تقديرهما «لفنه المتميز الحافل بالشعر والإنسانية الذي هو مصدر فخر لكل الإسبان».

وقد فازت أعمال شييدا بمعظم الجوائز الدولية في فن النحت، كما حصل على جائزة برنسيب دي إستورياس الإسبانية المرموقة للفنون عام ١٩٨٩م.

اللورد السجين

جيفري أرشر

بدأ الروائي البريطاني لورد جيفري أرشر مؤخراً عمله سجيناً ضمن برنامج تأهيل السجناء المعمول به في بريطانيا، وذلك بعد أن أمضى عاماً داخل السجن، وينفذ أرشر - أحد أشهر الروائيين البريطانيين إذ توزع رواياته ملايين النسخ وكان نائباً لرئيس حزب المحافظين - حكماً بالسجن لمدة ٤ سنوات بسبب كذبه تحت القسم على المحكمة وتضليله للتحقيقات في قضية تخصه شخصياً.

الآداب والممنوع

خطت مجلة الآداب اللبنانية خطوة جديدة في عددها الماضي حين أعدت ملفاً خاصاً عن رقابة الإبداع في سورية خلال أكثر من ربع قرن، أعده الباحث محمد جمال باروت، ودخلت المجلة إلى سورية على الرغم من مراهنة الكثيرين ممن شاركوا في إعداد الملف بمنعها من الدخول.

وشارك في إعداد الملف أصحاب المواد الممنوعة أنفسهم، فتناول الدكتور إحسان عباس الرقابة على الصحافة منذ الحكم العثماني حتى اليوم، وقدم السينمائي فاضل الكواكبي دراسة عن الرقابة على السينما والتلفاز، وتطرق الروائي نبيل سليمان في مقاله إلى عدد من المواقف التي تعرض لها مع الرقابة، من بينها منع الطبعة الثانية من كتابه «إيديولوجيا السلطة» الذي سمح بطبعته الأولى، وروايته «جرماني» التي منعت أولاً ثم سمح لها فيما بعد بالصدور، كما اشتمل الملف على شهادة نحو ٢٠ كاتباً أفادوا بما تعرضوا له من مضايقات ابتداءً من شطب جملة في صحيفة أو حذفها، وانتهاءً بكتاب

أو قصيدة أو قصة في مجلة، وقد نشرت المجلة مقاطع من هذه النصوص المنوعة، وأشارت إلى أن هذا النهج سوف يستمر ليشمل بلداناً عربية أخرى.

ويرى بعض النقاد أن هذه الخطوة القصد منها تسويق المجلة بعد أن كسدت وأعلنت إفلاسها في العام الماضي، وأطلقت أكثر من نداء طلباً للمعونة أو الاشتراك بقصد الاستمرار، ولم يُجدِ ذلك، مما حدا بها إلى انتهاج هذا الأسلوب، بينما يرى بعضهم الآخر أن هذا التحليل فيه شيء من الإجحاف بحق هذه المجلة التي دخلت عامها الخمسين قبل أشهر قليلة.

ديكنز يتعرض لسرقة

تمكن لصوص من سرقة ثلاث نسخ نادرة من الإصدارات الأولى لرواية «ترنيمة عيد الميلاد» للروائي البريطاني تشارلز ديكنز من المتحف المقام في منزله بلندن. وقالت الشرطة: إن اللصوص استخدموا قاطعاً للزجاج لفتح الخزانة وسرقوا النسخ في منتصف الشهر الماضي، وتقدر قيمة كل نسخة من النسخ الثلاث بين ٢٠ و٣٠ ألف جنيه إسترليني، وقالت الشرطة أيضاً إن اللصوص حاولوا قطع زجاج الخزانة التي تحتوي نسخ رواية «أوراق بيكويك» ولكنهم أخفقوا.

تشارلز ديكنز

نداء لإنقاذ التراث الفلسطيني

وجه رئيس أمناء التراث المعماري في مدينة كان الفرنسية جان إيف مارين نداءً عاجلاً من أجل إنقاذ التراث الفلسطيني، وإرسال بعثة عالمية ذات طابع علمي للتحقق من الخسائر التي لحقت بهذه الآثار، وإطلاع الرأي العام العالمي عليها بالتفصيل؛ لأنها تشكل جزءاً من التراث العالمي، وقال مارين: «إن الهدم الذي يطاول الضفة الغربية وقطاع غزة لا يأتي من باب المصادفة، فالأسلحة المتطورة التي يملكها الجيش الإسرائيلي قادرة على أن تصيب أهدافها بدقة، وهي منكبة على هدم الآثار، الواحد تلو الآخر، والتي يرجع بعضها إلى القرون الوسطى».

وأشار مارين إلى أن مدينة نابلس التي تشكل بعد القدس الموقع الأثري الأهم للثقافة الفلسطينية قد طالها التدمير بالأخص الجانب القديم منها حيث يتجمع التراث الثقافي من آثار تعود إلى الرومانية، والبيزنطية، وكذلك المرحلة الصليبية، وما شيده السلاطين المماليك، ثم العثمانيون.

ومن الآثار التي دُمِّرت الجامع الكبير الذي شيد في القرن الثاني عشر في عصر السلطان صلاح الدين، وجامع النصر الأيوبي الذي يعود إلى القرن الثالث عشر، إضافة إلى الدير القديم الذي يحاذي الباب الغربي للمدينة القديمة، وعلى الرغم من كل هذا التدمير لم يكتف جيش الاحتلال بتدمير صروح الماضي، بل انقض على بعض المنشآت الحديثة فدمرها تدميراً كاملاً، منها إحدى ساحات نابلس القديمة. التي كانت منظمة اليونسكو قد أعادت ترميمها، كما دمر شبكة الطرق القديمة. ويتابع جان مارين إحصاء الخسائر التي وقعت في بيت لحم ورام الله، وكذلك المحفوظات التي تم الاستيلاء عليها، ويكشف عن سرقة عدد كبير من التحف الأثرية، ويشير الباحث إلى المستوطنات التي شيدت داخل الضفة الغربية وقطاع غزة والتي دمرت مواقع أثرية تحوي معلومات تاريخية تعني البشرية جمعاء.

ويختم جان إيف مارين بالقول: إن التدمير المنظم الذي يقوم به الجيش الإسرائيلي لا يهدف إلى القضاء على البشر فقط وإنما أيضاً على ذاكرتهم وعلى ماضيهم.

جائزة الكتاب لزوبيل

حصل الكاتب الفرنسي المعاصر جوزيف زوبيل على الجائزة الكبرى للكتاب عن مجمل أعماله الأدبية، وذلك خلال معرض الكتاب الرابع الذي أقيم مؤخراً في جزيرة أومانت الفرنسية.

وقد ذاع صيت الكاتب الفرنسي صاحب رواية «شارع العبيد» والتي تم تحويلها إلى فيلم سينمائي حقق نجاحاً ساحقاً. ومن آخر أعماله الروائية «الأيام الساكنة» و«الأيدي المليئة بالعصافير». وحصل على جائزة أفضل كتاب في الخيال العلمي الكاتب المعاصر ماركو بيياكوريللي عن رواية «سان جون في باتموس» وبير لويس ريفيير عن «مذكرات الأيام الأخيرة».

الجدير بالذكر أن هناك أربعة عشر كاتباً من جزيرة «أوست» قد شاركوا هذا العام في معرض الكتاب الرابع الذي عقد في الفترة من ٢٣ إلى ٢٥ أغسطس/آب الماضي.

فيصل بن عبدالعزيز آل سعود (١٣٢٤ - ١٣٩٥هـ/ ١٩٠٦ - ١٩٧٥م)/مركز زايد للتنسيق والمتابعة - دولة الإمارات العربية المتحدة: مركز زايد للتنسيق والمتابعة، ٢٠٠٢م، ٩٢ص.

يحوي الكتاب دراسة تاريخية شاملة عن حياة الملك فيصل بن عبدالعزيز، يرحمه الله، ويأتي هذا الإصدار في سياق التوثيق للمسار التاريخي لرموز الأمة العربية الذين تركوا بصمات خالدة في كل المجالات، وقد سبق لمركز زايد للتنسيق والمتابعة أن أصدر عدة دراسات تاريخية تناولت حياة عدد من الملوك والرؤساء العرب الراحلين الذين كان لهم دور بارز في صناعة المرحلة الحالية من التاريخ العربي، منهم: الملك حسين ملك الأردن، والملك الحسن الثاني ملك المغرب، والرئيس الجزائري هواري بومدين، والرئيس المصري أنور السادات، والرئيس السوري حافظ الأسد.

ويشير الكتاب إلى أن الملك فيصل، يرحمه الله، واضع حجر الأساس للبناء الداخلي للمملكة العربية السعودية، وأن عصر البناء والتطور في المملكة اقترن بعهده، الذي قفزت فيه المملكة قفزات واسعة في طريق التطور والتقدم في جميع المجالات على مدى أكثر من نصف قرن من الزمان. وقال المركز في تقديمه للكتاب: إنه قصد من تقديمه لهذا الكتاب للقارىء العربي، حيثما كان أن يقف على فصول من تاريخ وإنجازات الملك فيصل، ويضيء جوانب من أفكاره ورؤاه، التي أسهمت في النهضة السعودية، وفي تقوية الوحدة العربية، والدفاع عن قضايا الأمة المصيرية.

وتناول الكتاب بالتفصيل حياة الملك فيصل - يرحمه الله - مستعرضاً مولده، ونشأته، وأهم المناصب التي تولاها، وأهم منجزاته، ومنهجه في الحكم، وإصلاحاته الإدارية والمالية، ومواهبه العسكرية، كما تطرق الكتاب إلى اهتمام الملك فيصل بالاقتصاد والرعاية الاجتماعية، وتناول التطور الإعلامي الذي حدث في عهده، وسياسته الخارجية، شارحاً سياسته العربية، وموقفه من القضية الفلسطينية، والقضايا العربية، وموقفه من التضامن الإسلامي. وفي مجال سياسة الملك فيصل الدولية استعرض الكتاب علاقات المملكة العربية السعودية مع أمريكا وبريطانيا وفرنسا والاتحاد السوفييتي في عهده.

وختم الكتاب بالحديث عن مؤسسة الملك فيصل الخيرية التي أنشئت في فبراير/شباط عام ١٩٨٤م انطلاقاً من المبادىء التي ناضل من أجلها وتخليداً لذكراه، وتتركز نشاطات هذه المؤسسة في بناء المساجد والمراكز والمعاهد والمدارس الإسلامية، ودعم برامج الإصلاح الزراعي، وطباعة الكتب الإسلامية، وإنشاء دور رعاية الأطفال المعاقين، وإقامة المستشفيات، والعيادات، والمساعدة على إنشاء الجمعيات الخيرية، وقد أقامت المؤسسة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية الذي يقوم بدوره في خدمة الحضارة الإسلامية ودعم البحوث والدراسات الإسلامية.

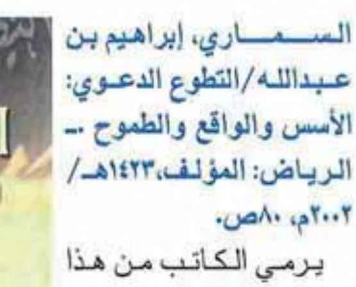
وأنشأت المؤسسة كذلك جائزة الملك فيصل العالمية سعياً لترسيخ القيم التي عمل من أجلها الملك فيصل، يرحمه الله، وأوضح نظامها الأساسي أنها تأتي تأصيلاً لمبادىء الملك فيصل المتمثلة بالعمل على خدمة الإسلام والمسلمين في المجالات الفكرية والعلمية، والعملية، وتحقيق النفع العام لهم في حاضرهم ومستقبلهم، والتقدم بهم نحو ميادين الحضارة للمشاركة فيها، وتأصيل المثل والقيم الإسلامية في الحياة الاجتماعية وإبرازها للعالم، والإسهام في تقدم البشرية وإثراء الفكر الإنساني. وقد منحت الجائزة لكثير من الشخصيات العالمية البارزة التي قدمت خدمات جليلة للإنسانية في جميع المجالات، كخدمة الإسلام، والدراسات الإسلامية، والأدب العربي، والطب والعلوم.

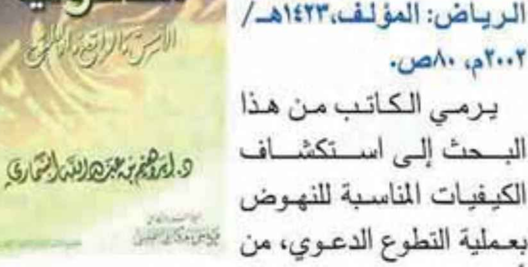


عمامرة، تركي رابح/الشيخ عبدالحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر ـ الجزائر: المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ٥٤٣ص.

صدر هذا الكتاب في طبعتيه الأولى والثانية في عامي ١٩٦٩م و١٩٧٤م تحت عنوان «الشيخ عبدالحميد بن باديس: فلسفته وجهوده في التربية والتعليم»، ثم صدر في طبعاته الثالثة والرابعة والخامسة في أعوام ١٩٨١م و١٩٨٤م و٢٠٠١م بعنوان «الشيخ عبدالحميد بن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر».

يتناول هذا الكتاب حياة الشيخ عبدالحميد بن باديس وأعماله العلمية والتربوية والإسلامية والثقافية والوطنية، وقد جاء في اثني عشر فصلاً هي: «عصر الشيخ عبدالحميد بن باديس وأثره في تكوين فكره التربوي ـ العوامل الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية»، و«حياة عبدالحميد بن باديس وتربيته»، و«الشيخ عبدالحميد بن باديس ونشأة الحركة الإصلاحية السلفية في الجزائر»، و«الشيخ عبدالحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر»، و«الشيخ عبدالحميد بن باديس والشخصية الجزائرية»، و«مجلة الشهاب للشيخ عبدالحميد بن باديس لسان الإسلام والعروبة والوطنية في الجزائر (١٩٢٩ـ ١٩٣٩م) ودورها في نهضة الجزائر الحديثة»، و«فلسفة الشيخ عبدالحميد بن باديس»، و«التربية والتعليم في الجزائر في عصر الشيخ عبدالحميد بن باديس»، و«المؤسسات التربوية والتعليمية التي أسهم فيها الشيخ عبدالحميد بن باديس بجهوده»، و«أهداف التربية والتعليم عند الشيخ عبدالحميد بن باديس»، و«التربية الأخلاقية في مفهوم الشيخ عبدالحميد بن باديس»، و«آراء الشيخ عبدالحميد بن باديس في المناهج وطرائق التدريس »، وختم الكتاب بعدد من الملحقات.





السماري، إبراهيم بن عبدالله/التطوع الدعوي: الأسس والواقع والطموح ـ الرياض: المؤلف، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ٨٠ص.

يرمي الكاتب من هذا البحث إلى استكشاف الكيفيات المناسبة للنهوض بعملية التطوع الدعوي، من أجل إعلاء كلمة الله سبحانه وتعالى، وتحقيق مصلحة عباده في حياتهم ومعادهم تخطيطًا وممارسة، كما يقصد أيضًا إلى تعرف واقع التطوع الدعوي وطموحاته ومعوقاته وكيفية التغلب عليها.

حاول المؤلف في هذا البحث أن يجيب عن بعض الأسئلة، منها: ما واقع التطوع الدعوي في بلادنا الحبيبة التي تتميز بخصوصية دينية ليست لغيرها؟، وما معوقاته ؟، وما طموح التطوع الدعوي ـ في مستوى الأفراد والمؤسسات ـ وكيف يتم تحقيقه؟، وهل للدعوة خصوصية واجبة لابد من مراعاتها في أي نظام وطني للتطوع؟، وما سمات نظام التطوع الوطني المأمول؟.

وجاء البحث تحت عدة عناوين، هي: «خصائص وسمات التطوع»، و«وصف التطوع الدعوي في المملكة العربية السعودية»، و«أسباب ازدهار التطوع الدعوي في المملكة العربية السعودية»، و«معوقات التطوع الدعوي في المملكة العربية السعودية»، و«طموح التطوع الدعوي»، و«موقع الدعوة في النظام الوطني للتطوع».

كوهين، وليام أ./فن القيادة ـ الرياض: مكتبة جرير، ٢٠٠١م، ٣٧٦ص.

يتبنى بعض الناس مفهومًا خاطئًا للقيادة، فيظن بعضهم أنها مجرد التحكم في الناس، ويظن آخرون أنها موضوع نظري مثله مثل الفلسفة. يقول المؤلف: «ليست هناك نظريات «تجريبية» يجب إتقانها، ولكني أؤكد في هذا الكتاب الطريقة التي تفعل بها ذلك، وأساليب القيادة



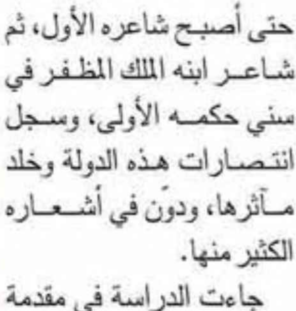
التي سأقدمها لك قد أثبتت فعاليتها على مر آلاف السنين، وسوف تفيدك كما أفادت يوليوس قيصر، أو إبراهام لنكولن، أو جورج س. باتون».

استعمل المؤلف كثيراً من الأمثلة لتوضيح كل أسلوب، واستخدم بشكل خاص أمثلة عسكرية، لأنه حاول عامداً تطبيق أساليب القيادة المتعلّمة «بالطريقة الصعبة» في المعركة على كل مشكلات القيادة التي ستصادفها في الشركة وفي غيرها من الأماكن، ذلك لأن القيادة في المعركة تمثل أسوأ المواقف المحتملة، وقلما تجد مواقف قيادية بنفس درجة شدتها أو صعوبتها أو تنطوي على قدر أكبر من المخاطرة والريبة، فلو أنك تعرف كيف تقود الآخرين في ساحة القتال؛ فبإمكانك قيادة الآخرين في المكتب، أو في فريق المبيعات، أو في جماعة الكشافة، أو أي مكان آخر.

ومؤلف الكتاب هو الدكتور وليام . أ. كوهين: لواء متقاعد بالقوات الجوية الأمريكية، وقد حارب مع القوات الجوية الأمريكية ، كما شغل مواقع قيادية في عدد من المؤسسات والهيئات تراوح بين رئيس قسم بالجامعة ومدير معهد إلى رئيس شركة، وهو رئيس سابق لجمعية ويست بوينت في لوس أنجلوس، وقد ألّف أكثر من أربعين كتاباً في مجال الأعمال والموضوعات الخاصة بالقيادة، ويعمل حالياً أستاذاً متفرغاً بجامعة كاليفورنيا في لوس أنجلوس: ويدرِّس التسويق والقيادة.

خواجي، مجدي بن محمد/محمد بن حمير الهمداني (شاعر الدولة الرسولية في القرن السابع الهجري، حياته وشعره: دراسة موضوعية) ــ بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ٢٣٦ص.

هو محمد بن حمير الهمداني (ت٦٥١هـ)، عاصر نشأة الدولة الرسولية في اليمن على يد مؤسسها الملك المنصور عمر بن علي الرسولي (٦٢٦ ـ ٦٤٧هـ)، وتقرب إليه حتى أصبح شاعره الأول، ثم شاعر ابنه الملك المظفر في سني حكمه الأولى، وسجل انتصارات هذه الدولة وخلد مآثرها، ودوّن في أشعاره الكثير منها.



جاءت الدراسة في مقدمة وتمهيد وفصلين وخاتمة، وتناول المؤلف في المقدمة بيان أهمية الموضوع وأسباب اختياره ومصادره ومنهج البحث، وتحدث في التمهيد عن عصر الشاعر وبيئته، وتناول في الفصل الأول حياة الشاعر، وشملت: اسمه ونسبه ونشأته واتصالاته برجال عصره، وتكسبه بالشعر، وشخصيته، وثقافته، ووفاته، وآثاره الأدبية، وجاء الفصل الثاني عن أغراضه الشعرية، وفيه تناول المديح والغزل والإخوانيات، والمديح النبوي، والهجاء، والشكوى، والرثاء، والفخر، وأغراضاً أخرى.

وجاء في الخاتمة خلاصة ما توصل إليه الباحث من نتائج في هذه الدراسة، وذيّل البحث بفهرس يتضمن أهم مصادر البحث ومراجعه.



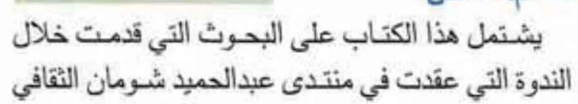
إسهامات الحضارة العربية والإسلامية في العلوم الطبية: من مقتنيات مخطوطات دار الكتب المصرية/تمهيد: فتحي صالح، تقديم: صلاح فضل، إشراف: محمد جلال سيد غندور ــ القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، والمركز القومي لتوثيق التراث الحضاري والطبيعي، ٢٠٠٢م،١٢٣ص.

يجيء هذا الكتاب ضمن الجهود التي يقوم بها قطاع الاتصالات والمعلومات بمنظمة اليونسكو بهدف إتاحة المعلومات الخاصة بالتراث العلمي والثقافي في مختلف

حضارات العالم للجميع، وهذا الكتاب هو باكورة التعاون بين منظمة اليونسكو (مكتب القاهرة)، والمركز القومي لتوثيق التراث الحضاري والطبيعي، من أجل توثيق تراث المخطوطات العلمية العربية والإسلامية ونشره في مجالات العلوم والرياضيات.

تم تنفيذ المرحلة الأولى من هذا المشروع مع دار الكتب المصرية لتوثيق مجموعة من مقتنياتها في مجال الطب لإعداد مجموعة من الإصدارات الورقية والإلكترونية، ويمثل هذا الكتاب الذي يصدر بثلاث لغات: العربية والإنجليزية والفرنسية، أحد هذه الإصدارات.

يبلغ عدد المخطوطات الطبية بدار الكتب المصرية بين عربية وتركية وفارسية ١٠٨٧ مخطوطاً، وعدد المؤلفين ٢٧٥ بين مؤلف ومترجم ومنظم وجامع، وعدد الناسخين ١٩٥ ناسخاً، وقد اتبع في ترتيب القائمة العامة للمخطوطات العربية والتركية والفارسية الترتيب الهجائي لاسم المؤلف. أما قائمة المخطوطات الطبية المصورة، فقد صُنفت بمداخل موضوعية رُتبت ألفبائياً، واشتملت على: عنوان المخطوط، وبيانات ببليوجرافية عنه، وترجمة عن المؤلف والمصادر التي استند إليها، وملخص عن المخطوطة، وأمامها على اليسار نوع الفن والرقم الخاص بطلب المخطوط، وإلحاق بعض الصور المأخوذة من المخطوط الأصلي، ويتبعها تعليق.



الزعبي، زياد (وآخرون)/مصطفى وهبي التلّ (عرار): قراءة جديدة، تحرير: غسان إسماعيل عبدالخالق ـ عمان: مؤسسة عبدالحميد شومان، والمؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٢م، ٦٢٦ص.

يشتمل هذا الكتاب على البحوث التي قدمت خلال الندوة التي عقدت في منتدى عبدالحميد شومان الثقافي في الأردن في الفترة من ٤ إلى ٥ ديسمبر/كانون الأول عام ١٩٩٩م، تحت عنوان «عرار .. قراءة جديدة»، وذلك بمناسبة مرور مئة عام على ولادة شاعر الأردن مصطفى وهبي التل «عرار».

وقد شارك في هذه الندوة التي عقدت بالتعاون بين وزارة الثقافة ومؤسسة عبدالحميد شومان، نخبة من الأساتذة الباحثين والنقاد والأدباء من الأردن والعراق وسورية، الذين أسهموا في إضاءة جوانب متعددة من مسيرة عرار الأدبية والسياسية، فضلاً عن مسيرة حياته الشخصية وأثرها في إبداعاته الشعرية.

يقع الكتاب في خمس وعشرين دراسة ومقالة، تتناول شعر عرار والبنية الإيقاعية فيه، ومعجمه اللفظي. وقد وازن المتحدثون شعره بشعر حافظ جميل، الشاعر العراقي الرقيق، وبشعر الشاعر الروسي نيكراسوف. كذلك تناولت الدراسات عراراً قاصاً ، ومترجماً.

بلغ عدد المشاركين نحو خمسة وعشرين باحثاً، منهم: د.زياد الزعبي ببحث عنوانه «ينابيع الكتابة: مرجعيات عرار المعرفية»، وتناول د.عبدالقادر الربّاعي «عرار في الخطاب النقدي المعاصر»، وناقش د.علي جعفر العلاّق «شعرية العبث والفوضى: قراءة في لغة عرار الشعرية»، وحدد د.محمد إبراهيم حورّ «الصوت والصدى: عرار في عيون الشعراء»، ووصف د.بسام قطّوس «الموسيقى في شعر مصطفى وهبي التل»، وتعرض د.سامح الرواشدة إلى «ملامح من البنية الإيقاعية في شعر عرار»، وكتب د.إبراهيم السعافين عن «شعر عرار بين الشفاهية والكتابية»، وغير ذلك من البحوث التي شاركت في الندوة.

الغيلاني، سالم بن محمد/عقبة الصواري ـ سلطنة عمان: المؤلف، ٢٠٠٢م، ٢١١ص.

يتناول هذا الكتاب تاريخ مدينة (صور) العمانية منذ أقدم العصور حتى عصرنا الحاضر، بداية من اسمها، وسكانها من الفينيقيين الأوائل، وماكتبه المؤرخون عنها، وعلى رأسهم هيردوتس (٤٨٤ - ٤٢٥ ق.م)، واستعرض التشابه بينها وبين مدينة



(صور) اللبنانية من خلال ماكتبه المؤرخون، وسأل الكاتب: أيهما سبقت الأخرى في الولادة؟ هل شيدت صور العمانية قبل صور اللبنانية؟ فالمدينتان متشابهتان من حيث الموقع الجغرافي وامتهانهما صناعة السفن وارتياد البحار، ويقول: إن الإجابة عن هذه الأسئلة لا تأتي إلا باستقراء الأحجار، واستنطاق التاريخ المدفون تحت الأرض، «أما الرجوع إلى تدوينات الرحالين أو كتابات المؤرخين فهي مغامرة ناقصة، لأن مادتها شحيحة».

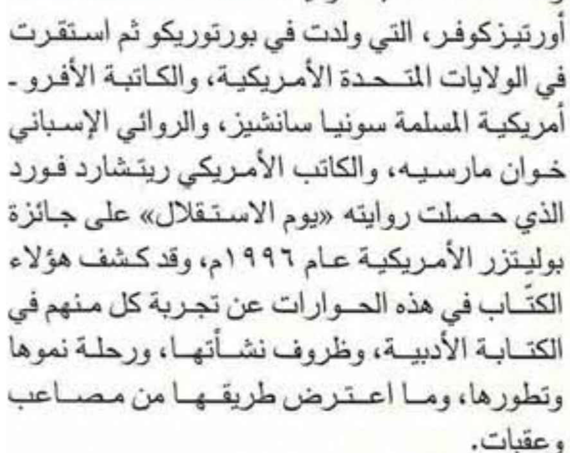
يقع الكتاب في مقدمة وثلاثة فصول، تناول في الفصل الأول «لمحة جغرافية عن سلطنة عمان»، وفي الثاني «صور: الموارد الطبيعية، والآثار، والفنون التقليدية، وصناعة بناء السفن، وبعض ربابنة البحار المشهورين من أهل صور، وصور في عيون الاوربيين، وصور في عيون عمانية، وقلهات في عيون الأوربيين»، وأفرد الباب الثالث للحديث عن «صور عبر العصور التاريخية»، فتعرض لتاريخها خلال العصور القديمة والوسطى والحديثة، ثم في عهد السلطان قابوس بن سعيد، وأورد لمحات أدبية وفنية من صور، وقصائد صورية.

استعان المؤلف بعدد من الصور الفوتوغرافية لتوثيق المعلومات، وختم الكتاب ببعض المصادر والمراجع الخاصة بتاريخ صور عبر العصور.

ذلك العالم المدهش: حوارات مع كتّاب عالميين، ترجمة: حسين عيد ـ القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠٠٢م، ٢٦٢ص (آفاق عالمية؛ ١٢).

يحتوي هذا الكتاب على حوارات مترجمة مع عدد من الكتّاب العالميين، منهم الإسباني كاميلو خوسيه ثيلا الحاصل على جائزة نوبل في الآداب عام ١٩٨٩م، الروائية التشيلية المعروفة إيزابيل الليندي، والإسباني فرناندو آرابال، الذي يعد إحدى علامات المسرح الطليعي في العالم، إضافة إلى كونه روائيًا، وشاعرًا، ومنتجًا ومخرجًا سينمائيًا، والشاعرة والقاصة جوديث أورتيزكوفر، التي ولدت في بورتوريكو ثم استقرت في الولايات المتحدة الأمريكية، والكاتبة الأفرو ـ أمريكية المسلمة سونيا سانشيز، والروائي الإسباني خوان مارسيه، والكاتب الأمريكي ريتشارد فورد الذي حصلت روايته «يوم الاستقلال» على جائزة بوليتزر الأمريكية عام ١٩٩٦م، وقد كشف هؤلاء الكتّاب في هذه الحوارات عن تجربة كل منهم في الكتابة الأدبية، وظروف نشأتها، ورحلة نموها وتطورها، وما اعترض طريقها من مصاعب وعقبات.





وعلى الرغم من أن تلك الحوارات أكدت خصوصية كل تجربة، إلا أنها أبرزت ثلاثة ملامح رئيسة جديرة بالتنويه، يتمثل أولها في أهمية تواضع الكاتب، ويظهر الملمح الثاني في أن النتاج الفني لكل هؤلاء الكتّاب هو نتاج طبيعي أصيل لتجربة كل منهم الخاصة دون أي تدخل مباشر من إرادة الكاتب في تشكيله، لأنهم منغمسون فيها حتى النخاع، ويبدعون بوحي منها، ويتمثل الملمح الثالث في أن هؤلاء الكتّاب يتعاملون بمنتهى الجدية مع عملية الكتابة.

الجرف، ريما سعد/دليل الباحث إلى استخدام قواعد المعلومات الإلكترونية على الإنترنت ـ الرياض: المؤلفة، ١٤٢٣هـ، ١٩٦ ص.

أبرز عدد من الدراسات الاستطلاعية التي قامت بها المؤلفة وزميلة أخرى لها حاجة جميع منسوبات المكتبات، والغالبية العظمى من أعضاء هيئة



التدريس، وطالبات الدراسات العليا على اختلاف تخصصاتهن في بعض الجامعات والكليات السعودية، إلى اكتساب مهارات البحث في الإنترنت بشكل عام، وفي قواعد المعلومات الإلكترونية المتخصصة بشكل خاص، التي من شأنها أن تؤهلهن ليصبحن باحثات فاعلات في المجتمع المعلوماتي المعاصر. ومن هنا جاء تأليف هذا الكتاب، الذي يستطيع الباحث من خلاله أن يرى على الورق ما يراه على شاشة الحاسب، مع شرح للمصطلحات وخطوات البحث بشكل مبسط باللغة العربية.

يقع هذا الكتاب في سبعة فصول، يعطي الفصل الأول الباحث فكرة عن متطلبات استخدام قواعد المعلومات الإلكترونية من الأجهزة والبرمجيات ومهارات الحاسب الأساسية التي ينبغي توافرها لديه، ويقدم الفصل الثاني تعريفًا لبعض المصطلحات الأساسية التي يقوم عليها الكتاب، ويعطي الفصل الثالث فكرة مختصرة عن مكونات قواعد المعلومات، وطرائق البحث الإلكتروني، ومكونات الصفحة الرئيسة لقاعدة المعلومات، وجوانب اختلاف قواعد المعلومات، وخطوات البحث في قواعد المعلومات الإلكترونية والمصطلحات الإنجليزية الأساسية التي تستخدم في البحث الإلكتروني.

ويضم الفصل الرابع تدريبات على عشرة أنواع من قواعد المعلومات، وتضمن الفصل الخامس قائمة بالاختصارات الشائعة الاستخدام في قواعد المعلومات مع المفردات والعبارات التي تشير إليها كاملة ومقابلاتها بالعربية، ويقدم الفصل السادس نبذة من دور نشر قواعد المعلومات. أما الفصل الأخير فيحتوي على قائمة مختارة تتكون من ١٣١ قاعدة معلومات تغطي تخصصات كثيرة.



النجار، عبدالمجيد (وآخرون) /البعد الحضاري لهجرة الكفاءات ـ الدوحة: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ١٦٠ ص (كتاب الأمة؛ ٨٩).

يتناول هذا الكتاب ظاهرة هجرة الكفاءات وتداعياتها، على مستوى الذات، وما تشكله من نزيف يساهم في إنهاك مواطنها الأصلية وترسيخ التخلف فيها، في الوقت الذي يعد أحد المكونات والمقومات المهمة في حضارة (الآخر)، وهذا ما شكل همًا لكثير من المفكرين الباحثين.

وقد فُتح هذا الملف على كثرة ما كتب فيه وما قُدم من معالجات لكون الهجرة ليست ظاهرة سلبية، وإنما هي حركة حضارية إيجابية ذات أهداف رسالية لإلحاق الرحمة بالعالمين، فقد تكون من أعلى أنواع الجهاد، والقعود عنها مدعاة لوعيد الله، وقد تكون منهيًا عنها إذا كانت تفريغًا للموقع، وسبيلاً لاستيطان (الآخر).

وما قُدم في هذا الكتاب من رؤى مهجرية، لا يمثل الرؤية الشاملة، وإنما هو نوافذ لمعاودة فتح الملف، والنظر في أبعاده وتداعياته، في هذا الوقت بالذات الذي يتحول فيه العالم إلى وطن واحد، تختزل فيه المسافات والأزمان، وتُفرض الأنماط الثقافية والاقتصادية والاجتماعية للدول الأقوى، وما يرافق ذلك من استيقاظ النزعات العنصرية الهمجية لما يسمى باليمين المتطرف، التي تنطلق من عقدة الشعب المختار، والتي وُزعت على ثقافات العالم الغربي بأقدار متعددة.

شارك في تناول هذا الموضوع ثلاثة باحثين، هم: الدكتور عبدالمجيد النجار وقد كتب تحت عنوان «البعد الرسالي في هجرة العقول المسلمة إلى الغرب»، والدكتور محمد الغمقي وكان موضوعه بعنوان«الكفاءات المهاجرة طلائع لحضارة الإسلام»، وختم بحوث الكتاب الدكتور محمد المستيري بتناول موضوع «الخطاب المستقبلي للهجرة الإسلامية».

مجلة مجمع اللغة العربية الأردني (س ٢٦، ع ٦٢، شوال ١٤٢٢هـ - جمادى الأولى ١٤٢٣هـ/ كانون الثاني/ حزيران ٢٠٠٢م)

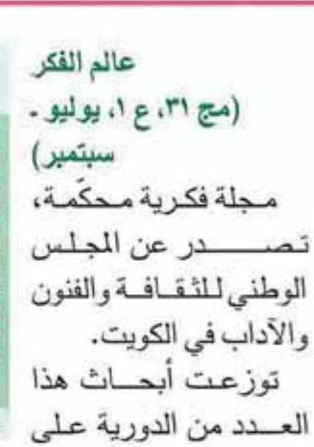
مجلة متخصصة محكّمة تصدر مرتين في السنة.

حفل هذا العدد من الدورية بمجموعة متنوعة من البحوث التي تناولت اللغة العربية والتراث الإسلامي العلمي والأدبي والفني وشؤون التعريب ومراجعة الكتب وغيرها، بدأها الدكتور سمير الدروبي بموضوع عن «حركة الترجمة والتعريب في ديوان الإنشاء المملوكي (البواعث واللغات والمترجمات)»، وقدّم الدكتور أمين يوسف عودة «دراسة في أصل مصطلح التصوف ودلالته»، وشرح الدكتور سبع أبو لبدة «المصطلح التربوي النفسي تقييم لا تقويم».

وفي باب مع الكتب قدّم الدكتور محمد جواد النوري قراءة في كتاب «التكملة والذيل والصلة» للحسن بن محمد الصغاني، الذي حققه: إبراهيم الأبياري، وراجعه: محمد خلف الله أحمد، وصدر عن مطبعة دار الكتب في القاهرة عام ١٩٧٧م.

وجاء في باب تعليقات ومناقشات بعض الفوائد الأدبية واللغوية التي أوردها الأستاذ صبحي البصّام وأراد بها «إصلاح أمالي القالي وما ألحق به»، وأورد الدكتور جميل الملائكة «بعض ما يميز العربية في صلاحها للعلم ومصطلحه»، وختمت الدورية بـ «أخبار مجمعية» غطت أخبار المؤتمرات والندوات والمحاضرات، وكان أهمها خبر «المؤتمر الثامن والستين لمجمع اللغة العربية في القاهرة»، واجتماع مجلس اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية، وغير ذلك من الأنشطة.

العنوان:ص.ب: ١٣٢٦٨ عمان
هاتف: ٥٣٤٣٥٠٠
ناسوخ: ٥٣٥٧٠٦٤



عالم الفكر (مج ٣١، ع ١، يوليو - سبتمبر)

مجلة فكرية محكّمة، تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب في الكويت.

توزعت أبحاث هذا العدد من الدورية على جملة من ميادين المعرفة، بدأها الدكتور مصطفى العبادي بموضوع عنوانه «نشأة الفكر التاريخي وتطوره عند اليونان»، وشرح الدكتور السيد نفادي «السيميوطيقا وعلاقتها بالفلسفة والعلم عند كارناب»، وقدّم الدكتور محمد مبارك الصوري «دراسة في مسرح الشباب»: واقعه وأهدافه وطموحاته»، وتناول الدكتور محمود كحيل «المثال أو النموذج بين الإنساني والإلهي في الفكر الحضاري القديم»، وناقش الدكتور رشيد برهون «الترجمة ورهانات العولمة والمثاقفة»، وتعرض الدكتور حسام الخطيب لتجربة الشاعر العماني سيف الرحبي في موضوع عنوانه «نفي الكون والوجود عند سيف الرحبي»، وركّز الدكتور محمد غرافي في الروافد المعرفية للسيميولوجيا في بحثه «قراءة في السيميولوجيا البصرية»، وتناولت الدكتورة أحلام الزعيم حياة الشاعر العباسي أبي العتاهية في بحث عنوانه «أبو العتاهية بين الرغبة والتزهد»، وختم بحوث العدد الأستاذ خيري أحمد الكباش بعرض لـ «الحماية القانونية للإنسان من التلوث الإشعاعي في المواد الغذائية: دراسة مقارنة في التشريعين المصري والكويتي بين الواقع والمأمول».

العنوان: ص.ب: ٢٣٩٩٦ - الصفاة -
الرمز البريدي ١٣١٠٠
دولة الكويت.
المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

الجهل والتخلف

عبدالعزيز المشعل
الرياض - السعودية

يحار المرء كثيراً وهو يقدح زناد فكره، ويجول بين الكتب والمقالات والدراسات والأبحاث باحثًا عن ضوء يهتدي به إلى السبب أو الأسباب التي تجعل من التخلف السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي والفكري واقعًا راسخًا غير قابل للتغيير في المجتمعات الإسلامية، واقعًا أشبه مايكون ببحر من الرمال المتحركة تذوب فيه تحركات الإصلاح والتغيير وتتحول إلى جزء أصيل منه، واقعًا عصيًا على جهود التغيير والتطوير والانتقال بالأمة من الضعف والهوان إلى القوة والتمكن، واقعًا يمتلك قدرة سحرية على احتواء أي مقاومة، وسحق أي حركة إصلاحية أو تنويرية تحت سنابك المئات من الشعارات المعدة سلفاً والأقوى تأثيراً من الصواريخ العابرة للقارات.

ويجد المرء نفسه أمام حيرة هائلة وهو يراجع تاريخ الحركات الإصلاحية في عالمنا الإسلامي بمختلف أشكالها وتوجهاتها ومناهجها، حين يجد أنها تبدأ ببريق هائل يجتذب الجماهير ثم مالبث أن تتكشف عوراتها، وتظهر سوءاتها، ويتضح في النهاية أنها أكثراً تخلفًا وفساداً من الواقع الذي تريد إصلاحه.

حين يعمل المرء فكره في هذه الظاهرة - ظاهرة فشل الإصلاح - لا يجد أمامه إلا الموازنة بين واقع العالم الإسلامي وغيره من الأمم والشعوب التي تمكنت من تجاوز محنة التخلف والانطلاق نحو التقدم بمفهوماته الصحيحة أي الرفاهية والحرية والمشاركة والعدالة الاجتماعية والرقي الاجتماعي والحضاري وتنامي الحس الإنساني على مستوى الأفراد والجماعات.

مشكلة عالمية

حين نصل إلى هذه الموازنة نتبين بوضوح أن مشكلة التخلف ومايترتب عليه - من فساد وإرهاب وتردٍ اقتصادي واجتماعي وتدهور معرفي - ليست مشكلة العالم الإسلامي والعربي فحسب، بل مشكلة عالمية تلقي بظلالها الكئيبة على الغالبية العظمى من سكان المعمورة، وتكتسح بقدرتها الهائلة على التدمير المقدرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية لعشرات الدول والشعوب التي تئن تحت وطأة الفقر والجهل والتخلف، وانعدام الحرية، وانتشار الفساد، وتردي الأخلاق دون أن تجد لديها القدرة على الفكاك من هذا الواقع الأليم.

إن المتابع لتقارير التنمية البشرية التي تصدر سنوياً عن منظمة الأمم المتحدة يجد أن ظاهرة التخلف بعناصرها الرئيسة - الديكتاتورية والفقر والفساد والإرهاب والتبعية - هي ظاهرة عالمية تغطي القارة الإفريقية والآسيوية بأكملها تقريباً مع استثناءات نادرة كما تغطي أمريكا اللاتينية والجنوبية بشكل جزئي أي أنها تغطي معظم أنحاء العالم، وتحتوي أغلب سكان المعمورة، فما ياترى القاسم المشترك بين هذه الأمم والشعوب التي تتباين جغرافياً ومناخياً ودينياً وعرقياً وبعضها لا يكاد يجمعه أي شكل من أشكال التواصل الجغرافي أو الاقتصادي أو الثقافي.

إنه الجهل ذلك القاسم المشترك الذي يجمع بين الأمم التي تعاني التخلف والجهل هنا ليس فقط سبب من أسباب التخلف أو سببه الوحيد، لكنه الحبل السري الذي يمده بالقدرة على البقاء والرسوخ والتجذر، وهو المرتع الذي ينمو فيه التخلف بمختلف تجلياته، وهو السماد الذي يجعل تربة التخلف أكثر خصوبة وقدرة على إنتاج أشكال جديده منه تتلاقح وتتلاقى معًا لتشكل غابة هائلة قادرة عل العصف بأي حركة للإصلاح أو التنوير.

رفض المعرفة

وإذا كنا لم نجد غير الجهل قاسمًا مشتركًا بين المتخلفين، فأي جهل نقصد؟ هل نقصد به الأمية، هل نقصد به تردي مستوى التعليم، هل نقصد به ضعف الثقافة؟ الواقع أن هذا ليس هو تصورنا أبدًا عن الجهل، فمعدل الأمية في الولايات المتحدة وكندا يعادل معدلها في بعض الدول الإفريقية، والشعب الأمريكي وبعض الشعوب الأوروبية معروفة عنها أن معرفتها بالعالم الخارجي تكاد تكون معدومة، والثقافة اليابانية ثقافة محلية إلى حد كبير حتى إنه لا يكاد يوجد أي تواصل بينها وبين الثقافات الأخرى بما فيها تلك القريبة منها جغرافيًا، ومستوى التعليم الأقل من الجامعي في بعض الولايات الأمريكية أقل بكثير من مستواه في بعض الدول الأمريكية وهو الأمر ذاته في بريطانيا، ومع ذلك فكل هذه المشكلات التي يمكن وضعها في إطار قضية الأمية لم تمنع هذه الشعوب من بناء مجتمعات تتمتع برؤية حضارية وإنسانية راقية لايمكننا إنكارها مهما اختلفنا معها أو

تناقضت مصالحنا مع مصالحها، وأيضاً مع أنه كان لنا النصيب الأكبر والقدح المعلى من طغيانها وجبروتها.

لكن الجهل الذي نعتقد أنه يمثل بالفعل القاسم المشترك للتخلف والمتخلفين هو باختصار «رفض المعرفة» ذلك الرفض الذي يتجلي في القناعة التامة غير القابلة للنقاش بامتلاك الحقيقة المطلقة، والانتقال من هذه القناعة إلى قناعة أشد وطأة هي رفض الآخر بما يحمله من معرفة وثقافة وتاريخ وإنتاج حضاري ورؤية اقتصادية، والإصرار التام على تعطيل ملكة التفكير الإنساني والحوار العقلاني وتسليم مفاتيح العقل إلى الآخرين، والسعادة بدور المتلقي الذي يؤمن بفكرة وحيدة غير قابلة للتغير أو التطوير.

الجهل هو ذلك الإصرار على عدم بذل أي جهد لمعرفة ماعند الآخر أو الحوار معه أو حتى مع النفس، والظن أن النقاش والحوار نوع من الجدل الذي لا يؤدي إلا إلى الكفر، واليقين بأن أي محاولة للمعرفة ستؤدي حتماً إلى فقدان الهوية وضياع الذات، بينما الواقع أن الهوية الحقيقية ضائعة أو في طريقها إلى الضياع ليس بفعل الانفتاح على الآخرين، وإنما بفعل قوتهم المادية التي اكتسبوها نتيجة لحرصهم على معرفة غيرهم.

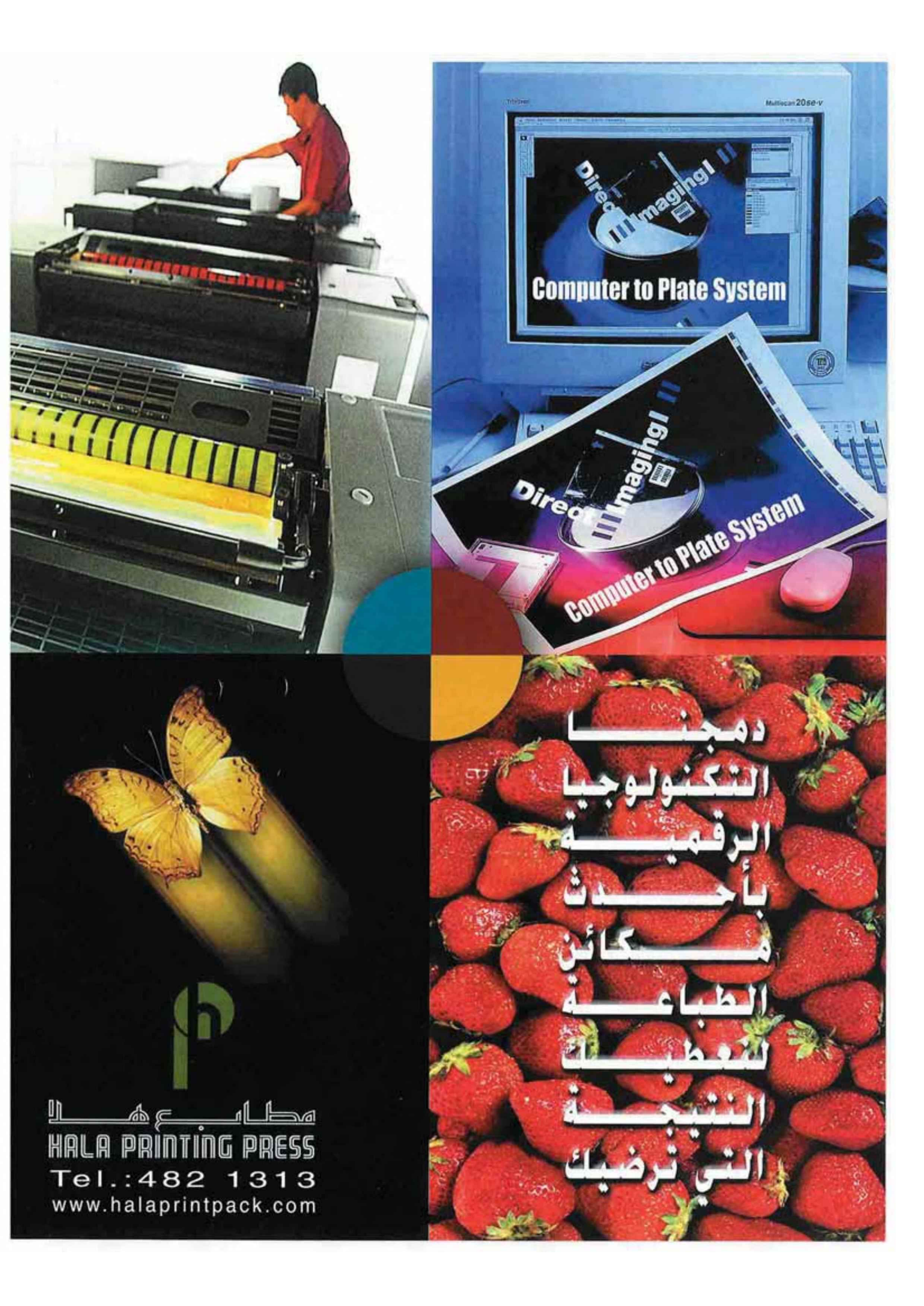
التعليم ... هل قضى على مظاهر الجهل؟!

خوف مرضي

هذا النوع من الجهل في اعتقادنا هو شكل من أشكال ضعف الإيمان وتصدعه وإلا فبماذا نفسر ذلك الخوف المرضي الذي ينتشر لدى الأمم المتخلفة من المعرفة والحوار والنقاش والجدل والحرص على تعطيل الملكات والمواهب، والانسياق الأعمى وراء الشعارات المتوارثة، والتطبيق الحرفي والأعمى لمبدأ «هذا ماوجدنا عليه آباءنا» وتراجع دور المنطق والفلسفة، وعدها من العلوم الفاسدة، والعقائد المنحرفة، وبماذا نفسر خوف المسلم من محاولة التعرف إلى أي ثقافة أخرى واعتقاده أنها قد تضعف إيمانه وتفقده إسلامه؟ ولماذا لايكون هذا المسلم واثقا ثقة عمياء مطلقة - وهذا مايجب أن يكون - بأنه مهما عرف، ومهما أدرك من ثقافات سيجد لديه ثقافة أرقى ودينا أعظم؟ إننا نعتقد أن ذلك الخوف وضعف الثقة بالنفس التي أدت بدورها إلى ضعف الثقة بديننا الحق هي ما أوصلتنا إلى ما نحن فيه، ولايمكننا الادعاء بأن هذا الجزء من تكوين شخصية الأمم المتخلفة ناتج أيضاً من ظلم الاستعمار ومن مؤامرات الشيوعية والصهيونية والمسيحية والماسونية والإمبريالية وبلاد واق الواق وهلم جرا، حتى وإن كانت بعض القوى الظالمة في العالم قد استفادت منه في نهب ثروات هذه الأمم والشعوب فلا يمكن أن نلقي اللوم عليها في هذا الخصوص، بل على نفسها جنت براقش.

على الرغم من المحاولات الحثيثة التي بذلت في مجال التعليم ومحو الأمية وعلى الرغم من التقدم الواضح في مجال التعليم الجامعي والأكاديمي وعلى الرغم من المخرجات الهائلة والنظم التعليمية في مختلف دول العالم النامي، فقد بقي الجهل في أبشع تجلياته ومظاهره واقعاً لايمكن إنكاره، ويمكن للمرء أن يكتب عشرات المجلدات عن التجليات والمظاهر على المستوى الفردي والجماعي، وعلى مستوى الأحزاب والتنظيمات والنقابات، وعلى مستوى العلاقات الإنسانية والاجتماعية والأسرية، وعلى مستوى العلاقات بين الحكومات والشعوب، لذلك فلا عجب ونحن نتحدث عن مظالم الغرب والشرق والصهاينة أن نتجاهل حقيقة مرة يصعب أن نكاشف أنفسنا بها وهي أن خداع الذات والجرأة على الكذب والاستخفاف بعقول الآخرين قد أصبح جزءاً من حياتنا اليومية لا يمكننا أن نحيا دون أن نمارسه.

هذا الجهل وهذا الخداع وهذا الكذب لايلبث أن يتجلى في مظهرين لايقلان عنه بشاعة: هما الإرهاب والفساد، وهم جميعا معاً لا يمكن أن يشكلوا إلا طرقاً فرعية تؤدي إلى طريق واحد ..... الهزيمة.



Direct Imaging!
Computer to Plate System
Direct Imaging!
Computer to Plate System
دمجنا
التكنولوجيا
الرقمية
بأحدث
مكائن
الطباعة
لنعطيك
النتيجة
التي ترضيك
مطابع هلا
HALA PRINTING PRESS
Tel.:482 1313
www.halaprintpack.com


الاتصالات السعودية
SAUDI TELECOM
نعمل اليوم لغد واعد
مــــرّة أخـــــرى...
نخفض الأسـعـــار
دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية

السعر القديم	السعر الجديد		
وقت الذروة	وقت الذروة	التخفيض الأول	التخفيض الثاني
٢,٦٠	٢,٢٠	١,٨٠	١,٥٠

* من يوم السبت الى الأربعاء من ١٠ مساء الى ٢ صباحاً.
** يومياً من الساعة ٢ صباحاً إلى ٨ صباحاً.
من ١٠ مساء الخميس إلى ٨ صباح السبت.
من ١٠ مساء يوم ٢٨ رمضان ولمدة ٨٢ ساعة.
من ١٠ مساء يوم ٨ ذي الحجة ولمدة ٨٢ ساعة.
لآن، خفّضنا أسعار المكالمات الدولية عبر الهاتف الثابت والجوال لنيسّر عليك الاتصال بأعمالك وتواصلك مع أحبائك. هكذا نقلّص المسافات ونقرّب البعيد.
لمزيد من المعلومات، يمكنكم الاتصال على الرقم ٩٠٧ أو ٩٠٢ أو زيارة موقعنا www.stc.com.sa